



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن

ترجمات أبي حيان الأنديسي

في التفسير من الآية (٨٠) من سورة النحل إلى آخر سورة مريم
(من خلال تفسيره البحر المحيط)

جمعاً ودراسة وموازنة

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالبة

بدرية بنت عطية بن حمزة الحرازي الشريف

الرقم الجامعي (٤٢٤٧٠٠٩٢)

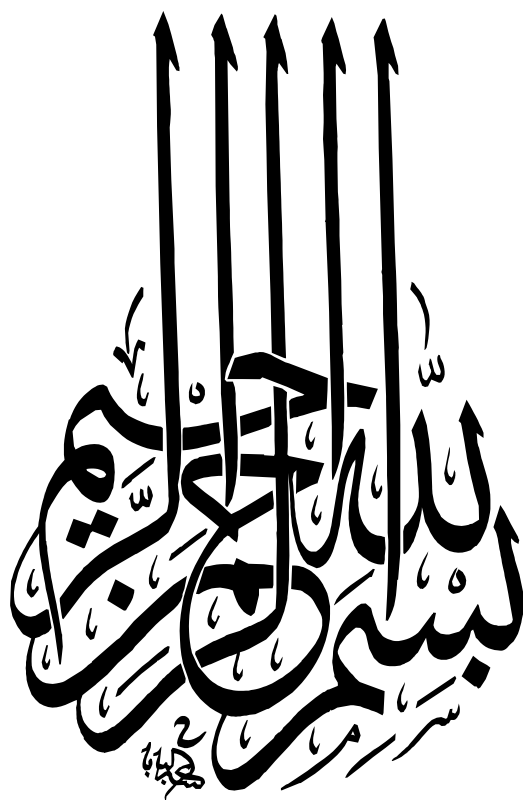
إشراف فضيلة الشيخ:

د/ عبدالعزيز عزت عبد الحكيم الوائلي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى

(المجلد الأول)

١٤٢٩هـ - ١٤٣٠هـ



ملخص الرسالة

بعنوان: (ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من الآية ٨٠ من سورة النحل إلى آخر سورة مريم. من خلال تفسيره البحر المحيط جمعاً ودراسةً وموازنةً).

تتكون الرسالة من مقدمة، وتمهيد، وقسمين، وخاتمة، وفهارس.

التمهيد: فيما يتعلق بحياة أبي حيان الأندلسي وترجمته، حيث أبان البحث عن أهم مراحل حياته، وأبرز مكانته العلمية، وأوضح مشاركته الجادة في التفسير، وأثره فيه، وفي سائر علوم العربية من خلال ذكر تأليفه.

أما القسم الأول: فكانت الدراسة فيه متعلقة بمنهج أبي حيان الأندلسي في التفسير وصنيعه في تفسيره البحر، وكذا منهجه في الترجيح في التفسير، وتأصيله لقواعد الترجيح في التفسير وتطبيقه لها، كذلك شمل ذكر الصيغ والأساليب التي استخدمها في الدلالة على القول الراجح.

أما القسم الثاني: فقد عني بترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من الآية ٨٠ من سورة النحل إلى آخر سورة مريم والتي بلغت (٢٢٦ موطناً)، ودراسة هذه الترجيحات دراسةً تفصيلية مقارنة بأقوال أئمة العلم من مفسرين وغيرهم. وقد أبان البحث عن قوة ترجيحات هذا الإمام، وأنه لم يكن مقلداً في اختياراته العلمية التفسيرية، بل كان مجتهداً يعتمد الدليل والنظر.

ثم أنهت البحث بخاتمة، وفهارس فنية كاشفة عما احتوت عليه الرسالة.

والحمد لله على توفيقه وامتثانه.

المشرف على البحث :

أ.د/ عبدالعزيز عزت عبدالحكيم الوائلي

الباحثة :

بدرية بنت عطية بن حمزة الحرازي الشريف

Doctorate Dissertation Summary

Title ..

suggestions of Abu Hayan Al-Andolasy in the inter partition of verse ٨٠ from AlNahl till the end of Mariam verse collected and studied through his explanation the sea ocean .

The dissertation consists of introduction, extract, two divisions and index .

Extract ..

Dealing with the life of Abu Hayan Al-Andolasy and its translation as he showed the important stages in his life, his scientific position and his serious participation in interpretation and its influence and in the rest of Arabic sciences and shows his writings .

The First Section ..

A study dials with Abu Hayan Al-Andolasy curriculum in interpretation of sea and also his approval in explanation and his strength in the roles of interpretation and its applications and the styles or formula used as an evidence for the right saying .

The Second Section ..

dials with Abu Hayan Al-Andolasy priorities in the interpretation ٨٠ from AlNahl till the end of Mariam verse which (٢٢٦) plaus and study them in detail compare with sayings of top scientists, interpretation and others

The research has shown the strength of these priorities and he wasn't mimic in his explanatory scientific selections but he was industrious depending on evidence proof.

The research is ended by a conclusion and technical detective indexes of the which dissertation

Researcher

**Badriah Bent Atya Ben
Hamza Al-Harzy Al-Sherif**

Supervisor

**Prof. Dr. / Abdul Aziz Ezzat
Abdul Hakeem Alwaely**

المقدمة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: -

فإن من نعمة الله على العبد أن يسلك به طريق العلم الشرعي، فيشغل به وقته، ويمضي فيه عمره، يحدوه الأمل برضوان الله تعالى، وتشخص أمامه تلك الدرجات العلى التي أعدت لمعلمي الناس الخير، وهو ما يهون على طالبه مشقة دربه، ويذهب صعوبة معاناته. ولا ريب أن العلم يشرف بشرف المعلوم، وعلم التفسير كذلك، فقد شرف غاية الشرف، لاتصاله بكلام الله تعالى. وكانت رسالتي في مرحلة الماجستير موسومة بـ (آراء ابن حزم الظاهري في التفسير، جمعاً ودراسةً ومقارنةً)، فرأيت أن ابن حزم ~ من أكثر علماء الإسلام تصنيفاً، فقد صنف في علوم شتى فهو محدث كبير، وأصولي فقيه، وناقد نحري، له آراؤه المستقلة، وانتصاراته للدليل، واستنباطاته التي لم يسبقه إليها أحد - وإن كان كلُّ يؤخذ من كلامه ويرد إلا رسول الله ﷺ ومازلت في ركاب أهل الأندلس - أخط حيث خطوا، وأسير حيث ساروا. فهأنذا اليوم في مرحلة الدكتوراة أعود إليهم لأرتشف من علومهم وأستفيد من فنونهم، فالإمام أبو حيان - محمد بن يوسف الأندلسي - ت ٧٤٥هـ - إمام من أئمة الأندلس وعلم من أعلامهم، حفظ القرآن الكريم في أول حياته، ثم حفظ الكثير من المتون في القراءات، والنحو، والفقه، وأصوله، كما قرأ في المطولات والشروح،

ورحل كثيراً في طلب العلم فكثرت شيوخه، ثم اشتغل بالتدريس، والتعليم، وإفادة الطلبة، فانتفع به أهل زمانه ومن بعدهم، كما كتب مؤلفات عدة ومتنوعة بين كبير وصغير في فنون شتى.

ثم إن تفسيره «البحر المحيط» شامل لتفسير كتاب الله ﷻ مع العناية بالعلوم الأخرى الخادمة له، وقد بذل فيه مؤلفه كل جهوده، واعتكف على تصنيفه بقية عمره، فكان هذا التفسير من أجل كتب التفسير وأعلاها شأنًا بشهادة العلماء له وإفادة الناس منه. ولقد كان لأبي حيان ~ ترجيحات واختيارات في التفسير واللغة وغيرها تشير إلى سعة علمه واطلاعه.

ولذا وقع اختياري على هذا التفسير العظيم، لتكون رسالتي للدكتوراه بعنوان [ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من الآية ٨٠ من سورة النحل إلى آخر سورة مريم].

وكان هذا أول أسباب اختيار الموضوع.

ومن أسباب اختياري أيضاً:-

- قيمة هذا الموضوع التفسيرية، إذ هو متعلق بمعرفة الراجح من الأقوال في تفسير آي القرآن، ولا شك أن اختيار ما رَجِحَ وَجْهُهُ مما يتنافس فيه، إذ هو دليل التبحر.
- إعطاء الدارس لهذا النوع من الموضوعات - الدراسة المقارنة - قدرة قوية على سبر أقوال المفسرين، وفهمها ومناقشتها، والترجيح بينها، وملكة تفسيرية يكتسبها الباحث، قد لا تتوفر في دراسة كثير من الموضوعات.
- أن قواعد الترجيح في التفسير قد أصَّل لها، وهذه الدراسة تطبيق لتلك القواعد في بيان أثرها في الدلالة على أرجح الأقوال.

- أن تفسير البحر المحيط قد ظهرت فيه دراسات عدة في بيان منهجه في التفسير، ودراسات في القراءات، واللغة، والنحو، والبلاغة، وهذه الدراسة جديدة في بيان ترجيحات هذا الإمام في تفسيره ومقارنتها بأقوال غيره من المفسرين، ثم بيان مكانة أبي

حيان وتمكنه في علم التفسير، وهذا ما يتبين من خلال البحث -إن شاء الله تعالى- .
 - المشاركة بجهد المقل في البحث العلمي، من خلال هذه الدراسة، والتي أسأل
 المولى الكريم أن يتقبلها ويجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفعني بها وبقارئها.

✽ خطة البحث :

ويتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وقسمين، وخاتمة، وفهارس وفق الترتيب الآتي:

المقدمة:

وفيها الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهجه، وصعوبات واجهت
 البحث، ثم الشكر والتقدير.

التمهيد: ترجمة موجزة لأبي حيان الأندلسي، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: اسمه، وكنيته، ولقبه.

المبحث الثاني: مولده، وصفاته الخلقية والخلقية، وأسرته.

المبحث الثالث: نشأته، وطلبه للعلم.

المبحث الرابع: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.

المبحث الخامس: شيوخه، وتلاميذه.

المبحث السادس: آثاره، ومؤلفاته.

المبحث السابع: وفاته.

القسم الأول، وفيه فصلان:

الفصل الأول: منهج أبي حيان في تفسيره، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تفسيره القرآن بالمأثور. وفيه تمهيد، وثمانية مطالب:

المطلب الأول: تفسيره القرآن بالقرآن.

المطلب الثاني: تفسيره القرآن بالسنة.

المطلب الثالث: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة.

المطلب الرابع: تفسيره القرآن بأقوال التابعين.

المطلب الخامس: عنايته بالقراءات.

المطلب السادس: عنايته بأسباب النزول.

المطلب السابع: عنايته بالناسخ والمنسوخ.

المطلب الثامن: عنايته بالمكنى والمدنى.

المبحث الثاني: تفسيره القرآن بالرأى، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تفسيره القرآن بأقوال من جاء بعد عصر التابعين .

المطلب الثاني: تفسيره القرآن باللغة. وفيه خمسة أمور:

الأول: مصادره في اللغة، والأعلام الذين ساهم.

الثاني: عنايته بمعاني المفردات.

الثالث: عنايته بمعاني الحروف والأدوات.

الرابع: عنايته بالإعراب.

الخامس: عنايته بالأسلوب العربي في الخطاب القرآني.

المطلب الثالث: عنايته بالمناسبات.

المطلب الرابع: عنايته بأسرار التعبير.

الفصل الثاني: منهج أبي حيان في الترجيح في التفسير، وفيه تمهيد، ومبحثان:

التمهيد: تعريف التعارض، والترجيح، وذكر أسباب الاختلاف في التفسير.

المبحث الأول: صيغ الترجيح وآساليه عند أبي حيان الأندلسي، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التنصيص على القول الراجح.

المطلب الثاني: التفسير بقول، مع النص على ضعف غيره.

المطلب الثالث: التفسير بالقول الراجح وذكره بصيغة الجزم، وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمرّض.

المطلب الرابع: الاكتفاء بذكر القول الذي يراه راجحاً، دون ذكر بقية الأقوال الأخرى الواردة في تفسير الآية.

المطلب الخامس: تقديم القول مع الاستدلال له بما يفيد ترجيحه.

المبحث الثاني: وجوه الترجيح عند أبي حيان الأندلسي: وفيه أحد عشر مطلباً:

المطلب الأول: الترجيح بالنظائر القرآنية.

المطلب الثاني: الترجيح بالحديث النبوي.

المطلب الثالث: الترجيح بظاهر القرآن.

المطلب الرابع: الترجيح بالقراءات.

المطلب الخامس: الترجيح بالسياق.

المطلب السادس: الترجيح بأسباب النزول.

المطلب السابع: الترجيح بمعرفة الناسخ والمنسوخ.

المطلب الثامن: الترجيح بالعموم.

المطلب التاسع: الترجيح بالمطلق والمقيد.

المطلب العاشر: الترجيح بالمنطوق والمفهوم.

المطلب الحادي عشر: الترجيح باللغة.

القسم الثاني:

ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من الآية ٨٠ من سورة النحل إلى آخر سورة مريم.

أولاً: ترجيحات أبي حيان الأندلسي في سورة النحل من آية ٨٠ إلى نهاية السورة.

ثانياً: ترجيحات أبي حيان الأندلسي في سورة الإسراء.

ثالثاً: ترجيحات أبي حيان الأندلسي في سورة الكهف.

رابعاً: ترجيحات أبي حيان الأندلسي في سورة مريم.

الخاتمة:

وتتضمن أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث.

الفهارس:

وتتضمن الفهارس التالية:

- ١ - فهرس الآيات القرآنية.
- ٢ - فهرس القراءات.
- ٣ - فهرس الأحاديث النبوية.
- ٤ - فهرس الآثار.
- ٥ - فهرس الأعلام.
- ٦ - فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة.
- ٧ - فهرس الفرق والقبائل.
- ٨ - فهرس الأماكن والبلدان.
- ٩ - فهرس الشواهد الشعرية.
- ١٠ - فهرس المصادر والمراجع.
- ١١ - فهرس الموضوعات.

❖ منهجي في البحث :

١. استخرجت ترجيحات أبي حيان الأندلسي ~ من خلال تفسيره (البحر المحيط) ضمن القدر المحدد لي.
٢. درست الترجيحات على النحو التالي:
 - ذكرت الآية التي فيها الترجيح في أول الصفحة، ورتبت الآيات والسور حسب ترتيب المصحف الشريف.
 - إن كان في الآية عدة ترجيحات، ذكرت بأن فيها كذا من المسائل.
 - وضعت لكل مسألة عنواناً مختصراً يدل على مضمونها.
 - وضعت لكل ترجيح رقمين، رقماً عاماً لكل الترجيحات في الرسالة، ورقماً خاصاً لكل ترجيح في كل سورة في البحث.
 - أوردت كلام أبي حيان في المسألة نصاً، ووجدته قد يذكر القول ويصرح بترجيحه، وقد يصرح برد أو تضعيف بعض الأقوال في تفسير الآية ولو لم يصرح بالراجع، وقد يعقب أبو حيان - بعض الأقوال الشاذة التي يحكيها في تفسير الآية، ولو لم يذكر خلافاً في تفسيرها.
 - حذفت بقية الأقوال، إلا أن يكون لها تعلق بالمسألة، بأن لا يتم الكلام إلا بها، أو لا تتضح المسألة إلا بإيرادها، فإني أبقيتها من أجل ذلك.
 - قارنت طبعة البحر المحيط بمخطوطة بنسخة المكتبة المحمودية بمكتبة الملك عبدالعزيز ~ في المدينة المنورة، في القدر المحدد لي دراسته من الآية ٨٠ من سورة النحل إلى نهاية سورة مريم، وما وجدت من تصحيف أو تحريف في المطبوع صوبته من المخطوط، وما وجدت من سقط في المطبوع أثبتته من المخطوط، وأشارت إلى ذلك في الهامش .
 - قارنت البحر المحيط بالنهر الماد ضمن مسائل القدر المحدد لي حتى لا أنسب إلى أبي حيان ما لم يقله، فكم من قول قال به أبو حيان في البحر ورجع عنه في النهر أو أنه لم يرجحه في البحر ثم اختاره في النهر.

- ذكرت أقوال أهل العلم في المسألة في جانب الدراسة المقارنة والموازنة؛ حيث عرضت قول أبي حيان على أقوال المفسرين قديماً وحديثاً فقد عرضت كل مسألة على أكثر من أربعين كتاباً في التفسير مراعية الترتيب الزمني في عرض أقوالهم، وبنيت في كل قول من قال به إن وجد، وإلا ذكرت في الهامش المرجع الذي ذكره.

- ذكرت في كل قول أدلته إن وجدت.

- ذكرت في كل قول من ضعف ذلك القول إن وجد.

- رجحت بين الأقوال قدر استطاعتي حسب قواعد الترجيح عند المفسرين، متجردة [إن شاء الله] من التعصب لرأي، أو لشخص، أو هوى، ولم أتعمد قط مخالفة ظواهر الأدلة، لأوافق قولاً واحداً، بل اتبعت الأدلة [حسب وسعي وطاقتي] أدور معها حيث دارت.

٣. عزوت الآيات الواردة في الرسالة إلى سورها، بذكر اسم السورة، ورقم الآية في متن الرسالة، وفق الرسم العثماني في المصحف.

٤. عزوت القراءات إلى قارئها من أئمة القراءات، وإن كانت شاذة بينت ذلك من كتب الشواذ إن وجد، وإن لم يوجد فمن كتب التفسير التي ذكرتها.

٥. خرجت الأحاديث والآثار تخريجاً مختصراً، وذكرت الحكم عليها، فإن كان في الصحيحين اكتفيت بهما، وإن كان في غيرهما، ذكرت أقوال العلماء في الحكم عليها إن وجد، وإلا حكمت عليها وفق قواعد الجرح والتعديل.

٦. وثقت النصوص التي ذكرتها من مصادرها الأصلية ما أمكنني.

٧. عزوت الشواهد الشعرية إلى قائلها، وذكرت مصادرها ما أمكن.

٨. ترجمت للأعلام الواردة أسماؤهم في الرسالة في أول ذكر لهم، ولا أحيل للترجمة إن تكرر اسم العلم، إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

٩. عرفت بالفرق والطوائف والأماكن من كتبها المعتمدة.

١٠. إذا حذف شيئاً من النص المنقول، فإني أضع مكانه نقاطاً هكذا...

١١. كررت توثيق بعض الأقوال إذا كان المرجع واحد، وأحلت إليه بنفس الرقم.
١٢. راعيت الترتيب الزمني للوفيات في ذكر العلماء.
١٣. عزوت أقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم من جامع البيان للطبري، وتفسير ابن أبي حاتم، والدر المنثور للسيوطي إن وجد، وإلا فممن كتب التفسير الأخرى التي ذكرته.
١٤. وضعت معلومات المصادر والمراجع في فهرسها، دون أول ذكر لها.
١٥. ضبطت بالشكل والحروف الكلمات التي تحتاج إلى ضبط مما تشكل قراءتها ونطقها.
١٦. ذيلت الرسالة بفهارس علمية، واعتمدت في فهرس الآيات على ترتيبها في القرآن الكريم، وفي الفهارس الأخرى على الترتيب الهجائي.

❖ الدراسات السابقة:

للمكانة العلمية التي وصل إليها أبو حيان ~ فقد تسابق طلبة العلم في استخراج كنوز هذا العلم، والغوص في أعماق مؤلفاته لاستخراج كنوز العلم والمعرفة، ومن خلال بحثي وجدت عدة عناوين ورسائل وبحوث تتعلق بهذا الإمام العلم، فكان من أبرزها وأشملها:

- ١- منهج أبي حيان في تفسيره البحر المحيط، للباحث: عبدالمجيد المحتسب، جامعة القاهرة، كلية الآداب / رسالة دكتوراه، ١٩٦٨م.
- ٢- منهج أبي حيان في تفسير القرآن الكريم، للباحث: بو شعيب محمادي، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، رسالة دكتوراه، ١٩٩٣م.
- ٣- أبو حيان المفسر، منهجه وآراؤه في التفسير، للباحث: محمد عبدالمنعم محمد الشافعي، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، رسالة دكتوراه، ١٣٩١هـ، ١٩٧٢م.
- ٤- القراءات في تفسير البحر المحيط، لأبي حيان من أول الفاتحة إلى سورة الأنفال،

للباحث: أحمد شكري، الجامعة الإسلامية، رسالة ماجستير / ١٤٠٤ هـ.

٥ - البلاغة عند أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط مع تحقيق المقدمة وسورة الفاتحة، للباحث: زكريا سعيد علي، جامعة القاهرة، رسالة ماجستير، ١٩٨٥ م.

٦ - القراءات القرآنية وقواعد اللغة العربية من خلال تفسير أبي حيان النحوي لسورة البقرة، للباحث: محمد المحمودي، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، رسالة الدكتوراه، ١٩٩٠ م.

٧ - اختيارات أبي حيان النحوية في البحر المحيط جمعاً ودراسة، للباحث: بدر بن ناصر البدر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، رسالة ماجستير، ١٤١٢ هـ. ط. مكتبة الرشد، - الرياض، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٨ - تعقيبات أبي حيان النحوية والصرفية لأبي البقاء العكبري في البحر المحيط، للباحثة: معوضة محمد حكيم، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، رسالة الماجستير / ١٤١٥ هـ.

٩ - تعقيبات أبي حيان النحوية للزمخشري في البحر المحيط، للباحث: محمد القرشي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، رسالة ماجستير، ١٤١٦ هـ.

١٠ - أبو حيان وجهوده في الحديث النبوي، للباحث: محمد السيد عطية، جامعة الإسكندرية كلية الآداب، رسالة ماجستير، ١٩٩٦ م.

١١ - اعتراضات السمين الحلبي في الدر المصون على أبي حيان، دراسة نحوية صرفية، للباحث: عبدالله الطريقي، الجامعة الإسلامية، كلية اللغة العربية، رسالة دكتوراه، ١٤١٧ هـ.

١٢ - المحاكمات بين أبي حيان والزمخشري وابن عطية، للشاوي، دراسة وتحقيق من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة يوسف، للباحث: ناجي عبدالجليل، الجامعة الإسلامية، كلية اللغة العربية، رسالة الدكتوراه، ١٤١٧ هـ.

١٣- مسائل التصريف في البحر المحيط لأبي حيان جمعاً ودراسة، للباحث: عبدالله العمير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، رسالة دكتوراه، ١٤٢٠هـ.

١٤- دور اللهجة في توحيد القراءات القرآنية عند أبي حيان الأندلسي في تفسير البحر المحيط للباحث: جزاء بن محمد المصاورة، جامعة مؤتة، الأردن، رسالة ماجستير، ٢٠٠٠م.

١٥- المسائل النحوية والصرفية في كتاب البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي من أول المجادلة حتى نهاية المرسلات، للباحثة: فوزية آدم محمد الهوساوي، جامعة أم القرى كلية اللغة العربية، رسالة ماجستير ١٤٢٢هـ - ١٤٢٣هـ.

١٦- المسائل النحوية والصرفية في البحر المحيط لأبي حيان من بداية سورة الزخرف إلى نهاية سورة الحديد، للباحثة: أسماء محمود تلاب، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، رسالة ماجستير، ١٤٢٣هـ.

١٧- ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة البقرة جمعاً ودراسة و موازنة : لمحمد بن ناصر يحيى جدُّ (رسالة دكتوراة) جامعة أم القرى ، كلية الدعوة و أصول الدين ، قسم الكتاب و السنة شعبة التفسير ١٤٢٦هـ _ ١٤٢٧هـ .

وبعد سنوات من رحلتي مع أبي حيان ~ والغوص معه في أعماق البحر والنهر وجدت أنني في نهاية المطاف أرسو على شاطئ العلم والمعرفة والرغبة في طلب العلم والاستزادة منه.

ولكن مع أبي حيان وبحره - الأمر جد خطير، والخطب ليس باليسير - إذ هو يزري بسالكه، ويظهر عوار راكمه، ولقد أتعب ~ من أتى بعده؛ ولا سيما من كان حاله كحالي، وبضاعته مثل بضاعتي . ولا جرم أنه عَلَّكَ يَوْفِي الكيل بأضعافه، ويتصدق على طالبه ويجزل مثوبة قاصده - فكم من المقاطع في هذا البحث من كلام أبي حيان ~ والتي يظهر

في أول الأمر خلاف ما وصلت إليه بعد التأمل والتدقيق، مما كان يدفعني إلى القراءة، والتأمل، والسؤال عن مراده.

ساعد في ذلك سوء طباعة البحر المحيط وتقارب أسطره، مما يتعب القارئ فيها، وكثرة التحريف والتصحيف والسقط. فأضطرني إلى الرجوع إلى إحدى مخطوطاته، ومن ثم مقارنتها بطبعة دار الكتب العلمية.

ومما زاد الأمر صعوبة كثرة عدد الترجيحات المطلوبة، وفخامة عدة التفاسير المرجوع إليها في الدراسة والموازنة.

ومع هذا كله أجد أن الله قد كلاً الجهد بالعناية، ويسر الأمر بالرعاية، وأعان على قرب النهاية، فلولا يده السحاء، وفضله المعطاء، ما كان لهذا الأمر أن يبلغ مداه، ولا أن يقوم على سوقه، ويستقيم متنه وخطاه، فكم من عويصة فكَّها، وشديدة حلها، وما خيبَ القصد، ولا ضيعَ الرجاء

شكر وتقدير وعرفان

لأن الشكر ترجمان النية، ولسان الطوية، وشاهد الإخلاص، وعنوان الاختصاص، لا يسعني إلا أن أشكر المولى سبحانه وتعالى وأحمده وَجَلَّ، وأثني عليه الخير كله، حمداً وثناءً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه على ما أنعم عليّ ويسر من تمام هذا البحث، فله الشاء الحسن، وله الحمد حتى يرضى، وله الحمد إذا رضي، وله الحمد بعد الرضى، ثم أثني بالشكر والامتنان إلى من كانا سبباً في وجودي، ورباني صغيراً، وأحاطاني بالرعاية والعناية حتى غدوت كبيراً، إلى والديّ الكريمين جزاهما الله عني خير الجزاء، وأحسن مشوبتهما في الدنيا والآخرة.

وأثنت بشكر زوجي ورفيق دربي الأستاذ: فايز الشنبري رحمه الله على صبره وتحمله، وبذله ما يستطيع من عون ومساعدة لي في حياتي العلمية والعملية، فكم تمنى أن يراني في هذا المقام، وسأل الله لي العون والإتمام، ولكن قدر الله و ما شاء فعل و الله ما أخذ و الله ما

أعطى وكل شيء عنده بمقدار ، فأسأل الله تعالى أن يبلغه منازل الشهداء وأن يبدله داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهله وأن يخلفه في عقبه خيراً .

و لا أقول إلا كما قال الأول :-

اصبر لكل مصيبة و تجلد و اعلم بأن المرء غير مخلص
أو ما ترى أن المصائب جمة وترى المنية للعباد بمرصد
من لم يصب ممن ترى بمصيبة هذا سبيل لست عنه بأوحد
فإذا ذكرت محمداً و مصابه فاجعل مصابك بالنبى محمد

كما أشكر جميع أفراد أسرتي وأخص من بينهم إخواني وأخواتي الفضلاء. الذين كانوا بعد الله سنداً وعوناً ، فأثلجوا صدري بدوام سؤالهم ، وحثهم واهتمامهم مما كان له أطيّب الأثر على عملي و همتي في هذا البحث.

كما أتوج بالشكر أولادي الأحباء: أنس، ومحمد، وعبدالله، وشهد، الذين أخذت من وقتهم الكثير، فما كان منهم إلا كل تشجيع لفظي ومعنوي، وأخص من بينهم الغالي أنساً الذي رافقني في كل ثنايا البحث، فتكبد الكثير من الجهد والعناء. فأسأل الله لهم جميعاً الهدى والصلاح.

ثم الشكر والعرفان بالجميل، للشيخ الفاضل الجليل: فضيلة الشيخ أ.د / عبدالعزيز عزت عبدالحكيم الوائلي، الذي وافق مشكوراً على أن يتولى الإشراف عليّ في هذه الرسالة، ولا أستطيع أن أجزيه شكراً، فعبارات الشكر أتعبتني في ترتيبها وصياغتها، وأحرفي أصبحت عاجزة أمام فضله عليّ، فكم قرأ وأجاد، وراجع وأفاد، مع رفيع خلق، وجميل سجايا، فاللهم أنله ما أمّله، وأجره مما خافه واهتم له، وبارك له في وقته وأهله، وماله وولده، وأجزه عني خير ما تجزي به عبادك الصالحين.

كما أقدم كلمات الشكر و العرفان لفضيلة الشيخين الكريمين :

فضيلة الأستاذ الدكتور محمد بن فوزان العمر رئيس قسم الدراسات القرآنية بكلية المعلمين في الرياض ، و الأستاذ الدكتور عبد الحميد محمود البطاوي الأستاذ المشارك بكلية

الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى ، على قبولهما لمناقشة رسالتي ، و تقويمها و بيان ما فيها من الأخطاء ، فجزاهما الله عني خير الجزاء ، و وفقهما لخير ما يحب و يرضى .

والشكر موصول لجامعتنا الحبيبة: جامعة أم القرى، الحصن الحصين للعلم وأهله، ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين، وعلى رأسها: فضيلة عميدها المحترم، ووكلائه الموقرين، ورؤساء أقسامها، ومشائخها الأجلاء، وأخص من بينهم: من قام بتعليمي وتدريسي في السنة المنهجية، فجزى الله الجميع خير الجزاء، وجعل ذلك في موازين حسناتهم يوم لا ينفع مال وبنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والشكر والتقدير والدعاء لكل من أعانني برأي، أو نصح، أو إرشاد، أو أفادني بفائدة، أو قرب لي شاردة، أو أهدى لي عيباً، أو صحح لي خطأً أو غمرني بجميل السؤال وحسن الاهتمام، أو دعى لي في ظهر الغيب، بأن يجزل لهم المولى حسن المثوبة ورفع الدرجات في الجنات.

وختاماً: فإني عشت مع البحث سنوات، فلا أدعي أنني بلغت الذي كنت أصبوا إليه وأتمنى تحقيقه، فضلاً عن دعوى الكمال أو مقاربته، فهذه الرسالة جهد المقل، وعمل البشر الذي يتعاوره النقص من كل جانب، وحسبي أنني قد اجتهدت وبذلت، فما كان فيه من صواب فمن توفيق الله وكرمه، وما كان فيه من خطأ أو زلل فمن تقصيري وقلة حيلتي، فالله تعالى أسأل أن يتقبل صوابها، ويعفو عن زللها وخللها، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفعني بها في الدنيا والآخرة إنه سميع مجيب، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد بن عبدالله، وعلى آله، وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

الباحثة

أم أنس / بدرية بنت عطية بن حمزة الحراري الشريف

التمهيد

التمهيد

ترجمة موجزة لأبي حيان الأندلسي

(٦٥٤هـ - ٧٤٥هـ)

ويشتمل على سبعة مباحث :

- ✽ المبحث الأول : اسمه ، ونسبه ، وكنيته ، ولقبه .
- ✽ المبحث الثاني : مولده ، وصفاته الخلقية والخلقية ، وأسرته .
- ✽ المبحث الثالث : نشأته ، وطلبه للعلم .
- ✽ المبحث الرابع : مكانته العلمية ، وثناء العلماء عليه .
- ✽ المبحث الخامس : شيوخه ، وتلاميذه .
- ✽ المبحث السادس : آثاره ، ومؤلفاته .
- ✽ المبحث السابع : وفاته .

بين يدي الترجمة

إن شخصية أبي حيان غنية عن التعريف، فهو العالم الذي طبقت شهرته الآفاق، وسارت بحديثه الركبان.

قال عنه تلميذه السبكي^(١): «شيخ النحاة، العلم الفرد، والبحر الذي لم يعرف الجُرْ بل المد، سيبويه الزمان، والمبرد إذا حمي الوطيس بتشاجر الأقران، وإمام النحو الذي لقاصده منه ما يشاء، ولسان العرب الذي لكل سَمْع لديه الإصغاء، وكعبة علم تُحج ولا تُحج ويقصد من كل فج، تضرب إليه الإبل آباطها، وتقد عليه كل طائفة سَفراً لا يفرق إلا نهارق البید بساطها»^(٢).

ولقد درس حياته كثير من الباحثين^(٣) مما لا يدع مجالاً للإضافة أو الإفاضة، فكان عملي في هذا التمهيد كتابة ترجمة مختصرة له، ليكون القارئ على إمام بمعرفة حياة أبي حيان ~ وآثاره التي منها البحر المحيط الذي هو مجال لدراسة الترجيحات التفسيرية - من الآية ٨٠ من سورة النحل إلى آخر سورة مريم - في هذه الرسالة.

(١) ستأتي ترجمته في مبحث تلاميذه، ص ٤٤

(٢) انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢٧٦/٩).

(٣) انظر مبحث الدراسات السابقة في مقدمة هذا البحث، ص ١٤

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه^(١)

أولاً - اسمه ونسبه: هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين، أبو حيان الأندلسي الغرناطي^(١)، النَفْزِي^(٢)، الجَيَّانِي^(٣)، وقد صرح أبو حيان أنه من جيان حيث قال: «كان أبي من جيان»^(٤).

وذكر الذهبي^(٥) أنه ينسب إلى جده لأبيه فيقال له:

(١) انظر في ترجمته:

نكت الهميان (٢٨٠ - ٢٨٦)، والوافي بالوفيات (٢٧٧ / ٥ - ٢٨١)، ونفح الطيب (٥٣٥ / ٢ - ٥٨٤)، والإحاطة في أخبار غرناطة (٤٣ / ٣ - ٦٠)، ومعرفة القراء الكبار (٣٨٧)، والدرر الكامنة (٥٨ / ٦ - ٦٥)، والنجوم الزاهرة (١١١ / ١٠ - ١١٥)، وفوات الوفيات (٧١ / ٤ - ٧٩)، والمختصر في أخبار البشر (١٤٢ / ٤)، ووفيات ابن رافع (٤٨٢ / ١ - ٤٨٤)، ووفيات ابن قنفذ (٣٤٩)، وبغية الوعاة (٢٨٠ / ١ - ٢٨٥)، وطبقات المفسرين للداودي (٢٨٧ / ٢ - ٢٨٩)، وطبقات المفسرين للأذنه وي (٢٧٩)، وشذرات الذهب (١٤٥ / ٦ - ١٤٧)، من ذيل العبر (٢٤٣ / ٦ - ٢٤٤)، ومعجم المؤلفين (١٢٠ / ١٢ - ١٣١)، وتذكرة الحفاظ (٢٣ - ٢٦)، والإعلام للزركلي (١٥٢ / ٧).

(٢) غَرْنَاطَة: بفتح أوله، وسكون ثانيه ثم نون، وبعد الألف طاء مهملة، هي قاعدة بلاد الأندلس، ومن أقدم بلادها، وأعظمها وأحسنها وأحصنها، انظر معجم البلدان (١٩٥ / ٤). وتقع غرناطة على سفح جبال سيرا ينغادا في أسبانيا، على ارتفاع ٧٣٨ م فوق سطح البحر، الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

(٣) النفزي: نسبة إلى نَفْزَة: بالفتح ثم السكون، وزاي، وقيل: نفزة بكسر النون، قبيلة من البربر، وهي مدينة بالمغرب بالأندلس. انظر شذرات الذهب (١٤٥ / ٦)، ومعجم البلدان (٢٩٦ / ٥)، طبقات المفسرين (٢٨٧ / ٢)، إحدى مدن الجمهورية التونسية تبعد ٤٠ كم عن مدينة باجة، ١٥٠ كم عن العاصمة تونس، وهي المنفذ الوحيد لولاية باجة على البحر المتوسط، الموسوعة الحرة.

(٤) الجياني: نسبة إلى جَيَّان: بالفتح ثم التشديد، وآخره نون، مدينة لها كورة واسعة بالأندلس، تتصل بكورة البيرة مائلة عن البيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة، وهي كورة كبيرة تجمع قرى كثيرة وبلدانا. انظر المشتبه (١٢٨)، ومعجم البلدان (١٩٥ / ٢)، ونفح الطيب (٢٤٤ / ١)، والدرر الكامنة (٧٠ / ٥)، وتقع حالياً جنوب أسبانيا وفي الشمال الغربي لأقليم الأندلس ذاتي الحكم، الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

(٥) انظر نفح الطيب (٢٤٤ / ١)، والدرر الكامنة (٧٠ / ٥).

(٦) الذهبي: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي، ولد سنة ٦٧٣ هـ، المقرئ المحدث،

الحياني^(١)،^(٢)، فهو الغرناطي المولد والنشأة، الجياني الأصل، الأندلسي الانتماء، المصري الديار.

ثانياً: كنيته ولقبه:

يكنى محمد بن يوسف بأبي حيان أكبر أولاده^(٣)، وقد جاء في صدر البحر عند التعريف بمؤلفه تكنيه بأبي عبدالله^(٤)، ولم يعرف بهذه الكنية، وأبو حيان نفسه ينفىها؛ وذلك عند تفسيره قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾^(٥)، وعند قول عمر رضي الله عنه: «أشيعوا الكنى فإنها سنة»^(٦) حيث يعقب على هذا الأثر بقوله: «ولا سيما إذا كانت الكنية غريبة، لا يكاد يشترك فيها أحد مع من تكنى بها في عصره، فإنه يطير بها ذكره في الآفاق، وتتهادى أخباره الرفاق، كما جرى في كنيتي بأبي حيان واسمي محمد، فلو كانت كنيتي أبا عبدالله، أو أبا بكر، مما يقع فيه الاشتراك لم اشتهر تلك الشهرة»^(٧).

وقد لا زمت أبا حيان هذه الكنية، وإن لم يختص بها، فقد شاركه فيها رجال آخرون منهم:

١ - أبو حيان التوحيدي^(٨).

= كان صالحاً خيراً صنّف كثيراً وجمع ونفع الناس، توفي سنة ٧٤٨ هـ. انظر معجم الذهبي (١ / ٧١)، والوفيات (٢ / ٥٥).

(١) المشتبه في الرجال (١٧٩).

(٢) انظر الدرر الكامنة (٦ / ٦٣)، وشذرات الذهب (٦ / ١٤٥)، وغاية النهاية (٢ / ٢٨٥)، فوات الوفيات (٤ / ٧١).

(٣) انظر شذرات الذهب (٧ / ٦٠).

(٤) جاء في مقدمة أبي حيان في أول البحر: قال الشيخ.... الاستاذ أبو عبدالله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الجياني ~ وأمتع بعلومه المسلمين». انظر البحر (١ / ٩٩).

(٥) سورة الحجرات: آية ١١.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) البحر المحيط (٨ / ١١٢).

(٨) هو علي بن محمد بن العباس، أبو حيان التوحيدي، نزيل نواحي فارس، قال الذهبي: صاحب زندقة

٢ - أبو حيان محمد بن محمد المعروف بابن السراج^(١).

٣ - كما اشتهر بهذه الكنية وسمي بها حفيده، وهو من شيوخ ابن حجر^(٢).

أما لقبه:

فأثير الدين، وهو من الألقاب الشرقية المركبة^(٣).



= وانحلال بقي إلى سنة أربعمائة. انظر لسان الميزان (٣٨ / ٧)، والكشف الحثيث ص (٢٨٧).

(١) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات للموسري (٢٠٥ / ٤).

(٢) الدرر الكامنة (٧٦ / ٥)، وشذرات الذهب (٦٠ / ٧) وسيأتي ذكره في مطلب أسرته، ص ٢٩.

(٣) انظر مباحث المعاني في تفسير البحر المحيط ص (١٤)، والإحاطة في أخبار غرناطة (٤٣ / ٣).

المبحث الثاني: مولده، وصفاته الخلقية والخلقية، وأسرته

❁ أولاً: مولده:

ولد أبو حيان ~ في غرناطة، وقيل: بمدينة مَطَخَشَارِش^(١)، وكان مولده في العشر الأواخر من شوال سنة ستمائة وأربع وخمسين من الهجرة، وقيل: ولد سنة ستمائة واثنين وخمسين^(٢)، ولكن يقوي القول الأول قول أبي حيان في مقدمة كتابه البحر المحيط: «فأتاح الله لي ذلك، يريد اشتغالي بالتفسير قبل بلوغي ذلك العقد، وبلغت ما كنت أروم من ذلك بانتصابي مدرساً في علم التفسير في قبة السلطان الملك المنصور - قدس الله مرقده - وذلك في دولة ولده السلطان القاهر الملك الناصر، الذي رد الله به الحق إلى أهله، وكان ذلك في أواخر عشر وسبعمائة وهي أوائل سبع وخمسين من عمري فعكفت على تصنيف هذا الكتاب»^(٣).

كما يقويه أن أبا حيان أخبر به تلميذه الصفدي في إجازته التي بعث بها إليه^(٤).

❁ ثانياً: صفات أبي حيان الخلقية والخلقية:

أ: صفاته الخلقية:

كان معتدل القامة، ذالمة وافرة، مستدير الوجه، مليحاً، ظاهر اللون مشرباً بحمرة، منور الشبية، كبير اللحية مسترسل الشعر فيها، لم تكن كثة، حسن العمة، طلق اللسان، فصيح الكلام، يعقد حرف القاف قريباً من الكاف على أنه لا ينطق بها في القرآن إلا فصيحة

(١) وهي ضاحية بغرناطة، وقيل: من حصون غرناطة. انظر طبقات الداودي (٢/ ٢٨٧)، وطبقات الأدنه وي (٢٧٩)، وشذرات الذهب (٦/ ١٤٥)، والبلغة (١/ ١٨٥).

(٢) انظر بغية الوعاة (٢٨٠)، والشهادة الزكية (١/ ٣١)، وغاية النهاية (٢/ ٢٨٥)، وشذرات الذهب (٦/ ١٤٥)، النجوم الزاهرة (١/ ١١٢)، الدرر الكامنة (٦/ ٥٨).

(٣) البحر المحيط (٣/ ١).

(٤) الوافي بالوفيات (٥/ ٢٧٧ - ٢٨١)، ونفح الطيب (٢/ ٥٤٩ - ٥٥٣)، وبغية الوعاة (١/ ٢٨٢).

حسن النعمة، جهوري الصوت، مليح الحديث^(١).

ب: صفاته الخُلُقِيَّة.

١ - خشوعه:

كان ~ كثير الخشوع والبكاء عند قراءة القرآن، وسماعه^(٢).

٢ - حرصه:

كان ~ يوصي طلابه بحفظ دراهمهم حتى لا يحتاجوا لأحد، حتى قال الأدفوي^(٣): «أنه كان يفتخر بالبخل كما يفتخر الناس بالكرم، وكان يقول لي: أوصيك احفظ دراهمك ويقال عنك بخيل، ولا يحتج إلى السفل»^(٤).

مما جعل الأدفوي يعتذر عنه قائلاً: «والذي أراه فيه أنه طال عمره وتغرب وورد البلاد ولا شيء معه، وتعب حتى حصل المناصب تعباً كثيراً، وكان قد جرب الناس، وحلب أشطر الدهر، ومرت به حوادث فاستعمل الحزم»^(٥).

٣ - تواضعه:

قال لتلميذه الصفدي عندما طلب إجازته: «أعزك الله ظننت بإنسان جميلاً، فغاليت وأبديت من الإحسان جزيلاً، وما باليت، وصفت من هو القتام»^(٦) يظنه الناس سماء، والسراب يحسبه الظمان ماء، يا ابن الكرام، وأنت أبصر من يشيم، أمع الروض النضير يرعى الهشيم؟ أما أغنتك فضائلك وفواضلك ومعارفك وعوارفك عن نغبة من دأماء

(١) انظر: نفح الطيب (٣/ ٢٩٧ - ٣٢١)، ونكت الهميان ص (٢٨١)، وشذرات الذهب (٦/ ١٤٦)، وفوات الوفيات (٢/ ٥٥٥)، والمنهل الصافي (٥/ ٦٨ - ٧٢)، وأعيان العصر ص (٧)، وبغية الوعاة (١/ ٢٨٢).

(٢) انظر شذرات الذهب (٦/ ١٤٦)، والدرر الكامنة (٦/ ٦٤ - ٦٥).

(٣) سيأتي ترجمته في مبحث: تلاميذه، ص ٤٣.

(٤) انظر نفح الطيب (٢/ ٥٤٤)، وشذرات الذهب (٦/ ١٤٦)، والدرر الكامنة (٦/ ٦٥).

(٥) نفح الطيب (٢/ ٥٤٤).

(٦) القتام: الغبار. انظر قاموس المحيط ص (١٤٨٠).

وتربة من يهء لقد تبلجت المهارق^(١) من نور صفحاتك، وتأرجت الأكوان من أريج نفحاتك، ولأنت أعرف من يقصد للدراية، وأنقد من يعتمد عليه في الرواية، لكنك أردت أن تكسو من مطارفك، وتتفضل من تالدك وطارفك، وتجلو الخامل في منصة النباهة، وتنقذه من لكن الفهاهة، فتشيد له ذكراً، وتعلي له قدراً، ولم يمكنه إلا إسعافك فيما طلبت، وإجابتك فيما إليه ندبت، فإن المالك لا يعصى، والمتفضل المحسن لا يقصى، وقد أجزت لك -أيديك الله تعالى- جميع ما رويته عن أشياخي^(٢).

٤ - هيئته:

كان شديد البسط، مهيباً، جهورياً مع الدعابة، وطرح التسمت^(٣).

٥ - عفة نفسه:

وأشار إلى ذلك بقوله:

أريد من الدنيا ثلاثاً، وإنها
لغاية مطلوب لمن هو طالب
تلاوة قرآن ونفس عفيفة
وإكثار أعمال عليها أو اظب^(٤)

❁ ثالثاً: أسرته:

بعد استقراء كتب التراجم والسير لم أجد من ترجم أو تعرض لأبويه، ولكنه نقل عن والده في بعض المواضع، فقال: « وقال سيدي: - فسح الله في مدته -
أما زوجته فهي: زمردة بنت أبرق^(٥)، وقد أسمعها أبو حيان على الأبرهوقي^(٦)،

(١) المهارق: الصحائف. انظر لسان العرب (١٠/٣٦٥)، تاج العروس ص (٦٦٢٨).

(٢) انظر نفح الطيب (٢/٥٤٩).

(٣) انظر نفح الطيب (٢/٥٨٠).

(٤) انظر نفح الطيب (٢/٥٦٤).

(٥) بفتح الهمزة وسكون التحتانية. انظر لسان العرب (٤/٥٦٨).

(٦) أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد بن علي الهمداني نزيل القاهرة. انظر الدرر الكامنة (١/١٠١).

وغيره وسمع منها البرزالي^(١)، وكانت تكنى: أم حيان، توفيت في ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وسبعمئة^(٢).

وأما أبناؤه فهم:

١ - نُصَار^(٣) بنت محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، وكانت تكنى: (أم العز)، شاعرة، أديبة، فاضلة، ولدت في جمادي الآخرة سنة اثنتين وسبعمئة^(٤) وكان والدها يشني عليها خيراً.

قال الصفدي: «قال لي والدها: إنها خرجت لنفسها، وإنها تعرب جيداً، وأظنه قال لي: إنها تنظم الشعر»^(٥) وإن أخاها حيان لم يبلغ ما بلغته من الاطلاع ولذلك كان أبوها يقول: ليت أخاها كان مثلها، وتوفيت سنة ٧٣٠ هـ، ولما توفيت حزن عليها حزناً شديداً، وألف فيها كتاباً سماه (النُّصَار في المسلاة عن نُصَار)^(٦).

٢ - حيان بن محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الذي تلا بالسبع على أبيه توفي سنة ٧٦٤ هـ^(٧).

٣ - حفيده: محمد بن حيان بن أبي حيان، اشتهر بكنية جده أبي حيان، وقد أدرك جده وسمع منه، وهو من شيوخ الحافظ ابن حجر^(٨).

(١) القاسم محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف البرزالي، انظر الدرر الكامنة (٣/ ٣٢١).

(٢) انظر نفح الطيب (٣/ ٣٢٥).

(٣) بضم النون وتخفيف الضاد. ومعنى النُّصَار: الخالص من الجوهر، وجمعه: أنُضر. انظر لسان العرب (٥/ ٢١٠).

(٤) انظر الدرر الكامنة (٤/ ٢٤٢).

(٥) انظر نفح الطيب (٣/ ٣١٥)، والأعلام (٨/ ٣٥٦).

(٦) سيأتي في مبحث مؤلفاته، ص ٤٥.

(٧) انظر الدرر الكامنة (٢/ ١٧٠).

(٨) انظر الدرر الكامنة (٥/ ٧٦)، وشذرات الذهب (٧/ ٦٠).

المبحث الثالث: نشأته وطلبه للعلم

مما لا شك فيه أن للوراثة والبيئة التي يعيش فيها الإنسان أثراً واضحاً في نشأته وتكوين شخصيته العلمية، ولقد اجتمع لأبي حيان هذان الأمران، وتوفر له ذانك العاملان:

فالعامل الأول (أعني الوراثة) كان موجوداً، فأبوه عَلَمٌ من أعلام التفسير كما أخبر بذلك أبو حيان أثناء تفسيره سورة الكهف^(١).

وأما العامل الثاني (توفر بيئته العلمية والجدّ والتحصيل) فناهيك بذلك، إذ أن أبا حيان ~ نشأ في غرناطة وهي من أكبر مدن الأندلس، وفيها نشطت الحياة الفكرية والعلمية، فكانت محط نظر العلماء في كثير من العلوم، وخاصة العلوم الدينية والعربية، وكان أكثرها اهتماماً قراءة القرآن الكريم برواياته المتعددة، ورواية الحديث، ودراسة الفقه، وكان لعلم الأدب نصيب وافر^(٢).

ولما بلغ أبو حيان سن التمييز والإدراك، أرسله أبوه إلى المكتب ليحفظ القرآن الكريم ويتعلم القراءة والكتابة، كما هي عادة أهل الأندلس في تنشئة أولادهم ورغبتهم في تحصيلهم للعلم.

واجتهد أبو حيان في طلبه وتحصيله للعلوم المختلفة على شيوخ عصره، وعلماء بلده، حتى ظهرت نباهته، وذاع صيته بين أقرانه، وكثر ثناء شيوخه عليه^(٣).

قال لسان الدين ابن الخطيب^(٤) ~ : « كان أثير الدين أبو حيان نسيج وحده في

(١) انظر البحر المحيط (١/ ٢٨-٣١) مقدمة المحقق، طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) انظر: نفح الطيب (١/ ٢٠٥ - ٢٠٨).

(٣) انظر: بغية الوعاة (١/ ٢٨٠).

(٤) لسان الدين بن الخطيب: محمد بن عبدالله بن سعيد بن الخطيب، ولد سنة ٧١٣ هـ، برز في الطب، وبرع في الشعر، قتل خنقاً سنة ٧٧٦ هـ. انظر: الدرر الكامنة (٥/ ٢١٣ - ٢١٦)، وشذرات الذهب (٢٤٤ - ٢٤٧)، والبدر الطالع (٢/ ١٩١ - ١٩٤).

ثقوب الذهن، وصحة الإدراك، والاطلاع بعلوم العربية والتفسير وطريق الرواية»^(١).
وقال الصفدي^(٢) ~ : « واجتهد في طلب التحصيل، والتقيد، والكتابة، ولم أر في
أشياخي أكثر اشتغالا منه، لأنني لم أره قط إلا يسمع، أو يشتغل، أو يكتب، أو ينظر في
كتاب، ولم أره على غير ذلك »^(٣).

وقد عني أبو حيان ~ بطلب الحديث، والفقه، والتفسير، واللغة، ورحل في سبيل
ذلك، فقرأ القرآن بالروايات، وسمع الحديث بجزيرة الأندلس، وبلاد إفريقية، وثمر
الإسكندرية، وديار مصر، والحجاز، وحصل الإجازات من الشام، والعراق وغير ذلك^(٤).
فتنقل أبو حيان ~ في مدن الأندلس يطلب العلم فيها ويتلقى عن علمائها، ثم رحل عنها
سنة ٦٧٧ هـ^(٥).

نقل عنه الرعيني^(٦) قوله: « سمعت بغرناطة، ومالقة^(٧)، وبَلَّش^(٨)، والمرية^(٩)،

- (١) نفح الطيب: (٢/ ٥٨٠).
- (٢) الصفدي: ستأتي ترجمته في مبحث: تلاميذه، ص ٤٣
- (٣) بغية الوعاة: (١/ ٢٨٢)، الدرر الكامنة: (٦/ ٥٨)، شذرات الذهب: (٦/ ١٤٥)، نكت الهميان: (٢٨٠).
- (٤) انظر: الوافي بالوفيات: (٥/ ١٧٥)، وفوات الوفيات: (٤/ ٧٢)، والنجوم الزاهرة: (١٠/ ١١٢) من ذيول العبر: (٦/ ٢٤٣).
- (٥) ذيل تذكرة الحفاظ: (٢٤).
- (٦) ستأتي ترجمته في مبحث: تلاميذه، ص ٤٤
- (٧) مالقة: بفتح اللام والقاف، كلمة عجمية، مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رية، سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية، انظر: معجم البلدان: (٥/ ٤٣)، مدينة إسبانية قديمة تطل على البحر المتوسط، تقع وسط منطقة كوستادل سول، وهي أهم ميناء إسباني بعد برشلونة، الموسوعة الحرة.
- (٨) بلّش: بالفتح وتشديد اللام والشين معجمة بلد بالأندلس. انظر: معجم البلدان: (١/ ٤٨٤).
- (٩) المرية: بالفتح ثم الكسر، وتشديد الياء بنقطتين من تحتها، مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس، يعمل بها الوشي والديباج، انظر: معجم البلدان: (٥/ ١١٩)، وهي عاصمة مقاطعة الميريا، تقع جنوب شرق إسبانيا على البحر المتوسط وهي حديثة بالنسبة إلى المدن الأندلسية بناها الخليفة عبدالرحمن الناصر، سنة ٣٤٤ هـ، الموسوعة الحرة.

وبجاية^(١)، وتونس، والاسكندرية، ومصر، والقاهرة، ودمياط، والمحلة^(٢)،
وطهرمس^(٣)، والجيزة^(٤)، ومئية بني خُصيب^(٥)، ودشنا^(٦)، وقنا^(٧)، وقوص^(٨)،
وبلبيس^(٩)، وبُعَيْذَاب^(١٠) من بلاد السودان، وينبع، ومكة - شرفها الله تعالى -

(١) بجاية: مدينة على البحر المتوسط بين إفريقية والمغرب، وهي في لحف جبل شاهق وفي قبلتها جبال. انظر: معجم البلدان: (٣٣٩/١)، مدينة جزائرية تقع على ساحل البحر المتوسط، وبناها المسلمون في القرن الخامس الهجري: وتعرف باسم بوجاية، الموسوعة الحرة.

(٢) المحلة: بالفتح، والمحل والمحلة الموضع الذي يُحل به، وهي مدينة مشهورة بالديار المصرية، انظر: معجم البلدان: (٦٣/٥)، المحلة الكبرى وهي كبرى مدن محافظة الغربية.

(٣) طهرمس: بالضم، وسكون الراء، وضم الميم، وآخره سين مهملة، قرية بمصر. انظر: معجم البلدان: (٥٢/٤)، قرية تابعة للجيزة، الموسوعة الحرة.

(٤) الجيزة: بالكسر، بليدة في غربي فسطاط مصر قبالتها، ولها كورة كبيرة واسعة، وهي من أفضل كور مصر. انظر: معجم البلدان: (٢٠٠/٢)، عاصمة محافظة الجيزة، وتقع مدينة الجيزة في شمال مصر بين نهر النيل شرقاً والصحراء غرباً وتبعد ٢٠ كيلومتراً غرب القاهرة، الموسوعة الحرة.

(٥) مئية بني الخصيب: في معجم البلدان مئية أبي الخُصيب: بالضم ثم السكون ثم ياء مفتوحة، مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل في الصعيد الأدنى. انظر: معجم البلدان: (٢١٨/٥)، عاصمة محافظة المنيا، الموسوعة الحرة.

(٦) دشنا: في معجم البلدان «دشنى» بكسر أوله، وسكون ثانيه، ونون مفتوحة، مقصور، وهي بلد بصعيد مصر شرقي النيل، ذو بساتين ومعاصر للسكر. انظر: معجم البلدان: (٤٥٦/٢)، تقع في محافظة قنا، الموسوعة الحرة.

(٧) قنا: بكسر القاف، بينها وبين قوص يوم واحد. انظر: معجم البلدان: (٣٩٩/٤)، وهي عاصمة محافظة قنا في جنوب مصر، وأكبر مدنها، الموسوعة الحرة.

(٨) قوص: بالضم ثم السكون، وصاد مهملة، مدينة كبيرة عظيمة واسعة، قسبة صعيد مصر، انظر: معجم البلدان: (٤١٣/٤)، مدينة ومركز بمحافظة قنا، وتقع على الساحل الشرقي من النيل جنوب القاهرة بحوالي ٦٤٥ كم. الموسوعة الحرة.

(٩) بلْبِيس: بكسر الباءين، وسكون اللام، وياء، وسين مهملة، انظر: معجم البلدان: (٤٧٩/١)، تقع بمحافظة الشرقية بمصر، الموسوعة الحرة.

(١٠) بعيزاب: في معجم البلدان عَيْذَاب بالفتح ثم السكون، وذال معجمة، وآخره باء موحدة، بليدة على ضفة بحر القلزم - البحر الأحمر - مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد. انظر: معجم البلدان: ➡=

وَجُدَّة، وآيِلَة^(١)»^(٢).

وله في كل بلد شيوخ حتى استقر به المقام في القاهرة سنة ٦٨٠ هـ^(٣).

وقد ذكر من ترجم لأبي حيان ~ سببين اثنين حملاه على الرحيل من بلاده الأندلس:

الأول: أنه نشأ بينه وبين شيخه أحمد بن علي بن الطباع شرٌّ وحزaze. فآلف أبو حيان كتاباً سماه (الإلماع في إفساد إجازة الطباع)، فرفع ابن الطباع أمره للأمير^(٤)، وكان أبو حيان كثير الاعتراض عليه أيام قراءته عليه، فنشأ شر من ذلك، وعلى هذا السبب أكثر المؤرخين وأصحاب التراجم^(٥).

الثاني: ذكره بعضهم^(٦) نقلاً عن كتاب «النضار في المسألة عن نضار»^(٧) لأبي حيان الذي آلفه في ذكر مبدئه واشتغاله وشيوخه ورحلته أنه مما قوى عزمه على الرحلة عن غرناطة أن بعض العلماء بالمنطق والفلسفة قال للسلطان: «إني قد كبرت وأخاف أن أموت، فأرى أن ترتب لي طلبة أعلمهم هذه العلوم، لينفعوا السلطان من بعدي»، قال أبو حيان: «فأشير إلي أن أكون من أولئك، ويرتّب لي راتبٌ جيّد، وكساء، وإحسان، فتمنّعتُ ورحلت

= (٤/ ١٧١)، ولم أقف على تعريفها حديثاً.

(١) أيّلة: بالفتح، مدينة على ساحل البحر الأحمر مما يلي الشام. انظر: معجم البلدان: (١/ ٢٩٢)، ولم أقف على تعريفها حديثاً.

(٢) نفح الطيب: (٢/ ٥٦٠).

(٣) انظر: ذيل تذكرة الحفاظ: (٢٤).

(٤) الأمير هو محمد بن الأحمر. انظر الوافي بالوفيات (٧/ ٢٤٠).

(٥) انظر نفح الطيب (٢/ ٥٨٣-٥٨٤)، والدرر الكامنة (٤/ ١٨٥-١٨٦)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٢٨٨-٢٨٩)، وشذرات الذهب (٦/ ١٤٦).

(٦) ذكره السيوطي في بغية الوعاة (١/ ٢٨١)، والداوودي في طبقات المفسرين (٢/ ٢٨٩)، وشذرات الذهب (٦/ ١٤٦).

(٧) هذا الكتاب آلفه أبو حيان في ابنته نضار التي فقدها سنة ٧٣٠ هـ، ولطالما أثنى عليها كثيراً. انظر نفح الطيب (٢/ ٥٥٩) والدرر الكامنة (٤/ ٢٤٢).

مخافة أكره على ذلك»^(١).

ولا يبعد أن يكون ~ خرج للأمرين كليهما، منضافاً إليهما طموحه في الاستزادة من العلم الذي دفعه إلى مغادرة الأندلس، ممتزجاً بالخشية على حياته من وشاية أو فتنة^(٢).

وقد أفاد ~ من رحلاته الشيء الكثير؛ حيث تعددت شيوخه، وغزر علمه، مما كان له الأثر الكبير في مسيرته العلمية، حتى حط رحاله بالقاهرة فذاع صيته، وعلت مكانته ومنزلته بين الناس، فكان عالم زمانه.

وكان ~ ثبناً فيما ينقله، محرراً لما يقوله، عارفاً باللغة ضابطاً لألفاظها، حتى برع في علوم شتى، فأما النحو والتصريف فهو إمام الناس فيهما، وله اليد الطولى في التفسير، والحديث، والشروط، والفروع، وتراجم الناس، وطبقاتهم، وحوادثهم^(٣). كما برع ~ في إتقان لغات أخرى غير العربية.

قال ~ : "وقد اطلعت على جملة الألسن: كلسان الترك، ولسان الفرس، ولسان الحبش، وغيرهم وصنفت فيها كتباً في لغتها، ونحوها، وتصريفها، واستفدت منها غرائب"^(٤).

فمما سبق نجد أن أبا حيان ~ تميز في طلبه للعلم بعدة أمور منها:

١ - صبره وتحمله في طلب العلم.

٢ - بذله قصارى جهده في تحصيل العلم ليلاً ونهاراً.

٣ - حرصه على تلقي العلم من العلماء.

٤ - قوة حفظه ~ .

٥ - همته العالية في طلب العلم.

(١) انظر بغية الوعاة (١/ ٢٨١)، وطبقات الداوودي (٢/ ٢٨٩)، وشذرات الذهب (٦/ ١٤٦).

(٢) انظر أبو حيان وتفسيره البحر المحيط لبدر البدر ص (٢٧).

(٣) انظر: نفح الطيب: (٢/ ٥٤١).

(٤) منهج السالك: (٢٣١).

٦ - الدقة في النقل والتحرير.

قال ~ : « وما زلت من لدن ميزت أتلמד للعلماء، وأنحاز للفهماء، وأرغب في مجالسهم، وأنافس في نفائسهم، وأسلك طريقهم، وأتبع فريقهم، فلا أنتقل إلا من إمام إلى إمام... فجعلت العلم والنهار سحيري، وبالليل سميري... وأنا أتوسد أبواب العلماء، وأتقصد أمثال الفهماء، وأسهر في حنادس الظلام، وأصبر على شظف الأيام وأوثر العلم على الأهل والمال والولد، وأرتحل من بلد إلى بلد »^(١).

وعن حفظه قال ~ : « وقد حفظت في صغرى في علم اللغة كتاب الفصيح لأبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني^(٢)... »^(٣).



(١) البحر المحيط: (١/١٠١).

(٢) أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني مولا هم المعروف بثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة، ولد سنة ٢٠٠ هـ، وتوفي سنة ٢٩١ هـ. انظر: تاريخ بغداد: (٥/٢٠٤ - ٢١٢)، ومعجم الأدباء: (٢/٥٥ - ٧٨).

(٣) البحر المحيط: (١/١٠٥ - ١٠٦).

المبحث الرابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

يعد أبو حيان ~ نحوي عصره، ولغوي، ومفسره، ومحدثه، ومقرئه، ومؤرخه، وأديبه؛ حيث كان بحراً زاخراً في النحو، حتى لقب بالنحوي، وهو فريد دهره، وشيخ النحاة في عصره، وإمام المفسرين في وقته، وصاحب التصانيف المشهورة التي سارت شرقاً وغرباً^(١).

وقال الأسنوي^(٢) ~ : « كان إمام زمانه في علم النحو إماماً في اللغة عارفاً بالقراءات والحديث شاعراً مجيداً صادق اللهجة كثير الاتقان والاستحضار »^(٣).

وقال الرعيني ~ : « وهو شيخ فاضل ما رأيت مثله كثير الضحك والانبساط بعيد عن الانقباض جيد الكلام حسن اللقاء جميل المؤانسة فصيح الكلام طلق اللسان »^(٤).

وقال الذهبي ~ : « أبو حيان ذو فنون، حجة العرب، وعالم الديار المصرية له عمل جيد في هذا الشأن، وكثرة طلب »^(٥).

قال ابن الجزري^(٦) ~ : « الإمام الحافظ الأستاذ شيخ العربية والأدب والقراءات مع العدالة والثقة »^(٧).

(١) انظر: بغية الوعاة: (١/ ٢٨٠)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٤٥)، ومعجم المؤلفين: (١١/ ١٣٠)، والمختصر في أخبار البشر: (٣/ ١٤٢)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهاب: (٣/ ٦٧).

(٢) ستأتي ترجمته في مبحث: تلاميذه، ص ٤٤

(٣) انظر: الدرر الكامنة: (٦/ ٦٥).

(٤) انظر: نفح الطيب: (٢/ ٥٦٥).

(٥) انظر: الدرر الكامنة: (٦/ ٦٥).

(٦) ابن الجزري: محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري، شمس الدين، أبو الخير، صاحب (النشر في القراءات العشر) وتقريبه، والتجوير، ولد سنة ٧٥١ هـ، وتوفي سنة ٨٣٣ هـ. انظر: غاية النهاية:

(٢/ ٢٤٧ - ٢٥١)، وطبقات الحفاظ للسيوطي: (٥٧٥).

(٧) غاية النهاية: (٢/ ٢٨٥).

وقال الداوودي ^(١) ~ : « وتقدّم في النحو، وأقرأ في حياة شيوخه بالمغرب، وسمع الحديث بالأندلس، وإفريقية، ومصر، والحجاز من نحو أربعمئة وخمسين شيخاً...، وأجاز له خلق من المغرب والمشرق...، وأكب على طلب الحديث وأتقنه وبرع فيه، وفي التفسير، والعربية، والقراءات، والأدب، واشتهر اسمه، وطار صيته، وأخذ عنه أكابر عصره، وتقدموا في حياته... » ^(٢).

وقال الشوكاني ^(٣) ~ : « تبحر في اللغة والعربية والتفسير وفاق الأقران وتفرد بذلك في جميع أقطار الدنيا ولم يكن بعصره من يماثله » ^(٤).
هذه بعض أقوال العلماء فيه وثنائهم عليه تشير إلى فضله ومكانته، وسعة علمه، ومدى تأثيره في الحركة العلمية ~ .



(١) الداوودي: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين، العلامة الحافظ المفسر، شيخ أهل الحديث في عصره (... - ٩٤٥ هـ) شذرات الذهب: (٨/ ٢٦٤)، والأعلام: (٧/ ١٨٤)، ومعجم المؤلفين: (١٠/ ٣٠٣).

(٢) طبقات المفسرين: (٢/ ٢٨٧ - ٢٨٨).

(٣) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ولد سنة ١١٧٣ هـ، مفسر، فقيه مجتهد توفي سنة ١٢٥٠ هـ انظر: البدر الطالع: (٢/ ٢١٤ - ٢٢٥)، الأعلام: (٦/ ٢٩٨).

(٤) البدر الطالع: (٢/ ٢٨٨).

المبحث الخامس: شيوخه وتلاميذه

❁ أولاً: شيوخه:

برع أبو حيان ~ في علوم كثيرة في التفسير والحديث واللغة وغيرها، مما يشير إلى سعة اطلاعه ومعرفته، وهذا عادة ما يكون من أثر ثني الركب بين يدي الشيوخ.

وقد تلقى أبو حيان ~ العلم على كثير من العلماء.

قال ~ : «وجملة من سمعت منهم نحو أربعمائة شخص وخمسين، وأما الذين أجازوني فعالم كثير جداً من أهل غرناطة، ومالقة، وسبتة^(١)، وديار مصر، والحجاز والعراق، والشام»^(٢).

وقال: «وجملة من سمعت منهم خمسمائة، والمجيزون أكثر من ألف»^(٣).

وقد ذكر أبو حيان ~ أكثر شيوخه في إجازته التي كتبها للصفدي، وسأقتصر على ذكر بعض شيوخه وقد ذكرتهم حسب تواريخ وفياتهم، فمنهم:

١ - أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عيس بن عياش، أبو جعفر، المعروف بابن الطباع الرعيني الغرناطي، ولد سنة ٦٠٧ هـ، إمام حاذق مشهور نبيل صالح، وقد ذكره أبو حيان في البحر بقوله: «وقد قرأت القرآن بقراءة السبعة بجزيرة الأندلس على الخطيب أبي جعفر أحمد بن علي بن محمد الرعيني، عرف بابن الطباع بغرناطة»^(٤).

(١) سبتة: بفتح أوله، وضبطه الحازمي بكسر أوله، وهي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب، ومرساها أجود مرسى على البحر وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البر والجزيرة. انظر: معجم البلدان: (٣/١٨٢)، مدينة مغربية مختلة من طرف أسبانيا ومحاطة بالأراضي المغربية وأصبحت منذ ١٩٩٥ م تتمتع بصيغة الحكم الذاتي داخل أسبانيا، الموسوعة الحرة.

(٢) انظر: الوافي بالوفيات: (٥/٢٨٠).

(٣) انظر: نفح الطيب: (٢/٥٦٠).

(٤) انظر: البحر المحيط: (١/١٠٩).

توفي سنة ٦٨٠ هـ^(١).

٢ - إسماعيل بن هبة الله بن علي المليجي، أبو طاهر، قرأ عليه أبو حيان القراءات، حيث قال: « وقرأت القرآن بالقراءات السبع بمصر - حرسها الله تعالى - على الشيخ المسند العدل فخر الدين أبي الطاهر إسماعيل بن هبة الله بن علي المليجي »^(٢)، توفي سنة ٦٨١ هـ^(٣).

٣ - حازم بن محمد بن حسن بن محمد الأنصاري، أبو الحسن القرطبي النحوي، شيخ البلاغة والأدب، كان أواخر زمانه في النظم، والنثر، والنحو، واللغة، والعروض، وعلم البيان، توفي سنة ٦٨٤ هـ^(٤).

٤ - أحمد بن أبي الحجاج يوسف بن علي الفهري اللبلي - بسكون الموحدة بين لامين أولاهما مفتوحة - أبو جعفر النحوي اللغوي المقرئ، ولد سنة ٦٢٣ هـ، كان إماماً فاضلاً نحويّاً لغويّاً، عده أبو حيان من أشهر شيوخه، توفي سنة ٦٩١ هـ^(٥).

٥ - محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر، أبو عبدالله بهاء الدين بن النحاس الحلبي، شيخ العربية والأدب بالديار المصرية، كان صالحاً خيراً، ولد سنة ٦٢٧ هـ، تخرج به جماعة من الأئمة وفضلاء الأدب، منهم أبو حيان الذي أثنى عليه، وقرأ عليه كتاب سيبويه، فقال ابن النحاس: عند ختمه: « لم يقرأه أحدٌ علي غيره »، مشهور بالدين والصدق والعدالة، توفي سنة ٦٩٨ هـ^(٦).

(١) انظر: الوافي بالوفيات: (٧/ ٢٤٠)، وغاية النهاية: (١/ ٨٧).

(٢) البحر المحيط: (١/ ١٠٩).

(٣) انظر: الوافي بالوفيات: (٩/ ٢٣٥)، والنجوم الزاهرة: (٧/ ٣٥٦)، وغاية النهاية: (١/ ١٦٩ - ١٧٠) وشذرات الذهب: (٥/ ٣٧٣).

(٤) انظر: الوافي بالوفيات: (٥/ ٢٧٩)، و(١١/ ٢٧١)، وبغية الوعاة: (١/ ٤٩١ - ٤٩٢).

(٥) انظر: الوافي بالوفيات: (٥/ ٢٨٠)، والدياج المذهب: (١/ ٨٠)، وبغية الوعاة: (١/ ٤٠٢ - ٤٠٣).

(٦) انظر: الوافي بالوفيات: (٢/ ١٠)، وفوات الوفيات: (٣/ ٢٩٤)، والنجوم الزاهرة: (٨/ ١٨٣)، وغاية النهاية: (٢/ ٤٦)، وبغية الوعاة: (١/ ١٣ - ١٤).

٦ - محمد بن سليمان بن الحسن البلخي المقدسي، أبو عبدالله المعروف بابن النقيب، المفسر، الفقيه، الزاهد، ولد سنة ٦١١ هـ، له كتاب التحرير والتحرير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير، في خمسين مجلداً، توفي سنة ٦٩٨ هـ^(١).

٧ - أحمد بن عبدالنور بن أحمد بن راشد، أبو جعفر المالكي النحوي، كان عارفاً بالعربية حتى اشتهر بها. وشارك مع ذلك في المنطق على رأي الأقدمين، وعروض الشعر، وفرائض العبادات، توفي سنة ٧٠٢ هـ^(٢).

٨ - عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السداد الأموي، أبو محمد المالقي، اشتهر بالبائع. كان أستاذاً حافلاً، متفنناً مضطلعاً، إماماً في القراءات وعلوم القرآن، ماهراً في صناعة النحو فقيهاً أصولياً، توفي سنة ٧٠٥ هـ^(٣).

٩ - أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر، ولد سنة ٦٢٧ هـ، قال عنه أبو حيان في كتابه النصار: « كان محدثاً وناقداً ونحوياً وأصولياً وأديباً مفوهاً ومقرئاً ومفسراً ومؤرخاً، أقرأ القرآن والحديث بمالقة وغرناطة، وغيرهما، وكان كثير الإنصاف ناصحاً في الإقراء »^(٤). صنف كتباً قيمة، توفي سنة ٧٠٨ هـ^(٥).

١٠ - عبد الحق بن علي بن عبدالله بن محمد الأنصاري، أبو محمد الغرناطي، كان خطيب جامع مُطخَشَارَش بغرناطة، مقرئاً صالحاً عارفاً، لازمه أبو حيان نحواً من سبعة أعوام، وانتفع به؛ حيث قرأ عليه السبع في نحو من عشرين ختمة إفراداً وجمعاً،

(١) انظر: طبقات المفسرين للدودي: (١/ ٢٨٠)، والجواهر المضيئة: (٣/ ١٦٥)، وشذرات الذهب: (٥/ ٤٤٢).

(٢) انظر: غاية النهاية: (١/ ٧٧ - ٧٨)، وبغية الوعاة: (١/ ٣٣١ - ٣٣٢).

(٣) انظر: طبقات المفسرين، للدودي: (١/ ٣٦٦)، وغاية النهاية: (١/ ٤٧٧)، وبغية الوعاة: (٢/ ١٢١ - ١٢٢).

(٤) انظر: بغية الوعاة: (١/ ٢٩١).

(٥) انظر: غاية النهاية: (١/ ٣٢ - ٣٣)، والإحاطة في أخبار غرناطة: (١/ ١٩١)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٦) وبغية الوعاة: (١/ ٢٩١ - ٢٩٢).

وعليه تعلم الهجاء^(١).

هؤلاء بعض شيوخ أبي حيان - رحمهم الله تعالى -، وقد انتفع بعلمهم الشيء الكثير.

موقفه من ابن تيمية - رحمهما الله -:

تذكر كتب التراجم أن أبا حيان ~ قد قابل شيخ الإسلام: أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني المتوفى سنة ٧٢٨ هـ^(٢)، وكانت علاقته به باديء الأمر علاقة حسنة، وقد أثنى عليه أبو حيان ومدحه، حتى قيل إنه ارتجل بعدة أبيات لما قابله يمدحه بها:

لَمَّا أَتَيْنَا تَقِيَّ الدِّينِ لَاحَ لَنَا	دَاعٍ إِلَى اللَّهِ فَرَدُّ مَالِهِ وَزَر
عَلَى مَحْيَاهُ مِنْ سَيِّئِ الْأَلَى صَحَبُوا	خَيْرَ الْبَرِيَّةِ نُورٌ دُونَهُ قَمَرٌ
حَبْرٌ تَسْرِبُ مِنْهُ دَهْرُهُ حَبْرًا	بَحْرٌ تَقَاذِفُ مِنْ أَمْوَاجِهِ الدُّرُّ
قَامَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي نَضْرِ شَرِّعَتَنَا	مَقَامَ سَيِّدَتَيْنِ ^(٣) إِذْ عَصَتْ مُضَرُّ ^(٤)
وَأَظْهَرَ الْحَقُّ إِذْ آثَارَهُ أَنْدَرَسَتْ	وَأَخَذَ الشَّرَّ إِذْ طَارَتْ لَهُ شَرُّ
كُنَّا نُحَدِّثُ عَنْ حَبْرٍ يَجِيءُ بِهَا	أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي قَدْ كَانَ يُتَنَظَرُ

والناظر في هذه الأبيات يجدها مشحونة بالعاطفة، والاحترام، والتقدير، فما سبب جفوة أبي حيان غفر الله له؟ حتى أنه محا هذه الأبيات من ديوانه، وذمه في البحر ورماه بكل

(١) انظر: غاية النهاية: (٣٥٩ / ١)، ونفع الطيب: (٥٥١ / ٢)، ولم يذكروا وفاته.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية (١٣٥ / ١٤)، والدرر الكامنة (٨٨ / ١)، والنجوم الزاهرة (٢٧١ / ٩).

(٣) تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، بطن من قريش من بني مرة، منها أبو بكر الصديق ﷺ. انظر القاموس المحيط ص (١٤٠٠) مادة «تيم»، ولسان العرب (٧١ / ٢).

(٤) قبيلة من العدنانية، وهم بنو مضر بن معد بن عدنان، سمي كذلك لولوعه بشرب اللبن الماضر، كانت لهم الرياسة بمكة والحرم. انظر القاموس المحيط ص (٦١٢) مادة «مضر»، ولسان العرب (١٢٧ / ١٣).

سوء في النهر الماد - كما ذكر ذلك ابن العماد الحنبلي - (١) (٢).

تذكر كتب التراجم أن سبب هذه الجفوة وقوع ابن تيمية في سيبويه (٣)، وتخطئته له في « الكتاب » حيث قال ابن تيمية: « ما كان سيبويه نبي النحو، ولا كان معصوماً بل أخطأ في الكتاب في ثمانين موضعاً »، مما أبرم أبا حيان وصيرها زلة لابن تيمية لا تغتفر؛ إذ كان أبو حيان يجلّ سيبويه غاية الإجلال، ولا يرى أحداً بلغ في العريية مثله.

والسبب الثاني لهذه الجفوة هو لما رأى ما جاء في كتاب العرش لشيخ الإسلام فرماه بالتجسيم وهجره لذلك (٤).

غفر الله لهما وجزاهما خيراً على ما قدما للإسلام والمسلمين.

❁ ثانياً: تلاميذه.

لقد كان لأبي حيان ~ الأثر العظيم على الحركة العلمية في ذلك العصر وذاع صيته والتف حوله التلاميذ ينهلون من علمه، وقد كان لطلابه الأثر الكبير فألفوا وصنفوا في علوم كثيرة، وقد كان يعتني بطلابه ويقبل عليهم مما زاد من إقبالهم عليه.

قال الصفدي: « له إقبال على الطلبة الأذكياء، وعنده تعظيم لهم » (٥).

ومن أشهر تلاميذه وقد ذكرتهم حسب تواريخ وفياتهم:

١ - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم القيسي المالكي، أبو إسحاق

(١) عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الكري الحنبلي، أبو الفلاح، مؤرخ، فقيه، عالم بالأدب، صاحب الشذرات، توفي سنة ١٠٨٩ هـ. انظر خلاصة الأثر (٢/ ٣٤٠)، والأعلام (٣/ ٢٩٠).

(٢) انظر الشذرات (٦/ ١٤٦)، وانظر النهر الماد لأبي حيان (١/ ٩٢).

(٣) سيبويه هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، أبو البشر، إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، توفي سنة ١٨٠ هـ. انظر تاريخ بغداد (١٢/ ١٩٥)، ونزهة الألباء ص (٢٥٤)، وإنباه الرواة (٢/ ٣٤٦)، وبغية الوعاة (٢/ ٢٢٩).

(٤) انظر بغية الوعاة (١/ ٢٨٢)، وشذرات الذهب (٦/ ١٤٦).

(٥) انظر: الوافي بالوفيات: (٥/ ٢٦٧)، ونكت الهميان: (٢٨٠)، ونفح الطيب: (٢/ ٥٤٠).

السَّفَاقُيَّيَّ النحوي، ولد في حدود سنة ٦٩٧ هـ، له همة في الفضائل والعلوم، له إعراب القرآن الكريم، وهو من أجل كتب الأعراب، وأكثرها فائدة جرده من البحر المحيط، توفي سنة ٧٤٢ هـ، وقيل: ٧٤٣ هـ^(١).

٢ - جعفر بن تغلب بن جعفر بن علي الفقيه الشافعي، أبو الفضل الأدفوي - بضم الفاء، نسبة إلى أدفو بلد بصعيد مصر -، ولد في شعبان سنة ٦٨٥ هـ، وقيل: ٦٧٥ هـ، لازم أبا حيان، كان من أهل الدين والصلاح والأدب والعلم، توفي سنة ٧٤٨ هـ^(٢).

٣ - أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم بن أحمد، تاج الدين أبو محمد الحنفي النحوي، ولد سنة ٦٨٢ هـ، لازم أبا حيان دهرًا طويلاً، تقدم في الفقه والنحو واللغة، من تصانيفه: الدر اللقيط من البحر المحيط، توفي سنة ٧٤٩ هـ^(٣).

٤ - أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي، المقرئ النحوي، المعروف بالسمين، نزيل القاهرة، لازم أبا حيان إلى أن فاق أقرانه، كان فقيهاً بارعاً في النحو، والقراءات، ويتكلم في الأصول، خيراً، أديباً، توفي سنة ٧٥٦ هـ^(٤).

٥ - عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري، الشيخ جمال الدين الحنبلي النحوي، الفاضل، العلامة المشهور، أبو محمد، ولد سنة: ٧٠٨ هـ، صنف: مغني اللبيب عن كتب الأعراب اشتهر في حياته وأقبل الناس عليه، توفي سنة ٧٦١ هـ^(٥).

٦ - خليل بن أبيك بن عبدالله، صلاح الدين الصفدي، أبو الصفاء، ولد بصفد بفلسطين وإليها ينسب، ولد سنة ٦٩٦ هـ، أديب ومؤرخ، أخذ النحو عن أبي حيان،

(١) انظر: الديباج المذهب: (٩٢/١)، والدرر الكامنة: (٦١/١ - ٦٢)، وبغية الوعاة: (٤٢٥/١).

(٢) انظر: الدرر الكامنة: (٨٤ - ٨٦)، والنجوم الزاهرة: (٢٣٧/١٠)، وشذرات الذهب: (١٥٣/٦)، والبدر الطالع: (١٨٢ - ١٨٣).

(٣) انظر: الدرر الكامنة: (٢٠٤ - ٢٠٦)، والجواهر المضيئة: (١٩٢/١)، وبغية الوعاة: (٣٢٦/١) - (٣٢٧).

(٤) انظر: الدرر الكامنة: (٤٠٢ - ٤٠٣)، وبغية الوعاة: (٤٠٢/١)، وشذرات الذهب: (١٧٩/٦).

(٥) انظر: النجوم الزاهرة: (٣٣٦/١٠)، وبغية الوعاة: (٦٨ - ٦٩)، وشذرات الذهب: (١٩١/٦) - (١٩٢).

وحصل منه على إجازة بمروياته وشيوخه وتصانيفه، صنف الكثير في التاريخ والأدب، توفي سنة ٧٦٤ هـ^(١).

٧ - عبدالله بن عبدالرحمن بن عقيل الشافعي، قاضي القضاة، نحوي الديار المصرية، ولد سنة ٦٩٨ هـ وقيل: ٦٩٤ هـ، قرأ على علماء عصره، كان إماماً في العربية، والبيان، ويتكلم في الأصول والفقه كلاماً حسناً، ولازم أبا حيان حتى صار من أجل تلاميذه، حتى قال عنه: «ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل»، توفي سنة ٧٦٩ هـ^(٢).

٨ - عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي، تاج الدين أبو نصر السبكي، ولد سنة ٧٢٧ هـ حصل فنوناً من العلم، وكان ذا بلاغة، وطلاوة لسان، عارفاً بالأمور، وانتشرت تصانيفه في حياته، توفي سنة ٧٧١ هـ^(٣).

٩ - عبدالرحيم بن الحسن بن علي بن الجمال، أبو محمد الأسنوي، الفقيه الشافعي، الأصولي النحوي، ولد سنة ٧٠٤ هـ، قال له أبو حيان: «لم أشيخ أحداً في سنك»، انتهت إليه رئاسة الشافعية، وصار المشار إليه بالديار المصرية، درس وأفتى، توفي سنة ٧٧٢ هـ^(٤).

١٠ - محمد بن سعيد بن محمد الرعيني، أبو عبدالله السراج، أحد المحدثين، رحل في طلب العلم، فأخذ عن مشايخ كثير منهم أبو حيان، توفي سنة ٧٧٩ هـ^(٥).

(١) انظر: طبقات الشافعية الكبرى: (١٠/٥ - ٣٢)، والدرر الكامنة: (٢/٢٠٧ - ٢١٠)، والنجوم الزاهرة: (١١/١٩ - ٢١)، والبدر الطالع: (١/٢٤٣ - ٢٤٤).

(٢) انظر: الدرر الكامنة: (٣/٤٢ - ٤٥)، وغاية النهاية: (١/٤٢٨)، وبغية الوعاة: (٢/٤٧ - ٤٨).

(٣) انظر: الدرر الكامنة: (٣/٢٣٢ - ٢٣٥)، والنجوم الزاهرة: (١١/١٠٨ - ١٠٩)، وشذرات الذهب: (٦/٢٢١ - ٢٢٣).

(٤) انظر: الدرر الكامنة: (٣/١٤٧ - ١٥٠)، والنجوم الزاهرة: (١١/١١٤)، وبغية الوعاة: (٢/٩٢ - ٩٣).

(٥) انظر: نيل الابتهاج: (٢٧١)، وفهرس الفهارس: (١/٣٢٦).

المبحث السادس: آثاره ومؤلفاته

كان لأبي حيان ~ تصانيف سارت وطارت وانتشرت في أقطار البلدان وانتفع بها الكثير من الناس، وصاروا أئمة وأشياخاً في حياته.

وقد صَنَّف ~ في علوم كثيرة منها: التفسير، والفقه، والحديث، والنحو، والصرف، والأدب، حتى كتب في اللغات الأخرى، تزيد على الخمسين مؤلفاً^(١)، وقد ذكر معظم مؤلفاته في إجازته التي بعث بها لتلميذه الصَّفدي^(٢).

قال تلميذه صلاح الدين الصَّفدي: «وله التصانيف التي سارت وطارت، وانتشرت وما انتشرت، وقرئت ودريت، ونسخت وما فسخت، أخملت كتب الأقدمين، وأهلت المقيمين بمصر والقائمين»^(٣).

ومن كتبه على حسب العلوم ما يلي:

أ / التفسير:

١. تفسير البحر المحيط^(٤).

٢. النهر الماد من البحر المحيط^(٥).

(١) انظر: الوافي بالوفيات: (٥/ ٢٨٠ - ٢٨١)، ونفح الطيب: (٢/ ٥٥٢ - ٥٥٣، ٥٦٣).

(٢) انظر: نفح الطيب: (٢/ ٥٤١)، ومن ذبول العبر: (٦/ ٢٤٤).

(٣) انظر: الوافي بالوفيات: (٥/ ٢٦٨)، ونكت الهميان: (٢٨٠)، ونفح الطيب: (٢/ ٥٤١).

(٤) مطبوع بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٨ هـ، ثم صوّر عدة مرات. آخرها طبعة دار الكتب العلمية بتحقيق جملة من المحققين، وتقرير الأستاذ الدكتور: عبدالحى الفرماوي، ط ١، ١٤١٣ هـ. انظر: شذرات الذهب: (٦/ ١٤٧)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط لبدر البدر: (٥٦).

(٥) طبع بحاشية البحر المحيط، ثم طبع في مجلدين كبيرين بعناية: بوران الضناوي، وهديان الضناوي، دار الجنان، بيروت ومؤسسة الكتب الثقافية ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٧).

ب / القراءات:

١. الأثير في قراءة ابن كثير (١)، (٢).
٢. تقريب النائي في قراءة الكسائي (١)، (٢).
٣. الحلل الحالية في أسانيد القرآن العالية (١).
٤. الرزمة في قراءة حمزة (١)، (٢).
٥. الروض الباسم في قراءة عاصم (١)، (٢).

- (١) عبد الله بن كثير بن المطلب، أبو معبد المكي الداري، إمام أهل مكة في القراءة، ولد سنة ٤٥ هـ، كان فصيحاً بليغاً مفوهاً، عالماً بالعربية، توفي سنة ١٢٠ هـ. انظر: الكاشف: (١/٥٨٧)، والتاريخ الكبير: (١٨١/٥)، ومعرفة القراء الكبار: (١/٧١ - ٧٢)، وغاية النهاية: (١/٤٤٣ - ٤٤٤).
- (٢) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، ونفح الطيب: (٢/٥٥٢)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٩).
- (٣) علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي مولا لهم، أبو الحسن الكسائي، المقرئ النحوي، أحد القراء السبعة، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات، وهو إمام الكوفيين في النحو، توفي بالري سنة ١٨٩ هـ. انظر: معرفة القراء الكبار (١/١٠٠ - ١٠٧)، وغاية النهاية: (١/٥٣٥ - ٥٤٠).
- (٤) مفقود. انظر: نفح الطيب: (٢/٥٥٢)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٠).
- (٥) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣) وفيه: «الحلل الحالية في أسانيد القراءات العالية»، ونفح الطيب: (٢/٥٥٢)، وشذرات الذهب: (٦/١٤٧)، والدرر الكامنة (٤/١٨٦)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٠).
- (٦) حمزة بن حبيب بن عمار الزيات، أبو عمار الكوفي التيمي مولا لهم، ولد سنة ٨٠ هـ، أحد القراء السبعة، وإليه صارت إمامة القراءة بعد عاصم في الكوفة، كان إماماً حجة قيماً بكتاب الله تعالى، حافظاً للحديث، بصيراً بالفرائض والعربية، توفي سنة ١٥٦ هـ. انظر: معرفة القراء الكبار: (١/٩٣ - ٩٩)، وغاية النهاية: (١/٢٦١ - ٢٦٣).
- (٧) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، ونفح الطيب: (٢/٥٥٢).
- (٨) عاصم بن بهدلة أبي النجود - بفتح النون وضم الجيم - الأسدي مولا لهم، أبو بكر الكوفي، أحد القراء السبعة، كان أهل الكوفة يختارون قراءته، جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد، توفي سنة ١٢٧ هـ. انظر: معرفة القراء الكبار: (١/٧٣ - ٧٧)، وغاية النهاية: (١/٣٤٦ - ٣٤٩).
- (٩) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، ونفح الطيب: (٢/٥٥٢)، وكشف الظنون: (١/٩١٨)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٠).

٦. عقد اللآلي في القراءات السبع العوالي^(١).
٧. غاية المطلوب في قراءة يعقوب^(٢)،^(٣).
٨. المزن الهامر في قراءة ابن عامر^(٤)،^(٥).
٩. المورد الغمر في قراءة أبي عمرو^(٦)،^(٧).

- (١) مخطوط: والكتاب عدّه بعض الباحثين مفقوداً، وليس كذلك فهو مخطوط، منه نسختان: واحدة بالهند، والأخرى في القاهرة. انظر: نكت الهميان (٢٨٣)، وشذرات الذهب: (١٤٧/٦)، وبغية الوعاة (٢٨٢/١)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٨)، وقد نقل أبو حيان من هذا الكتاب كما في المقدمة (١٠٩/١).
- (٢) يعقوب بن محمد بن خليفة الأعشى، أبو يوسف الكوفي، صاحب قرآن وفرائض، تصدر للإقراء بالكوفة، توفي في حدود المائتين للهجرة، انظر: معرفة القراء الكبار: (١٣١ - ١٣٢)، وغاية النهاية: (٣٩٠/٢).
- (٣) مفقود: وهي من منظومات أبي حيان. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦٠/٦)، وكشف الظنون: (١١٩٤/٢)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).
- (٤) عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي - بضم الصاد وكسر ها - الدمشقي، أبو عمران، إمام أهل الشام في القراءة، وانتهت إليه مشيخة الإقراء بها، توفي سنة ١٠٨ هـ. انظر: معرفة القراء الكبار: (١٧٠ - ٦٧/١)، وغاية النهاية: (٤٢٣ - ٤٢٥).
- (٥) مفقود: انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦٠/٦)، وإيضاح المكنون: (٤٧١/٤)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).
- (٦) زبان بن العلاء بن عمار المازني، أبو العلاء، ولد سنة ٦٨ هـ، وقيل: ٧٠ هـ، وقيل غير ذلك، كان أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الصدوق والثقة والزهد، أحد القراء السبعة، توفي سنة ١٥٤ هـ، وقيل ١٥٥ هـ، وقيل غير ذلك. انظر: وفيات الأعيان: (٤٦٦/٣)، ومعرفة القراء الكبار: (٨٣ - ٨٨)، وغاية النهاية: (٢٨٨ - ٢٩٢)، والنشر: (١٣٤/١).
- (٧) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦٠/٦)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٢).

١٠. النافع في قراءة نافع (١)، (٢).

١١. النير الجلي في قراءة زيد بن علي (١)، (٢).

ج / الحديث:

١. جزء حديثي، ذكره الصفدي في إجازته (١).

٢. فهرس مروياته (١).

٣. فهرس مسموعاته (١).

٤. المنتخب من حديث شيوخ بغداد (١).

د / الفقه وأصوله:

١. الأنور الأجل في اختصار المحلى (١).

(١) نافع هو: ابن عبدالرحمن بن أبي نعيم الليثي، مولا هم، أبو رويم المقرئ المدني، أحد القراء السبعة، روى عنه خلق كثير، توفي سنة ١٩٦ هـ على خلاف في ذلك. انظر: تهذيب الكمال (٣٠٩/٧)، ومعرفة القراء الكبار: ص (٦٤)، وغاية النهاية: (٣٣٠/٢).

(٢) مفقود: انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦٠/٦)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٢).

(٣) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبو الحسين المدني، ولد سنة ٨٠ هـ، كان ذا علم وجلالة وصلاح، قتل سنة ١٢٢ هـ. انظر: الكاشف: (٤١٨/١)، وسير أعلام النبلاء: (٣٨٩/٥) - (٣٩١)، وتهذيب الكمال: (٩٥/١٠ - ٩٧).

(٤) مفقود: انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، ونفح الطيب: (٥٥٢/٢)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).

(٥) مفقود: انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من أول الفاتحة إلى آخر سورة البقرة: (٣٧).

(٦) مفقود: انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).

(٧) مفقود: انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).

(٨) مخطوط: توجد منه نسخة في مكتبة نوشهر بتركيا. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٩).

(٩) مفقود: وهو اختصار لكتاب « المحلى في الخلاف العالي في فروع الشافعية » لأبي محمد بن حزم. انظر: $\Leftarrow =$

٢. الوهاج في اختصار المنهاج^(١).

٣. مسلك الرشيد في تجريد مسائل ابن رشد^(٢)،^(٣).

هـ / اللغة:

١. إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب^(٤).

٢. الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء^(٥).

= البحر المحيط: (٢/ ٤٠)، ونكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وكشف الظنون: (٢/ ١٦١) وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٠).

(١) مفقود: اختصر فيه كتاب « منهاج الطالبين في مختصر المحرر في فروع الشافعية »، للنووي. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٤٧)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وإيضاح المكنون: (٤/ ٧١٥)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٢).

(٢) ابن رشد: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد، ويعرف بابن رشد الحفيد، أبو الوليد القرطبي المالكي، ولد سنة ٥٢٠ هـ، تفقه وبرع، وسمع الحديث، وأتقن الطب، وأقبل على الكلام والفلسفة حتى صار يضرب به المثل فيها، وصنف التصانيف مع الذكاء المفرط، والملازمة للاشتغال ليلاً ونهاراً، وتوفي سنة ٥٩٥ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: (٢١/ ٣٠٧ - ٣١٠)، والديباج المذهب: (١/ ٥٣)، وشذرات الذهب: (٤/ ٣٢٠).

(٣) مفقود. انظر: كشف الظنون: (٢/ ١٦٧٨) وفيه اسمه « مسلك المرشد »، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).

(٤) انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وبغية الوعاة: (١/ ٢٨٢)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٤٧). والكتاب مطبوع: طبع عدة مرات، مرة بتحقيق: محمد سعيد الوردى، بمطبعة الإخلاص بحماة، سنة ١٩٣٦ م، وطبعة أخرى بتحقيق: أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، بمطبعة العاني ببغداد سنة ١٩٧٧ م، وطبعة ثالثة بتحقيق: سمير طه مجذوب، نشر المكتب الإسلامي، سنة ١٤٠٨ هـ. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٦).

(٥) انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٤٧)، وفيه اسمه « الارتضاء في الضاد والظاء »، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وبغية الوعاة: (١/ ٢٨٢).

والكتاب مطبوع بمطبعة المعارف ببغداد، سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م، بعناية: محمد بن حسن آل ياسين، وهو تلخيص لرسالة ابن مالك « الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد » من شعره. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٦).

٣. الأبيات الوافية في علم القافية^(١).
٤. الإدراك للسان الأتراك^(١).
٥. الأفعال في لسان الترك^(١).
٦. بغية الظمان من فوائد أبي حيان^(١).
٧. ديوان أبي حيان^(١).
٨. زهو الملك في نحو الترك^(١).
٩. الشذرة الذهبية في علوم العربية^(١).
١٠. المخبور في لسان اليخمر^(١).

- (١) مفقود: انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، ونفح الطيب: (٥٥٢/٢)، وإيضاح المكنون: (٣/٣١٤)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٩).
- (٢) انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وشذرات الذهب: (١٤٧/٦)، والدرر الكامنة: (٦/٦٠)، وبغية الوعاة: (٢٨٣/١).
- والكتاب مطبوع: طبع بإستنبول سنة ١٣٠٩ هـ، بتصحيح: جعفر أوغلي أحمد، ومنه نسخة نادرة في المكتبة المركزية بجامعة الملك سعود بالرياض، قسم الكتب النادرة. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٥ - ٥٦).
- (٣) مفقود. انظر: الدرر الكامنة: (٦/٦٠)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٩).
- (٤) مفقود. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٠).
- (٥) الكتاب مطبوع: حققه الدكتور: أحمد مطلوب، والدكتورة: خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٦).
- (٦) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وشذرات الذهب: (١٤٧/٦)، والدرر الكامنة: (٦/٦٠)، وبغية الوعاة: (٢٨٣/١)، وكشف الظنون: (٢/٩٦٢)، أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١ - ٦٢).
- (٧) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦/٦٠)، وبغية الوعاة: (٢٨٣/١)، وكشف الظنون: (٢/١٠٢٨)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).
- (٨) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٤)، والدرر الكامنة: (٦/٦٠)، وإيضاح المكنون: (٤/٤٤٦)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).

١١. معاني الحروف^(١).
١٢. مُنطق الحُرْس في لسان الفُرس^(٢).
١٣. نوافث السّحر في دماث الشّعْر^(٣).
١٤. نور الغَبَش في لسان الحَبَش^(٤).

و / النحو والصرف والبلاغة:

١. الأسفار الملخص من شرح سيبويه للصفار^(٥)،^(٦).
٢. ارتشاف الضرب من لسان العرب^(٧).
٣. إعراب القرآن^(٨).

-
- (١) مخطوط: له نسخة في مكتبة بايزيد عمومي في تركيا. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٩).
 - (٢) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وشذرات الذهب: (١٤٧/٦)، والدرر الكامنة: (٦٠/٦)، وكشف الظنون: (١٨٦٤/٢)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).
 - (٣) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦٠/٦)، وإيضاح المكنون: (٦٨٢/٤)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٢).
 - (٤) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦٠/٦)، وكشف الظنون: (١٩٨٣/٢)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٢).
 - (٥) الصفار: قاسم بن علي بن محمد بن سليمان الأنصاري البطليموسي، أبو القاسم، الشهير بابن الصفار، شرح كتاب سيبويه يقال: إنه أحسن الشروح، توفي بعد سنة ٦٣٠ هـ. انظر: البلغة: (١٧٣/١ - ١٧٤)، وبغية الوعاة: (٢٥٦/٢).
 - (٦) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦٠/٦)، وكشف الظنون: (١٤٢٨/٢)، وشذرات الذهب: (١٤٧/٦)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٩).
 - (٧) انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦٠/٦)، وبغية الوعاة: (٢٨٢/١).
 - والكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور: مصطفى أحمد النحاس، مطبعة المدني، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٦).
 - (٨) مخطوط: يقع في ثمان أجزاء، شككت في نسبته إلى أبي حيان الدكتور خديجة الحديثي، وأثبتته غيرها. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٧).

٤. التجريد لأحكام سيويه^(١).
٥. التدريب في شرح التقريب^(٢).
٦. التذكرة في العربية^(٣).
٧. التذيل والتكميل في شرح التسهيل^(٤).
٨. تقريب المقرب^(٥).

- (١) مفقود: انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وبغية الوعاة: (٢٨٢ / ١)، وكشف الظنون: (١٤٢٨ / ٢)، وشذرات الذهب: (١٤٧ / ٦)، وترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من أول الفاتحة إلى آخر سورة البقرة: (٤٠)، هامش: (٨).
- (٢) مخطوط: انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦٠ / ٦)، وشذرات الذهب: (١٤٧ / ٦)، وكشف الظنون: (١٨٠٥ / ٢)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٨).
- (٣) انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦٠ / ٦)، وبغية الوعاة: (٢٨٢ / ١)، وشذرات الذهب: (١٤٧ / ٦). والكتاب طبع منه جزء بتحقيق الدكتور: عفيف عبدالرحمن، نشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦ هـ. انظر: ترجيحات أبي حيان الأندلسي من أول الفاتحة إلى آخر سورة البقرة: (٤١) هامش: (٢).
- (٤) انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦٠ / ٦)، وبغية الوعاة: (٢٨٢ / ١)، وكشف الظنون: (١٤٧ / ٦)، وشذرات الذهب: (٤٠٥ / ١).
- والكتاب طبع منه قطعة صغيرة سنة ١٣٢٨ هـ، بمطبعة السعادة بمصر، وقدم تحقيقه لنيل درجة الدكتوراه من ثانوية باحثين في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ١٩٧٥ م، كما توجد للكتاب نسختان بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. وحققه أخيراً الدكتور: حسن هندأوي، صادر عن دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٨ - ١٤٢٢ هـ. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٧ - ٥٨)، وترجيحات أبي حيان الأندلسي من أول الفاتحة إلى آخر سورة البقرة: (٤١) هامش: (٣).
- (٥) انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦٠ / ٦)، وبغية الوعاة: (٢٨٢ / ١)، وشذرات الذهب: (١٤٧ / ٦)، وكشف الظنون: (١٨٠٥ / ٢).
- والكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور: عفيف الرحمن، سنة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، بدار السيرة، كما طبع بتحقيق: محمد جاسم الديلمي، سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٥ م، مؤسسة دار الندوة الجديدة، بيروت. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٦).

٩. تلويح التوضيح في النحو^(١).
١٠. التنخيل الملخص من شرح التسهيل^(٢).
١١. خلاصة التبيان في علمي البديع والبيان^(٣).
١٢. دالية النحو^(٤).
١٣. الشذا في مسألة كذا^(٥).
١٤. غاية الإحسان في علم اللسان^(٦).
١٥. الفصل في أحكام الفصل^(٧).
١٦. قصيدتان في مدح الزمخشري، والنحو^(٨).
١٧. اللوحة البدرية في علم العربية، مختصر في النحو^(٩).

- (١) مخطوط: انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٨).
 - (٢) مفقود: انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وبغية الوعاة: (٢٨٢ / ١)، وكشف الظنون: (٤٠٥ / ١)، وشذرات الذهب: (١٤٧ / ٦)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٠).
 - (٣) مفقود: انظر: نكت الهميان: (٢٨٤)، وفيه عنوانه « خلاصة البيان في علمي البديع والبيان »، والدرر الكامنة: (٦٠ / ٦)، وبغية الوعاة: (٢٨٣ / ١)، وكشف الظنون: (٧١٧ / ١)، وفيه عنوانه « خلاصة التبيان في المعاني والبيان » وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٠).
 - (٤) مخطوط: انظر أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٨).
 - (٥) مفقود: وقد شرحه ابن هشام وهو تلميذ أبي حيان في كتاب عنوانه: « فَوَح الشذا في مسألة كذا »، وهو مطبوع، طبع سنة ١٩٦٣ م. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وبغية الوعاة: (٢٨٢ / ١)، وكشف الظنون: (٢٨٢ / ١)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).
 - (٦) مخطوط: منه نسخة بجامعة الإمام، برقم (٢٢٧٥ ف). انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وبغية الوعاة: (٢٨٢ / ١) والدرر الكامنة: (٦٠ / ٦)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٨).
 - (٧) مفقود: انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).
 - (٨) مخطوط: انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٨).
 - (٩) انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦٠ / ٦)، وبغية الوعاة: (٢٨٢ / ١).
- والكتاب مطبوع: طبع مع شرح اللوحة البدرية لابن هشام، بتحقيق الدكتور: هادي نهر، في بغداد، سنة ١٩٧٤ م. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٨ - ٥٩).

١٨. المبدع الملخص من الممتع^(١).
١٩. منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك^(٢).
٢٠. الموفور من شرح ابن عصفور^(٣)،^(٤).
٢١. النكت الحسان شرح غاية الإحسان^(٥).
٢٢. نهاية الإعراب في علمي التصريف والإعراب^(٦).
٢٣. الهداية في النحو^(٧).

- (١) انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦٠ / ٦)، وبغية الوعاة: (٢٨٢ / ١)، وشذرات الذهب: (٦ / ١٤٧)، والكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور: عبد الحميد السيد طلب، عام ١٩٨٢ م. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٦ - ٥٧).
- (٢) انظر: نكت الهميان: (٢٨٣ - ٢٨٤)، والدرر الكامنة: (٦٠ / ٦)، وبغية الوعاة: (٢٨٣ / ١)، والكتاب لم يكمله أبو حيان، بل انتهى إلى آخر باب «أفعل التفضيل»، وهو مطبوع: نشر بتحقيق: سدي جليزر، بالولايات المتحدة الأمريكية. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٧).
- (٣) ابن عصفور: علي بن المؤمن بن محمد بن علي النحوي الحضرمي الإشبيلي، أبو الحسن، ولد سنة ٥٧٧ هـ، حامل لواء العربية في زمانه، صاحب التصانيف، توفي سنة ٦٦٩ هـ.
- انظر: بغية الوعاة: (٢ / ٢١٠)، وشذرات الذهب: (٥ / ٣٣٠ - ٣٣١)، العبر في خبر من غبر: (٥ / ٢٩٢).
- (٤) مخطوط: وهو مختصر لكتاب ابن عصفور: «شرح الجمل». انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦ / ٦٠)، وكشف الظنون: (٢ / ١٩١٠)، وفيه عنوانه «الموفور في تحرير أحكام ابن عصفور»، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٩).
- (٥) انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦٠ / ٦)، والكتاب مطبوع بتحقيق: عبد الحسين الفتلي، طبع مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٧).
- (٦) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وفيه اسمه: «نهاية الإعراب في علمي التصريف والإعراب»، والدرر الكامنة: (٦ / ٦٠)، وكشف الظنون: (٢ / ١٩٥٦)، وفيه اسمه: «نهاية الإعراب في التصريف والإعراب»، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٢).
- (٧) مخطوط وقد شككت الدكتورة خديجة الحديثي في نسبته لأبي حيان، وأثبتته الديلمي. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٩).

ز / كتب عامة:

١. الإعلام بأركان الإسلام^(١).
٢. الإلماع في إفساد إجازة الطّبّاع^(٢).
٣. تحفة النّدى^(٣) في نحاة الأندلس^(٤).
٤. القطر الحبي في جواب أسئلة الذهبي^(٥).
٥. مجاني الهُصْر في آداب وتواريخ لأهل العصر^(٦).
٦. نثر الزّهر ونظم الزّهر^(٧).

- (١) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، ووالدرر الكامنة: (٦٠ / ٦)، إيضاح المكنون: (٣ / ١٠١)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٩).
- (٢) مفقود. انظر: نفح الطيب: (٢ / ٥٨٣)، وإيضاح المكنون: (١ / ١٢٢)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٩).
- (٣) النّدى: يقال: رجل ندى أي: فهِمٌّ، سريع السمع، فَطِن. انظر: القاموس المحيط: (٥٧٧) مادة: (ندى)، ولسان العرب: (٦ / ٢٢٩)، مادة: (ندى).
- (٤) مفقود: وهو كتاب كبير يقع في ستين مجلداً، جمع فيه أبو حيان تراجم نحاة الأندلس. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦٠ / ٦)، وبغية الوعاة: (١ / ٢٨٢)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٠).
- (٥) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦٠ / ٦)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).
- (٦) مفقود، ولم يكمله. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، شذرات الذهب: (٦ / ١٤٧)، وفيه اسمه «مجاني الهُصْر في تاريخ أهل العصر»، والدرر الكامنة: (٦٠ / ٦)، وبغية الوعاة: (١ / ٢٨٣)، وكشف الظنون: (٢ / ١٥٩١) وفيه اسمه «مجاني العصر»، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).
- والجنى: الرُّطْب، وكل ثمر يجتنى فهو جنى، والاجتناء: أخذك إياه وهو جنى مادام طرياً. انظر: لسان العرب: (١٤ / ١٥٦)، ومختار الصحاح: (١ / ٤٨).
- والهُصْر: هُصْر الشيء يهْصُرُه هُصْراً جبذه وأماله، والهُصْر عطف الشيء الرطب كالغصن ونحوه. انظر: لسان العرب: (٥ / ٢٦٤)، والنهاية: (٥ / ٢٦٣).
- (٧) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦٠ / ٦)، وإيضاح المكنون: (٤ / ٦٢٤)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٢).

٧. النضار في المسلاة عن نُضَار ()، () .

٨. نفحة المسك في سيرة الترك () .

وبعد فهذه مؤلفات أبي حيان ~ وهي شاهدة على سعة علمه، وعظيم أثره،
وغزير فوائده.



(١) نُضَار بنت محمد بن يوسف، أم العز، بنت الشيخ أبي حيان، ولدت سنة ٧٠٢ هـ، حفظت مقدمة في النحو، وخرجت لنفسها جزءاً، ونظمت شعراً، وكانت تعرب جيداً، وكان أبوها يقول: ليت أخاها حيان مثلها، ثم ماتت سنة ٧٣٠ هـ، فحزن والدها عليها، وجمع في ذلك جزءاً سماه النضار في المسلاة عن نضار. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: (٦ / ١٦١).

(٢) مفقود. انظر: نفح الطيب: (٢ / ٥٥٩)، والدرر الكامنة: (٦ / ٦٠)، وكشف الظنون: (٢ / ١٩٥٨)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٢).

(٣) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وإيضاح المكنون: (٤ / ٦٧١)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٢).

المبحث السابع: وفاته

وبعد حياة طويلة قضاها أبو حيان في طلب العلم وتحصيله وتدريسه، مع التأليف والتصنيف، توفي ~ عن عمر يناهز إحدى وتسعين سنة بعد أن فقد بصره^(١)، وكانت وفاته بمنزله خارج باب البحر بالقاهرة في يوم السبت بعد العصر الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة من الهجرة، وقيل: سنة سبعمائة وثلاثة وأربعين، ورده المقرئ، وقيل: توفي سنة سبعمائة وثلاث وخمسين، واستبعده المقرئ^(٢).

وكان لموت أبي حيان الأثر البالغ فحزن عليه الناس كثيراً، وخاصة أصدقائه، وتلاميذه ونظموا في رثائه القصائد^(٣).

قال الصفدي فيه:

ورق من حزن نسيم الصبا	واعتل في الأسحار لما سرى
وصادحات الأيك في نوحها	رثته في السجع على حرف را
يا عين جودي بالدموع التي	يروى بها ما ضمه من ثرى
وأجري دما فالخطب في شأنه	قد اقتضى أكثر مما جرى
مات أثير الدين شيخ الورى	فاستعر البارق واستعبرا
مات إمام كان في فنه	يرى إماماً والورى من ورا

(١) ولذا ترجم له الصفدي في كتابه (نكت الهميان في نكت العميان ٢٨٠-٢٨٦).

(٢) انظر: نفح الطيب: (٢/٥٣٨)، شذرات الذهب: (٦/١٤٧)، ونكت الهميان: (٢٨٤)، وبغية الوعاة:

(١/٢٨٠)، والدرر الكامنة: (٦/٦٥)، ومن ذيل العبر: (٦/٢٤٣ - ٢٤٤)، و(١/٦٣)، والشهادة

الزكية: (١/٣١)، وبغية الوعاة: (١/٢٨٣)، والبلغة: (١/١٨٥)، وذيل تذكرة الحفاظ: (٢٦).

(٣) انظر: بدائع الزهور في وقائع الدهور: (١/١٩٩).

إلى أن قال:

إن مات فالذكر له خالد يحيى به من قبل أن يقبرا
جاء ثرى وأراه غيث إذا مساه بالسقيا له بكراً
وخصه من ربه رحمة تورده في حشره الكوثر^(١)
فأسأل الله تعالى أن يرحم أبا حيان، ويرفع درجته في المهديين، ويغفر لنا له، ويجمعنا
به في الفردوس الأعلى مع الحبيب المصطفى ﷺ.

(١) نفح الطيب: (٢/٥٣٩).

القسم الأول

القسم الأول

منهج أبي حيان في تفسيره
ومنهجه في الترجيح في التفسير

وفيه فصالان:

❖ الفصل الأول: منهج أبي حيان الأندلسي في التفسير.

❖ الفصل الثاني: منهج أبي حيان الأندلسي في الترجيح في التفسير.

الفصل الأول

منهج أبي حيان في تفسيره

وفيه مبحثان :-

المبحث الأول : تفسيره القرآن بالمأثور.

المبحث الثاني : تفسيره القرآن بالرأي.

المبحث الأول

تفسيره القرآن بالمأثور

وفيه تمهيد وثمانية مطالب :

- المطلب الأول: تفسيره القرآن بالقرآن.
- المطلب الثاني: تفسيره القرآن بالسنة.
- المطلب الثالث: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة.
- المطلب الرابع: تفسيره القرآن بأقوال التابعين.
- المطلب الخامس: عنايته بالقراءات.
- المطلب السادس: عنايته بأسباب النزول.
- المطلب السابع: عنايته بالناسخ والمنسوخ.
- المطلب الثامن: عنايته بالمكي والمدني.

التمهيد

يعتبر البحر المحيط من أجل كتب التفسير؛ حيث قال عنه ابن الجزري: «له التفسير الذي لم يسبق إلى مثله..»^(١).

وقد جرت عادة المفسرين أن يذكروا في مقدمة تفاسيرهم الزمن الذي ألفوا فيه، والدافع الذي حملهم على التأليف، والمنهج الذي ساروا عليه في تفسيرهم للقرآن الكريم، وقد اختلفت أساليبهم في ذلك ما بين موجز لمنهجه ومفصل له، وضمنوا مقدماتهم تلك بعض العلوم والشروط التي يحتاجها المفسر، وكذلك ذكر بعض الفضائل والفوائد.

وكذلك فعل أبو حيان حيث ذكر في مقدمة البحر المحيط عدة أمور:

١ - الزمن الذي ألف فيه، والحامل على صنيعه لهذا التفسير؛ حيث قال ~ : «وما زال يختلج في ذكري ويعتلج في فكري أي إذا بلغت الأمد الذي يتغضد^(٢) فيه الأديم، ويتنقص برؤيتي النديم، وهو العقد الذي يحل عرى الشباب، المقول فيه إذا بلغ الرجل الستين فأياه وإيا الشواب، ألوذ بجانب الرحمن وأقتصر على النظر في تفسير القرآن، فأتاح الله لي قبل بلوغ ذلك العقد وبلغني ما كنت أروم من ذلك القصد... وكان ذلك في أواخر سنة عشر وسبعمائة وهي أوائل سنة سبع وخمسين من عمري، فعكفت على تصنيف هذا الكتاب»^(٣).

٢ - ذكر المنهج الذي سار عليه في تفسيره:

قال أبو حيان ~ : «وترتيبي في هذا الكتاب: أي أبتدئ أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب، وإذا كان للكلمة معنيان أو معان ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة

(١) غاية النهاية: (٢/٢٨٦).

(٢) قال الدكتور بدر بن ناصر البدر: «يتبغضن: هكذا في المخطوط ٢/١ أ،.... وفي المطبوع: يتنغضد، وهو تصحيف» أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٧، هامش: ٤).

ويتبغضن: أي: تكسر الجلد وتثنى، لسان العرب: مادة: (غضن): (٣١٤/١٣)، والقاموس المحيط: مادة: (غضن): (١٢٢٠).

(٣) تفسير البحر المحيط: (١/٩٩ - ١٠٠).

لأنظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه فيحمل عليه.

ثم أشرع في تفسير الآية ذاكراً سبب نزولها إذا كان لها سبب، ونسخها، ومناسبتها وارتباطها بما قبلها، حاشداً فيها القراءات شاذها ومستعملها، ذاكراً توجيه ذلك في علم العربية، ناقلاً أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها، متكلماً على جليها وخفيها بحيث إني لا أغادر منها كلمة وإن اشتهرت حتى أتكلم عليها، مبدئاً ما فيها من غوامض الإعراب، ودقائق الآداب من بديع وبيان، مجتهداً أني لا أكرر الكلام في لفظ سبق، ولا في جملة تقدم الكلام عليها، ولا في آية فسرت بل أذكر في كثير منها الحوالة على الموضع الذي تكلم فيها على تلك اللفظة أو الجملة أو الآية، وإن عرض تكرير فبمزیده فائدة، ناقلاً أقاويل الفقهاء الأربعة وغيرهم في الأحكام الشرعية مما فيه تعلق باللفظ القرآني محيلاً على الدلائل التي في كتب الفقه، وكذلك ما نذكره من القواعد النحوية أحيل في تقريرها والاستدلال عليها على كتب النحو.

وربما أذكر الدليل إذا كان الحكم غريباً أو خلاف مشهور ما قال معظم الناس، بادئاً بمقتضى الدليل وما دل عليه ظاهر اللفظ، مرجحاً له بذلك^(١)، ما لم يصد عن الظاهر ما يجب إخراجه به عنه، منكباً في الإعراب عن الوجوه التي تنزه القرآن عنها، مبيناً أنها مما يجب أن يعدل عنه وأنه ينبغي أن يحمل على أحسن إعراب وأحسن تركيب؛ إذ كلام الله تعالى أفصح الكلام فلا يجوز فيه جميع ما يجوز النحاة في شعر الشماخ^(٢)، والطرماح^(٣) وغيرهما من سلوك التقادير البعيدة والتراكيب القلقة والمجازات المعقدة.

(١) قال الدكتور بدر بن ناصر البدر: «بذلك: هكذا في المخطوط ٣/١ ب، وفي المطبوع «له لذلك»، وهو خلاف المعنى المراد». أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٧٢، حاشية: ٢).

(٢) الشماخ: ابن ضرار بن حرملة المازني الديلمي، وقيل: الشماخ لقبه، واسمه معقل بن ضرار، شاعر مخضرم، كان شديد متون الشعر، أرجز الناس على البديهة، شهد القادسية، وتوفي في غزوة موقان سنة ٢٢هـ. انظر: الإصابة: (٣/٣٥٥)، والوافي بالوفيات: (١٦/١٠٣ - ١٠٤)، وخزانة الأدب: (٣/١٨٦ - ١٨٧).

(٣) الطرماح: -بكسر الطاء والراء المهملتين وتشديد الميم وآخره حاء مهملة- ابن حكيم الطائي، شاعر إسلامي فحل، نشأ بالشام، ثم انتقل إلى الكوفة، فلزم خالداً القسري، فأكرمه، واستجاد شعره، توفي سنة ١٢٥هـ، وله ديوان شعر مطبوع. انظر: الأغاني (٤٣/١٢)، وخزانة الأدب: (٨/٧٤ - ٧٥)، والبيان والتبيين: (٣٩/١).

ثم أختتم الكلام في جملة من الآيات التي فسرتها أفراداً وتركيباً بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع ملخصاً.

ثم أتبع آخر الآيات بكلام منشور أشرح به مضمون تلك الآيات على ما أختاره من تلك المعاني أجملها في أحسن تلخيص، وقد ينجر معها ذكر معان لم تتقدم في التفسير. وصار ذلك أنموذجاً لمن يريد أن يسلك ذلك فيما بقي من سائر القرآن، وستقف على هذا المنهج الذي سلكته إن شاء الله تعالى.

وربما أملت بشيء من كلام الصوفية^(١) مما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ، وتجنبنا كثيراً من أقاويلهم ومعانيهم التي يحملونها الألفاظ، وتركت أقوال الملحددين الباطنية^(٢)، المخرجين الألفاظ القريبة عن مدلولاتها في اللغة إلى هذيان افتروه على الله تعالى، وعلى علي -كرم الله وجهه-، وعلى ذريته ويسمونه علم التأويل^(٣).

٣ - ذكر العلوم التي يجب أن تتوفر في المفسر:

وذكر منها: علم اللغة، وعلم النحو، وعلم البيان والبديع، وعلم الحديث، وعلم أصول الفقه، وعلم الكلام، وعلم القرآن.

وبيّن ~ أنه لا ينبغي أن يقدم على تفسير كتاب الله إلا من أحاط بجمله غالبها، من كل وجه منها^(٤).

٤ - ذكر الشروط التي يجب توفرها في المفسر:

وذكر منها: أن يكون المفسر بارعاً في علم النحو، والمعاني، والبيان، وعلم الإعراب،

(١) الصوفية: نسبة إلى لبس الصوف، وأول ما ظهرت الصوفية في البصرة؛ حيث كان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك، ما لم يكن في سائر أهل الأمصار، والتصوف عندهم له حقائق وأحوال معروفة، وهم ثلاثة أصناف: صوفية الحقائق، وصوفية الأرزاق، وصوفية الرسم. انظر: مجموع الفتاوى: (١١/٦ - ١٩).

(٢) الباطنية: لزمهم هذا اللقب؛ لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، ولهم ألقاب كثيرة سوى هذه. انظر: الملل والنحل، للشهرستاني: (٢/٢٩).

(٣) البحر المحيط: (١/١٠٣ - ١٠٤).

(٤) انظر: البحر المحيط: (١/١٠٥ - ١٠٩).

آخذاً من سائر العلوم بحظ، جامعاً بين أمرين: تحقيق وحفظ، مسترسل الطبيعة منقادها، مشتعل القرية وقادها، يقظان^(١).

٥ - ذكر ثلاثة من التفاسير التي اعتمدها كمرجع له في تفسيره، وهي: الكشف للزمخشري^(٢)، والمحزر الوجيز لابن عطية^(٣)، والتحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير لأبي عبد الله محمد بن سليمان المقدسي، المعروف بابن النقيب^(٤)،^(٥).

٦ - ذكر بعض فضائل القرآن، والترغيب في تفسير القرآن^(٦).

٧ - ذكر موقفه من التفسير بالرأي؛ حيث قال ~ : « وما روى عنه عليه السلام من قوله: (من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ)^(٧) محمول على من تسور على تفسيره برأيه دون النظر في أقوال العلماء وقوانين العلوم كالنحو واللغة والأصول، وليس من اجتهد

(١) تفسير البحر المحيط: (١/١١١).

(٢) الزمخشري: محمود بن عمر الزمخشري، أبو القاسم، جاز الله، كان متفنناً في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، إمام عصره في فنونه، وكان معتزلياً، توفي سنة ٥٣٨ هـ. انظر: الكامل في التاريخ: (٩/٣٣٠)، ومروءة الجنان: (٣/٢٦٩).

(٣) ابن عطية: عبدالحق بن غالب بن عطية المحاربي، ولد سنة ٤٨١ هـ، فقيه عالم بالتفسير والأحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والأدب، توفي سنة ٥٤٦ هـ. انظر: نفح الطيب: (٢/٥٢٦ - ٥٢٨)، وبغية الوعاة: (٢/٦٣ - ٦٤).

(٤) تقدمت ترجمته في مبحث شيوخه، ص ٤٠.

(٥) انظر: البحر المحيط: (١/١١٣).

(٦) انظر: البحر المحيط: (١/١١٦ - ١١٩).

(٧) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله - عليه السلام -، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، (٥/٢٠٠)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب فضائل القرآن، باب: من قال في القرآن بغير علم، (٥/٣١)، والرويان في مسنده: (٢/١٤٥)، وأبو يعلى في مسنده: (٣/٩٠)، والطبراني في المعجم الكبير: (٢/١٦٣)، والأوسط: (٥/٢٠٨)، والبيهقي في شعب الإيثار، الشعبة التاسعة عشرة: باب في تعظيم القرآن، فصل في ترك التفسير بالظن قال الله تعالى (٢/٤٢٣)، كلهم عن جندب بن عبد الله البجلي.

والحديث ضعفه الشيخ العلامة الألباني. انظر: مشكاة المصابيح: (١/٧٩)، وضعيف الجامع الصغير وزياداته: (٥/٢٢٨).

ففسر على قوانين العلم والنظر بداخل في ذلك الحديث، ولا هو يفسر برأيه ولا يوصف بالخطأ»^(١).

٨- ذكر المفسرين من الصحابة، والتابعين^(٢).

٩- ذكر منهج التفسير في العصور المتقدمة له والمتأخرة؛ حيث قال ~ : « وكانت تأليف المتقدمين أكثرها إنما هي شرح لغة ونقل سبب ونسخ وقصص؛ لأنهم كانوا قريبي عهد بالعرب، وبلسان العرب، فلما فسد اللسان، وكثرت العجم، ودخل في دين الإسلام أنواع الأمم المختلفوا الألسنة، والناقصوا الإدراك احتاج المتأخرون إلى إظهار ما انطوى عليه كتاب الله تعالى من غرائب التركيب، وانتزاع المعاني، وإبراز النكت البيانية حتى يدرك ذلك من لم تكن في طبعه، ويكتسبها من لم تكن نشأته عليها، ولا عنصره يحركه إليها»^(٣).

١٠- ختم مقدمته تلك بتعريف التفسير؛ حيث قال ~ : « التفسير: علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك»^(٤).

فتلك مجمل الأصول التي كان ينطلق منها الإمام أبو حيان ~ في تفسيره والتي حاول تطبيقها تفصيلاً، فكان لها الأثر البالغ في تميزه وجودة منهجه وانضباطه، ومن ثم قوة ترجيحاته.

ومما سبق يتبين أن منهج أبي حيان في تفسيره يمكن الحديث عنه من عدة جوانب ذكرها أبو حيان في مقدمته. وسأذكر جوانب أخرى في المباحث التالية مع ذكر أمثلة عليها من الجزء الخاص برسالتني.

(١) البحر المحيط: (١/١١٩).

(٢) انظر: البحر المحيط: (١/١١٩ - ١٢٠).

(٣) البحر المحيط: (١/١٢٠).

(٤) البحر المحيط: (١/١٢١).

المطلب الأول: تفسيره القرآن بالقرآن

ذكر العلماء أن أحسن طرق التفسير تفسير القرآن بالقرآن، فهو من أهم أنواع التفسير بالمأثور؛ وذلك لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً^(١)، فما أُجمل في مكان فُسر في مكان آخر، وما اختُصر في مكان بُسط في مكان آخر^(٢)، وقد كان أبو حيان ~ يرد كثيراً من الأقوال التي تقال بدون مستند نقل، معللاً بقوله: «الذي يصح في ذلك هو ما ذكره الله في كتابه، وما صح عن نبيه ﷺ»^(٣)، كذلك يقول: «ولا ينبغي أن يعتمد إلا على ما صح في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ»^(٤).

وهذا المنهج واضح في تفسيره البحر المحيط؛ حيث يذكر عند تفسيره لكثير من الآيات نظيرها من الآيات التي تدور على المعنى المراد منها، أو تؤيدها، أو تشير إلى موضوعها، وقد يضعف بالقرآن أقوالاً غير صحيحة وغير ذلك. وهذه بعض نماذج على ذلك:

١ - في بيان معنى الكلمة:

- أ - قال أبو حيان ~ في تفسيره قوله - تعالى -: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]: «ومعنى من أمر ربي أي: فعل ربي كونها بأمره، وفي ذلك دلالة على حدوثها والأمر بمعنى الفعل وارد قال - تعالى -: ﴿وَمَا أَمْرٌ فَرَعَوْنَكَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧] أي: فعله»^(٥).
- ب - وقال أبو حيان في تفسير قوله: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]: «ولا خلاف عند أهل اللغة أن «وراء» يجوز بمعنى «قدام» وجاء في التنزيل قال الله - تعالى -: ﴿مَنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ [الجن: ١٠]، وقال - تعالى -: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧]، وقال: ﴿وَمِنْ

(١) انظر: البحر المحيط: (٢/ ١٤٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (١٣/ ٣٦٣)، والبرهان في علوم القرآن: (٢/ ١٩٢)، وأضواء البيان (١/ ٦٧).

(٣) البحر المحيط: (١/ ٤٠٩).

(٤) المرجع السابق: (١/ ٥٥٨).

(٥) انظر البحر المحيط (٦/ ٧٤)، وانظر المسألة رقم (٤٢) من سورة الأسراء.

وَرَأَيْهِمْ بَرَزَخُ ﴿[المؤمنون: ١٠٠]﴾ (١).

٢ - في بيان المراد من الآية:

أ - قال أبو حيان ~ في تفسير قوله - تعالى - : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [النحل: ٩٩]: « والسلطان هنا: التسليط والولاية، والمعنى: أنهم لا يتقبلون منه ولاطيعونه فيما يريد منهم من إتباع خطواته كما قال - تعالى - : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥] وكما أخبر تعالى عنه، فقال في قصة أوليائه: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢] » (١).

ب - وقال في تفسير قوله - تعالى - : ﴿كَلَّا نُمَدِّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِّنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ [الإسراء: ٢٠]: « والظاهر أن هذا الإمداد هو في الرزق في الدنيا.... ويمد الجميع بالرزق وإنما يقع التفاوت في الآخرة ويدل على هذا التأويل ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠] » (١).

٣ - بيان المعنى بالنظير:

أ - قال أبو حيان ~ في تفسير قوله - تعالى - : ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣]: « وقيل: معنى (فظنوا): أيقنوا قاله أكثر الناس، ومعنى ﴿مُؤَاقِعُوهَا﴾ مخالطوها واقعون فيها كقوله: ﴿وَضَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨]، وقال: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلاقُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦] » (١).

ب - وقال في تفسير قوله - تعالى - : ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجِئُونَ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٥٢]: « والظاهر أن الدعاء حقيقة أي يدعوكم بالنداء الذي يسمعكم وهو النفخة الأخيرة كما قال: ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِّنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١] » (١).

(١) انظر البحر المحيط (٦/ ١٤٥)، وانظر المسألة رقم (٧٤) من سورة الكهف.

(٢) انظر البحر المحيط (٥/ ٥١٧)، وانظر المسألة رقم (١١) من سورة النحل.

(٣) انظر البحر المحيط (٦/ ١٩)، وانظر المسألة رقم (٧) من سورة الإسراء.

(٤) البحر المحيط (٦/ ١٣٠)، وانظر المسألة رقم (٥١) من سورة الكهف.

(٥) البحر المحيط (٦/ ٤٥)، وانظر المسألة رقم (٤٨) من سورة الإسراء.

ج - وقال عند تفسير قوله - تعالى - : ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسراء: ٥٣]: « والذي يظهر أن لفظة (عبادي) مضافة إليه تعالى كثر استعمالها في المؤمنين في القرآن، كقوله: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴾ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ ﴾ [الزمر: ١٧-١٨]، وقوله: ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾ [الفجر: ٢٩]، وقوله: ﴿ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ [الإنسان: ٦] » (١).

د - وقال ~ عند تفسير قوله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ﴾ [الإسراء: ٨٣]: « والظاهر أن المراد بالإنسان هنا ليس واحداً بعينه بل المراد به الجنس كقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ [العاديات: ٦] وقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ [المعارج: ١٩] وهو راجع لمعنى الكافر » (٢).

٤ - الاستدلال للمعنى بالآيات:

أ - قال ~ في تفسير قوله - تعالى - : ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥٠]: « ولسان الصدق: الثناء الحسن الباقي عليهم آخر الأبد.... »

ولسان العرب: لغتهم وكلامهم، استجاب الله دعوته ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٨٤] فصيره قدوة حتى عظمه أهل الأديان كلهم وادّعوه، وقال - تعالى - : ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الحج: ٧٨] و﴿ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النحل: ١٢٣] و﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النحل: ١٢٣] وأعطى ذلك ذريته فأعلى ذكرهم وأثنى عليهم، كما أعلّى ذكره وأثنى عليه » (٣).

ب - وقال أبو حيان ~ في تفسير قوله - تعالى - : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا ﴾ [مريم: ٨٥]: « والظاهر أن هذه الوفادة بعد انقضاء الحساب وأنها النهوض إلى الجنة، كما قال: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴾ [القمر: ٥٥] » (٤).

(١) البحر المحيط (٦/ ٤٧)، وانظر المسألة رقم (٢٥) من سورة الإسراء .

(٢) انظر البحر المحيط (٦/ ٧٣)، وانظر المسألة رقم (٣٨) من سورة الإسراء .

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٨٥)، انظر المسألة رقم (٣٠) من سورة مريم .

(٤) البحر المحيط (٦/ ٢٠٣)، انظر المسألة رقم (٥٥) من سورة مريم .

٥ - تضعيفه بالآية أقوالاً غير صحيحة:

أ - قال ~ عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [النحل: ٨٩]: « وقال الأصم: أبو بكر^(١): المراد بالشهيد: هو أنه تعالى ينطق عشرة من أجزاء الإنسان حتى تشهد عليه لأنه قال في صفة الشهيد (من أنفسهم)، وهذا بعيد لمقابلته بقوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] فيقتضي المقابلة أن الشهداء على الأمم أنبياء وهم كرسول الله ﷺ »^(٢).

إلى غير ذلك من المواطن التي فسر فيها القرآن بالقرآن ~ ، وسيأتي مزيد بيان لذلك في مبحث الترجيح بالنظائر القرآنية، والترجيح بالسياق - إن شاء الله تعالى -.



(١) أبو بكر الأصم: شيخ المعتزلة وكان ديناً وقوراً، جسوراً على الفقر، منقطعاً عن الدولة إلا أنه كان فيه ميل

عن الإمام علي عليه السلام، مات سنة إحدى ومائتين. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٩/ ٤٠٢).

(٢) البحر المحيط (٥/ ٥١١)، وانظر المسألة رقم (٤) من سورة النحل.

المطلب الثاني: تفسيره القرآن بالسنة

تأتي السنة النبوية الثابتة في المرتبة الثانية من طرق التفسير بالمأثور، فإذا لم نجد التفسير في القرآن فنعمد لأقوال النبي ﷺ؛ لأنها شارحة للقرآن، وموضحة له، ورسول الله ﷺ هو أعلم الناس بتفسير وبيان كلام الله ﷻ، قال الله - تعالى -: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، ويقول - تعالى -: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]، وقال النبي ﷺ: «ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه» ^(١) يعني: السنة ^(٢)؛ فإذا صح قول للرسول ﷺ في بيان معنى آية لم يلتفت إلى قول غيره ^(٣).

قال الشاطبي ^(٤) ~ : «السنة بمنزلة التفسير والشرح لمعاني أحكام الكتاب، ودل على ذلك قوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]» ^(٥).

وقال: «السنة راجعة في معناها إلى الكتاب فهي تفصيل مجمله وبيان مشكله وبسط مختصره؛ وذلك لأنها بيان له وهو الذي دل عليه قوله - تعالى -: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فلا تجد في السنة أمراً إلا والقرآن قد دل على معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية» ^(٦).

(١) أخرجه أحمد في مسنده: (١٣٠ / ٤)، والطبراني في مسند الشاميين: (١٣٧ / ٢)، والبغوي في المصابيح، انظر: مشكاة المصابيح: (٥٧ / ١). وصححه الشوكاني. انظر: تحفة الأحوذى، باب: ما جاء في لبس الفراء، (٣٢٤ / ٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (٣٦٣ / ١٣).

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ، للنحاس: (٢٤٤ / ١).

(٤) الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، المتبحر المحدث الأصولي النظار الجهد، صاحب الموافقات والاعتصام وغير ذلك، المتوفى في سنة ٧٩٠ هـ. انظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات: (١٩١ / ١).

(٥) الموافقات: (٩ / ٤).

(٦) الموافقات: (٢١٢ / ٤).

وقد اهتم أبو حيان ~ بهذا الطريق من طرق التفسير بالمأثور، وذكره في تفسيره في مواطن كثيرة، تعدد فيها إيرادَه للسنة النبوية، فتارة في بيان معنى الآية، أو لتأييد قول في تفسير الآية، أو رد لأقوال في تفسير الآية أو يستشهد بها لبيان نزول الآية، وأخرى لإيضاح حكم شرعي وغير ذلك وأحياناً يشير إلى ذلك الأمر في السنة دون ذكر الحديث^(١)، وفيما يلي نماذج من ذلك:

١ - في بيان معنى كلمة:

أ - قال أبو حيان ~ عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]: « ومعنى لا تقف: لا تتبع ما لا علم لك به من قول أو فعل، نهى أن (يقول ما لا يعلم، وأن يعمل بما لا يعلم) ^(١).... وفي الحديث: "من قفا مؤمناً بما ليس فيه، حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمرج" ^(٢) » ^(٣).

ب - وقال في معنى قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]: « ومعنى مشهوداً: تشهد الملائكة حفظة الليل وحفظة النهار كما جاء في الحديث "أنهم يتعاقبون ويجمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر" ^(٤)....، والذي ينبغي بل لا يعدل عنه

(١) انظر البحر المحيط (٥/ ٥٣١)، (٦/ ٢٧)، (٦/ ١٣٧).

(٢) وفي طبعة البحر (أن نقول ما لا نعلم، وأن نعمل بما لا نعلم).

(٣) تخريج الحديث: أخرجه أبو داود، كتاب الأقضية، باب فيمن يعين على خصومه من غير أن يعلم أمرها (٣/ ٣٠٥)، والحاكم في المستدرک (٢/ ٢٧)، وكلاهما من طريق عمارة بن غزية عن يحيى بن راشد عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله - ﷺ -: "من حالت شفاعته... وفيه" ومن قال في مؤمن ما ليس فيه، حبس في ردغة الخبال حتى يأتي بالمرج مما قال " وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) البحر المحيط (٦/ ٣٢)، وانظر المسألة رقم (١٦) من سورة الإسراء.

(٥) تخريج الحديث: أخرجه الطبري واللفظ، انظر جامع البيان (١٥/ ١٣٩)، وأحمد في مسنده (١٣/ ٢٣٨)، وابن ماجه في سننه (١/ ٢٢٠)، والنسائي في سننه (١/ ٢٤١)، والترمذي في سننه (١/ ٤٥٠)، وقال: حديث حسن صحيح، وبلغت قريب رواه البخاري كتاب الأذان، باب فضل الجماعة (٢/ ١٣١)، ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة (١/ ٤٥٩)، ولفظ البخاري عن أبي هريرة ؓ مرفوعاً "تفضل صلاة الجمع على صلاة الرجل وحده خمساً وعشرين درجة، قال: وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر" قال أبو هريرة اقرؤوا إن شئتم ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾

ما فسر به الرسول ﷺ من قوله فيه: "يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار" (١).

٢ - في الجزم بقول تفسيري في الآية لصحة الحديث الوارد في معناها :

أ - قال أبو حيان ~ في تفسير قوله - تعالى - : ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]: « والظاهر أن قوله (وجوههم) حقيقة كما قال - تعالى - : ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر: ٤٨] وقوله - تعالى - : ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان: ٣٤] وفي هذا حديث " قيل: يا رسول الله كيف يمشي الكافر على وجهه؟، قال: أليس الذي أمشاه في الدنيا على رجلين قادراً على أن يمشيه في الآخرة " (١). قال قتادة: بلى وعزة ربنا « (١).

ب - في قوله - تعالى - : ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧٣] قال أبو حيان ~ : « والظاهر حمل النسيان على وضعه وقد قال عَلَيْهِ السَّلَام " كانت الأولى من موسى نسياناً " (١) وهذا قول الجمهور.... ولا يعتمد إلا قول الرسول " كانت الأولى من موسى نسياناً " (١).

٣ - في إيضاح حكم شرعي :

قال أبو حيان ~ في تفسير قوله - تعالى - : ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ [الكهف: ٤٧]: « وجوز قائل هذا تحية الكافر، وأن يبدأ بالسلام المشروع،... وما أستدل بهم متأول، ومذهبهم محجوج بما ثبت في صحيح مسلم " لا تبدؤوا اليهود والنصارى

= كَانَتْ مَشْهُودًا ﴿وقد روى ابن جرير الجزء الأخير من الحديث.

(١) البحر المحيط (٦/ ٦٩)، وانظر المسألة رقم (٣٣) من سورة الإسراء .

(٢) تخريج الحديث: أخرجه البخاري في كتاب التفسير سورة الفرقان (٦/ ١٣٧)، ومسلم في صفة القيامة (٨/ ١٣٥).

(٣) البحر المحيط (٦/ ٨٠)، وانظر المسألة (٤٧) من سورة الإسراء .

(٤) تخريج الحديث: أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سأل أي الناس أعلم؟ (١/ ٥٦)، وفي كتاب التفسير، باب سورة الكهف (٤/ ١٧٥٢).

(٥) البحر المحيط (٦/ ١٤١)، وانظر المسألة (٦٨) من سورة الكهف .

بالسلام « () » (١).

٤ - في ترجيح سبب النزول:

قال ~ في تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦]: «أطبق أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت في شأن التمثيل بحمزة وغيره في يوم أحد، ووقع ذلك في صحيح البخاري (١) وفي كتاب السير، وذهب النحاس إلى أنها مكية (٢)،... ولكن ما روى الجمهور أثبت (٣)».

٥ - في تضعيف أقوال غير ثابتة في السنة:

أ - قال أبو حيان ~ : «وأما أسماء فتية أهل الكهف فأعجمية لا تنضبط بالشكل ولا النقط والسند في معرفتها ضعيف، والرواة مختلفون في قصصهم، وكيف كان اجتماعهم، وخروجهم ولم يأت في الحديث الصحيح كيفية ذلك ولا في القرآن إلا ما قص تعالى علينا من قصصهم» (٤).

(١) تخريج الحديث: صحيح مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم (٤/١٧٠٧).

(٢) البحر المحيط (٦/١٨٤)، وانظر المسألة رقم (٢٦) من سورة مريم.

(٣) هذا الحديث ليس في البخاري كما ذكر أبو حيان - رحمه الله -، بل هذه القصة لم تثبت بإسناد صحيح، فأسانيدها فيها مقال. انظر دراسة المسألة رقم (١٦) سورة النحل، ص ٢٢٠، هامش (٣).

(٤) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/١١٣).

(٥) البحر المحيط (٦/٥٣١)، وانظر المسألة رقم (١٦) من سورة النحل.

(٦) البحر المحيط (٦/٩٨)، وانظر المسألة رقم (٦) من سورة الكهف.

المطلب الثالث: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة

أكثر أبو حيان ~ من نقل أقوال السلف والخلف في تفسيره؛ مما زاد من مكانة هذا التفسير وقوته؛ حيث أنه أسند في كل فن إلى أقوال أهل الفن فيه، وقد أكثر من ذكر أقوال الصحابة رضي الله عنهم في تفسير الآيات؛ حيث تعتبر أقوالهم رضي الله عنهم في التفسير من أهم طرقه؛ وذلك لما لتفسير الصحابة من قوة؛ فإنهم أدري بذلك؛ لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اقتصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح والعمل الصالح، وهم أهل اللغة، فهم أعلم بتفسير كلام الله - تعالى -^(١).

وتفسير الصحابي ينظر فيه، فإن فسروه من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتمادهم، وإن فسره بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه، وحينئذ إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة فإن أمكن الجمع فذاك... فإن تعذر الجمع جاز للمقلد أن يأخذ بأيها شاء^(٢).

وقد عزز أبو حيان ~ تفسيره بنقل أقوال الصحابة رضي الله عنهم، إلا أن أبا حيان ~ ذكر أقوالهم بلا إسناد؛ وذلك ربما طلباً للاختصار.

ومن نقل عنهم أبو حيان من الصحابة:

١ - عمر بن الخطاب^(٣).

٢ - عبدالله بن مسعود^(٤).

(١) انظر: مجموع الفتاوى: (٣٦٤ / ١٣)، والبرهان في علوم القرآن: (١٨٨ / ٢ - ١٨٩).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن: (١٨٩ / ٢).

(٣) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزيز بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي ابن كعب بن لؤي أمير المؤمنين أبو حفص القرشي العدوي، الفاروق، أسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة، وكان إسلامه فتحاً على المسلمين، وفرجاً لهم من الضيق، استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وولي الخلافة عشر سنين ونصف، انظر: تاريخ الخلفاء: (١٠٨ / ١ - ١٤٦)، والإصابة: (٥٨٨ - ٥٩٠)، وتقريب التهذيب: (٤١٢ / ١). انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٨٧ / ٦).

(٤) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمع بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم

٣ - علي بن أبي طالب^(١).

٤ - أبو هريرة^(٢).

٥ - ابن عباس^(٣).

٦ - عبدالله بن عمر^(٤).

= بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، الإمام الحبر، فقيه الأمة أبو عبد الرحمن الهذلي المكي المهاجري البصري حليف بني زهرة، كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدرًا، وهاجر المهجرتين، ومناقبه غزيرة، توفي سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: ثلاث وثلاثين. انظر: التاريخ الكبير: (٢/٥)، وسير أعلام النبلاء: (١/٤٦١ - ٤٩٩) والإصابة: (٤/٢٣٣ - ٢٣٥). انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٦/٧٤).

(١) علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الحسن، أول الناس إسلامًا في قول كثير من أهل العلم، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، فربى في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك، فقال له بسبب تأخير له بالمدينة: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»، قتل في ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف شهر، انظر: الإصابة: (٤/٥٦٤ - ٥٦٩)، وتاريخ الخلفاء: (١٦٦ - ١٨٧).

انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/٥١٧)، (٦/١٣١).

(٢) أبو هريرة: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، كان حافظًا ذكيًا مفتيًا صاحب صيام، ولي إمرة المدينة مرات، توفي سنة ٥٧ هـ وقيل: سنة ٥٩ هـ. انظر الإصابة (٧/٤٢٥ - ٤٤٤)، والكاشف (٢/٤٦٩). انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/٥١٧)، (٦/١٠٥، ١٢٧).

(٣) ابن عباس: عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب أبو العباس الهاشمي حبر الأمة، وفقه العصر، وإمام التفسير، مات سنة ٧٠ هـ، وهو بالطائف، وقيل: ٦٨ هـ. انظر التاريخ الكبير (٥/٣ - ٥)، وسير أعلام النبلاء (٣/٣٣١ - ٣٥٩). انظر على سبيل المثال البحر المحيط: (٥/٥١٧، ٥٢٤، ٥٢٨)، (٦/١٩، ٢٧، ٤٥، ٥٣، ١٠٥، ١٢٧، ١٤٦).

(٤) عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن القرشي ثم العدوي، من المكثرين عن النبي ﷺ -، ومن أشد الناس إتباعًا للأثر مات سنة ٧٢ هـ، وقيل: ٧٣ هـ. انظر: التاريخ الكبير: (٥/٢)، الإصابة: (٤/١٨١ - ١٨٧). انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/٤٥، ١٣٠).

٧ - أنس بن مالك^(١).

٨ - البراء بن عازب^(٢)، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.



-
- (١) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن النجار، وأمه أم سليم بنت ملحان، خدم النبي ﷺ تسع سنين، وقيل: عشر سنين، توفي سنة ٩٢ هـ، وقيل: ٩٣ هـ. انظر: طبقات ابن سعد: (١٧/٧-٢٥)، والإصابة: (١٢٦/١ - ١٢٧) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٦/٦، ١٣٠).
- (٢) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن الخزرج، وأمه حبيبة بنت أبي حبيبة بن الحباب، شهد مع النبي ﷺ خمس عشرة غزوة، توفي سنة ٧٢ هـ. انظر: طبقات ابن سعد: (٤/٣٦٤ - ٣٦٨)، والإصابة: (٢٧٨/١). انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/٤١٢).

المطلب الرابع: تفسيره القرآن بأقوال التابعين

نقل كثير من المفسرين أقوال التابعين في تفاسيرهم إذا لم يجدوا التفسير في القرآن، ولا في السنة، ولا عن الصحابة، وتعد أقوالهم في التفسير من طرق التفسير بالمأثور.

وأقوال التابعين حجة إذا أجمعوا على الشيء، أما إذا اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن، أو السنة الثابتة، أو أقوال الصحابة، أو عموم لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق في ذلك^(١).

وقد يقع في عباراتهم - أي التابعين - تباين في الألفاظ، يحسبها الناظر إليها اختلافاً وليست كذلك؛ فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو نظيره، ومنهم من ينص على الشيء بعينه، والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن^(٢).

وقد أكثر أبو حيان ~ من النقل عن التابعين ومنهم:

١ - الحسن البصري^(٣).

٢ - قتادة بن دعامة السدوسي^(٤).

٣ - مجاهد بن جبر^(٥).

(١) انظر: مجموع الفتاوى: (٣٦٨ / ١٣ - ٣٧٠)، والبرهان في علوم القرآن: (١٨٩ / ٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (٣٦٨ / ١٣ - ٣٧٠).

(٣) الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد البصري، مولى زيد بن ثابت، الإمام الحجة، توفي سنة ١١٠ هـ. انظر: لسان الميزان (١٩٧ / ٧)، وسير أعلام النبلاء (٥٦٣ / ٤ - ٥٨٨)، وطبقات المفسرين للداوودي (١٣ / ١). انظر: على سبيل المثال: (٥٠٩ / ٥، ٥١٠، ٥١٧)، (١١ / ٦، ١٩، ٢٧، ٤٥، ٧٣، ١٢٣، ١٢٧).

(٤) قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب، الحافظ المفسر، توفي سنة ١١٧ هـ وقيل: ١١٨ هـ. انظر: صفة الصفوة: (٢٥٩ / ٣)، والكاشف: (١٣٤ / ٢)، وطبقات المفسرين للداوودي: (١٤ / ١). انظر: على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥١٤، ٥١٧، ٥٢٤)، (٦ / ٣٩، ٨٩، ١٠٢، ١٢٧).

(٥) مجاهد بن جبر أبو الحجاج مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، إمام في القراءة والتفسير، حجة، توفي سنة ١٠٤ هـ. انظر: الكاشف: (٢٤٠ / ٢)، وتقريب التهذيب: (١ / ٥٢٠)، وطبقات الداوودي: (١١ / ١).

٤ - سعيد بن جبير^(١).

٥ - عبدالرحمن بن زيد بن أسلم^(٢).

٦ - الضحاك^(٣).

٧ - عكرمة^(٤).

وغيرهم من التابعين - رحمهم الله تعالى -.

- = وانظر: على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/٥٠٨، ٥١٤، ٥١٧، ٥٢٤)، (٦/٤١، ٤٥، ٥٥، ٧٣، ١٢٣).
- (١) سعيد بن جبير الأسدي الوالبي مولاهم، أبو محمد وأبو عبد الله، أحد الأعلام، ثقة، ثبت، فقيه، مات شهيداً سنة ٩٥ هـ. انظر: الكاشف: (١/٤٣٣)، وتقريب التهذيب: (١/٢٣٤)، وطبقات المفسرين، للداوودي: (١/١٠).
- انظر: على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/٥١٧، ٥٢٤)، (٦/٢٧، ٣٠، ٤٥، ١٠٢، ١٠٨، ١٢٧، ١٢٩).
- (٢) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني العدوي مولاهم، توفي سنة ١٨٢ هـ. انظر: الكاشف: (١/٦٢٨)، وتقريب التهذيب: (١/٣٤٠)، وطبقات الداوودي: (١/١١). انظر: على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/٥١٧)، (٦/٧٣).
- (٣) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد، وقيل: أبو القاسم، صاحب التفسير كان من أوعية العلم، توفي سنة ١٠٢ هـ، وقيل: ١٠٥ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: (٤/٥٩٨ - ٦٠٠)، وغاية النهاية: (١/٣٣٧)، وطبقات المفسرين للداوودي: (١/١٠). انظر: على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/٥١٧)، (٦/٤٥)، (٧٣).
- (٤) عكرمة بن عبدالله البربري المدني، مولى ابن عباس، أبو عبدالله، كان عالماً بالقرآن ومعانيه، توفي سنة ١٠٥ هـ، وقيل: ١٠٦ هـ، وقيل: سنة ١٠٧ هـ. انظر: طبقات المفسرين للداوودي: (١/١٢)، وغاية النهاية: (١/٥١٥)، ووفيات الأعيان: (٣/٢٦٥). انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/٥١٧)، (٦/٢٧)، (٥٥).

موقف أبي حيان ~ من الإسرائيليات^(١):

صرح أبو حيان ~ بموقفه من كل ما ليس له علاقة بالتفسير، أو بمدلول الآية ومنها التواريخ الإسرائيلية في مقدمة تفسيره^(٢)، وأنه لا يصح أن تورد في التفسير، إدراكاً منه لخطورة ذلك، وأن فيه تحميلاً للنص القرآني بغير وجه مشروع، لذا تجده دائماً يعقب على كثير من المواطن التي يتأتى فيها أخبار بني إسرائيل بقوله: «وأما أسماء فتية أهل الكهف فأعجمية لا تنضبط بشكل ولا نقط والسند في معرفتها ضعيف، والرواة مختلفون في قصصهم، وكيف كان اجتماعهم وخروجهم، ولم يأت في الحديث الصحيح كيفية ذلك ولا في القرآن إلا ما قص تعالى علينا من قصصهم»^(٣).

وقال ~ : «ونقل المفسرون الخلاف في أوقات تقلبهم، وفي عدد التقلبات عن ابن عباس وأبي هريرة وقتادة ومجاهد وابن عياض بأقوال متعارضة متناقضة ضربنا عن نقلها صفحاً، وكذلك لم نتعرض لاسم كلهم ولا لكونه كلب زرع أو غيره، لأن مثل هذا العدد والوصف والتسمية لا يدرك بالعقل، وإنما يدرك بالسمع، والسمع لا يكون في مثل هذا إلا عن الأنبياء أو الكتب الإلهية ويستحيل ورود هذا الاختلاف عنها»^(٤).

وقال ~ في قصة يأجوج ومأجوج: «وقد اختلف في عددهم وصفاتهم، ولم يصح

(١) الإسرائيليات: تشمل ما تأثر به تفسير القرآن من الثقافتين اليهودية والنصرانية، وكل دخيل على التفسير مما فيه مبالغة، ودسّ وكذب وتحريف، ولو كان مربوطاً عن غير أهل الكتاب، أو متعلقاً بقصص غير واردة في أسفار أهل الكتاب، كقصة هود وقومه عاد، وصالح وقومه ثمود، وغيرهم، وإنما سميت هذه الأخبار على اختلاف مصادرها بالإسرائيليات تغليلاً للجانب اليهودي الذي اشتهر أمره فكثرت النقل عنه، لكثرة أهله ولظهورهم، وشدة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بسط رواقه على كثير من بلاد العالم، ودخل الناس في دين الله أفواجا. انظر التفسير والمفسرون (١/ ١١٣-١١٤)، والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لأبي شعبة ص (٧١).

(٢) انظر البحر المحيط (١/ ١٠٤).

(٣) انظر البحر المحيط (٦/ ٩٨).

(٤) انظر البحر المحيط (٦/ ١٠٥).

في ذلك شيء»^(١).

وقال في مدة حمل مريم بعيسى - عليهما السلام: « وهذه أقوال مضطربة متناقضة كان ينبغي أن يضرب عنها صفحاً إلا أن المفسرين ذكروها في كتبهم وسودوا بها الورق»^(٢).

ورغم هذا التحفظ الذي أبداه أبو حيان ~ إلا أننا نجده قد خالف هذا المنهج الذي سلكه - وهذه بعض الأمثلة التي خالف فيها منهجه من خلال دراسة الجزئية الخاصة برسالتي -:

أ - قال أبو حيان ~ في تحديد مكان أهل الكهف: «ويترجح كون أهل الكهف بالأندلس لكثرة دين النصارى بها، حتى إنها هي بلاد مملكتهم العظمى، ولأن الأخبار بما هو في أقصى مكان من أرض الحجاز أغرب وأبعد أن يعرفه أحد إلا بوحي من الله تعالى»^(٣).

ب - وقال ~ في تعيين ذي القرنين: « وذو القرنين هو الاسكندر اليوناني... وثبت في علم التاريخ الذي هذا شأنه ما كان إلا الاسكندر فوجب القطع بأن المراد بذو القرنين هو الاسكندر بن فيلفوس اليوناني»^(٤).

ف نجد أن أبا حيان ~ لم يجرد تفسيره من المرويات الإسرائيلية فقد تطرق إليها وإن كان مقلداً في ذكرها، أو ذكرها ولم يصرح بنقدها علانية، أو ردّها، إلا أنه لم نجده يجزم بها في تفسير آية، ولعل السبب في نقله لها يرجع إلى طبيعة النظرة إلى هذه الإسرائيليات من جواز رواية ما له صلة بالتاريخ، فينقل للاستفادة منها في فهم التاريخ، فإذا مس ذلك المنقول عصمة الأنبياء، فإنه يرده ويرفضه.

(١) انظر البحر المحيط (٦/١٥٤).

(٢) انظر البحر المحيط (٦/١٧١).

(٣) انظر البحر المحيط (٦/٩٨).

(٤) انظر البحر المحيط (٦/١٥٠).

المطلب الخامس: عنايته بالقراءات

يعتبر تفسير البحر المحيط مرجعاً من مراجع توثيق القراءات؛ وذلك لتمكن أبي حيان ~ في القراءات، وإيراده لها، مع بيانه للمتواتر منها والشاذ، وتوجيهه لتلك القراءات، مما جعل الباحثين يهتمون بهذا التفسير في علم القراءات، وأُلفَ في ذلك عدة رسائل جامعية.

ومما ذكره أبو حيان في ذلك ما يلي:

١ - ذكر القراءات متواترها وشاذها .

يذكر أبو حيان ~ القراءات الشاذة ويبين أنها من باب التفسير للآيات، وهذا هو المقصد لكثير من العلماء من ذكرهم للقراءات الشاذة؛ فهي تعتبر تفسيراً للقراءة المشهورة، وتبين معانيها، ويستنبط منها معرفة صحة التفسير^(١).

أ - قال أبو حيان ~ في تفسير قوله - تعالى -: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنُؤْمِنَ لِرُفِيكَ حَتَّىٰ نُنْزِلَ عَلَيْكَ كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ﴾ [الإسراء: ٩٣]: «وقرأ الجمهور ﴿مِّنْ زُخْرٍ﴾ وعبد الله (من ذهب)^(١)، ولا تحمل على أنها قراءة لمخالفة السواد، وإنما هي تفسير، وقال مجاهد^(٢): كنا لا ندري ما الزخرف حتى رأيت في قراءة عبد الله (من ذهب)^(١).

ب - وقال ~ في تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾^(١) قِيَمًا لِّيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا [الكهف: ١-٢]: «وحفص^(١) يسكت على قوله (عوجاً) سكتة خفيفة ثم يقول

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ٤١٢ - ٤١٣).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (٨/ ١٤٨)، الدر المنثور (٥/ ٣٤٠).

(٣) انظر جامع البيان (٨/ ١٤٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٨٧)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٦٩).

(٤) البحر المحيط (٦/ ٧٨).

(٥) حفص بن سليمان بن المغيرة، أبو عمر بن أبي داود الأسدي الكوفي، أخذ القراءة عرضاً وتلقيناً على عاصم بن أبي النجود (مات سنة ١٨٠ هـ على الصحيح). انظر غاية النهاية (١/ ٢٥٤ - ٢٥٥).

(قيماً)، وفي بعض مصاحف الصحابة (ولم يجعل له عوجاً لكن جعله قيماً)^(١) ويحمل ذلك تفسير المعنى لا أنها قراءة^(٢).

٢ - ذكر توجيه تلك القراءات.

معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارئ فن جليل، وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها، وقد اعتنى الأئمة به عناية فائقة.

وفائدته: أن يكون دليلاً على حسب المدلول عليه، أو مرجحاً، إلا أنه ينبغي التنبيه على شيء وهو أنه قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يسقط القراءة الأخرى، وهذا غير مرضي؛ لأن كليهما متواترة^(٣)، وقال أبو حيان ~ : «ولا وجه لترجيح إحدى القراءتين على الأخرى؛ لأن كلا منهما متواتر فهما في الصحة على حد سواء»^(٤)، وقال ~ : «وهذا الترجيح الذي يذكره المفسرون والنحويون بين القراءتين لا ينبغي؛ لأن هذه القراءات كلها صحيحة مروية ثابتة عن الرسول ﷺ، ولك منها وجه ظاهر حسن في العربية فلا يمكن فيها ترجيح قراءة من قراءة»^(٥)، وقال: «وقد تقدم لنا غير مرة أنا لا نرجح بين القراءتين المتواترتين»^(٦).

ومما ذكره أبو حيان ~ في ذلك ما يلي:

أ - قال أبو حيان ~ عند تفسير قوله - تعالى - : ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤]: «.... ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ أي: كثير البر والإكرام والتبجيل، وقرأ

(١) انظر مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ص (٨١).

(٢) البحر المحيط (٩٤/٦).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن: (١/٤١٩).

(٤) انظر البحر المحيط (١/١٩٩).

(٥) انظر البحر المحيط (٢/٢٦٥).

(٦) انظر البحر المحيط (٤/٨٧)، و اضاف الدكتور محمد بن فوزان العمر: ((و المقصود من الترجيح بين القرائتين هو الترجيح لغة، ولا يصح الترجيح بين القرائتين سنداً، لأن كلا القرائتين المتواترتين ثابتة عن النبي ﷺ)).

الحسن وأبو جعفر^(١) في رواية وأبو نهيك^(٢) وأبو مجلز^(٣) (وبراً بوالديه)^(٤) في الموضعين بكسر الباء أي: وذا بر^(٥).

ب - قال أبو حيان ~ عند قوله - تعالى -: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥١] «قرأ الكوفيون (مُخْلَصًا)^(٦) بفتح اللام، وهي قراءة أبي رزين^(٧) ويحيى^(٨) وقتادة أي: أخلصه الله للعبادة والنبوة، كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [ص: ٤٦] وقرأ باقي السبعة^(٩) والجمهور بكسر اللام أي: أخلص العبادة عن الشرك والرياء، أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله^(١٠).

إلى غير ذلك من المظاهر المتعددة في العناية بالقراءات إلا أنه نص على ما ذكرت في

(١) يزيد بن القعقاع بن شبرمة المدني المخزومي مولا هم، أبو جعفر، القاريء المشهور، تابعي جليل، أحد القراء العشرة، توفي سنة ١٣٠ هـ. انظر معرفة القراء الكبار ص (١٤٠)، وغاية النهاية (٢/ ٣٨٦)، وتقريب التهذيب (٢/ ٧٠٦).

(٢) القاسم بن محمد، أبو نهيك الأسدي، أو الضبي، أصله من الكوفة، سكن مرو، من الذين عاصروا وصغار التابعين ذكره ابن حبان في الثقات. انظر تهذيب الكمال (٣٤/ ٣٥٦)، والتاريخ الكبير (٧/ ١٥٨)، والثقات لابن حبان (٥/ ٣٠٦).

(٣) أبو مجلز: لاحق بن حميد بن سعيد، ويقال: شعبة السدوسي، أبو مجلز البصري الأعور، قدم خراسان وله دار بمرو، مشهور بكنتيته، من أوساط التابعين، توفي سنة ١٠٩ هـ. انظر تهذيب الكمال (٣١/ ١٧٦)، والكاشف (٢/ ٣٥٩)، وتاريخ الكبير (٨/ ٢٥٨).

(٤) انظر المحتسب (٢/ ٤٢).

(٥) البحر المحيط (٦/ ١٦٨).

(٦) النشر، (٢/ ٢٩٥)، (٢/ ٣١٨)، حجة القراءات ص (٤٤٤)، السبعة في القراءات (٣٤٨).

(٧) أبو رزين: مسعود بن مالك، الأسدي، الكوفي، من كبار التابعين، ثقة فاضل مات سنة ٨٥ هـ. انظر التقريب (١/ ٥٢٨)، الأسامي والكنى لابن حنبل (١/ ١٢٦).

(٨) يحيى بن وثاب الأسدي مولا هم، ثقة عابد، خاشع مقريء، مات سنة ١٠٣ هـ. التهذيب (١١/ ٢٥٨)، الكاشف (٢/ ٣٧٨).

(٩) انظر الحجة في القراءات السبع ص (١٩٤)، السبعة ص (٤١٠).

(١٠) انظر البحر المحيط (٦/ ١٨٧).

مقدمته.



المطلب السادس: عنايته بأسباب النزول

اعتنى بذكر أسباب النزول كثير من المفسرين في تفاسيرهم، لما لمسوه من شدة الحاجة إليه في تفسير القرآن الكريم، وقد أفرد جماعة منهم بالتأليف.

ويراد بسبب النزول: هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه والمعنى: أنه حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ، أو سؤال وجه إليه، فنزلت الآية أو الآيات من الله - تعالى - ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال^(١).

وفي ذكر أسباب النزول فوائد جمعة منها:

- ١ - بيان وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.
- ٢ - تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب.
- ٣ - الوقوف على المعنى، وإزالة الإشكال، فبيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز.

قال الشاطبي: «ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط، فهي من المهمات في فهم الكتاب بلا بد، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال، وينشأ عن هذا الوجه الوجه الثاني؛ وهو أن الجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبه والإشكالات، ومورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال، حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع»^(٢).

٤ - أن اللفظ قد يكون عاماً، ويقوم الدليل على تخصيصه.

٥ - دفع توهم الحصر.

٦ - تيسير الحفظ وتسهيله، وتثبيت الوحي في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها^(٣).

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: (١/ ٩٩)، ومباحث في علوم القرآن: (٧٧).

(٢) الموافقات: (٣/ ٣٤٧).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ٤٥ - ٥٠)، والإتقان في علوم القرآن: (١/ ٨٢)، ومناهل العرفان في علوم القرآن: (١/ ١٠٢ - ١٠٧)، والمدخل لدراسة القرآن الكريم: (١٣٢)، ومباحث في علوم القرآن: (٧٩ - ٨٢).

ولا طريق لمعرفة أسباب النزول إلا النقل الصحيح ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها^(١).

وقد اعتنى أبو حيان ~ بذكر أسباب النزول كما ذكر ذلك في مقدمته، فيورد الأسباب في الآية دون الترجيح بينها أحياناً، وأحياناً يورد سبباً واحداً للآية، وقد يبين المعنى الصحيح للآية بسبب النزول، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

- في قوله - تعالى -: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠] قال أبو حيان ~ : «قال ابن عباس: تهجد رسول الله ﷺ ذات ليلة بمكة، فجعل يقول في سجوده يا رحمن يا رحيم، فقال المشركون كان (محمد^(١)) يدعو إلهها واحداً فهو الآن يدعو إلهين اثنين الله والرحمن، ما الرحمن إلا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة فنزلت، قاله في التحرير، ونقل ابن عطية نحوه منه عن مكحول^(٢)، وقال عن ابن عباس: سمعه المشركون يدعوا يا الله يا رحمن، فقالوا: كان يدعو إلهها واحداً وهو يدعو إلهين فنزلت، وقال: ميمون بن مهران^(٣): كان النبي ﷺ يكتب باسمك اللهم، حتى نزلت ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] فكتبها، فقال مشركوا العرب هذا الرحيم نعرفه فما الرحمن؟ فنزلت»^(٤).

- في قوله - تعالى -: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١] قال أبو حيان ~ : «وسبب نزولها أن قريشاً بعثت النضر بن الحارث^(٥)،

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: (١/ ١٠٧)، ومباحث في علوم القرآن: (٧٦ - ٧٧).

(٢) سقط من طبعة البحر .

(٣) مكحول الشامي، أبو عبدالله الدمشقي، ثقة فقيه، إمام أهل الشام في زمانه، إلا أنه كثير الإرسال والتدليس، لم يسمع من يسمع من الصحابة إلا من ثلاثة: واثلة، وأنس، وأبي هند الداري، توفي سنة ١١٣ هـ. انظر تهذيب الكمال (٢٨/ ٤٦٤-٤٧٤)، والكاشف (٢/ ٢٩١)، والتقريب (١/ ٥٤٥).

(٤) ميمون بن مهران: هو الجزري، أبو أيوب الرقي، تابعي ثقة، وكان فقيهاً فاضلاً ديناً، توفي سنة ١١٨ هـ. انظر معرفة الثقات (٢/ ٣٠٧)، ومشاهير الأمصار (١/ ١١٧)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٣٤٩).

(٥) البحر المحيط (٦/ ٨٦).

(٦) النضر بن الحارث بن علقمة من كندة من عبدالدار القرشي، العبدي، قتل كافراً بإجماع أهل السير،

وعقبة بن أبي معيط^(١) إلى أحبار اليهود بالمدينة، فقالوا لهما سلاهم عن محمد وصفاً لهم، وصفاً لهم صفته، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجوا حتى أتيا المدينة فسألاهم، فقال الأحبار: سلوه فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول فأروا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنه كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نباؤه، وسلوه عن الروح فأقبل النضر وعقبة إلى مكة فسألاه، فقال: غداً أخبركم ولم يقل إن شاء الله فاستمسك الوحي خمسة عشر يوماً فأرجف كفار قريش، وقالوا: إن محمداً قد تركه ربي^(٢) الذي كان يأتيه من الجن، وقال بعضهم قد عجز عن أكاذيبه فشق ذلك عليه، فلما انقضى الأمد جاءه الوحي بجواب الأسئلة وغيرها، وروي في هذا السبب أن اليهود قالت: إن أجابكم عن الثلاثة فليس بنبي، وإن أجاب عن اثنتين وأمسك عن الأخرى فهو نبي، فأنزل الله سورة أهل الكهف، وأنزل بعد ذلك ويسألونك عن الروح^(٣).



= قتله علي بن أبي طالب بأمر النبي ﷺ. انظر الإصابة: ٦ / ٤٣٠.

(١) عقبة بن أبي معيط: بضم الميم وفتح العين، فهو عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف كان من شياطين قريش، وهو الفاسق الذي ذكره الله تعالى في كتابه، أسره رسول الله - ﷺ -

يوم بدر وضرب عنقه صبراً. انظر الإكمال (٧ / ٢٠٨).

(٢) الرئي والرئي: الجنِّي يراه الإنسان. انظر لسان العرب (٣ / ١٥٤١).

(٣) البحر المحيط: (٦ / ٩٣).

المطلب السابع : عنايته بالناسخ والمنسوخ

معرفة ناسخ القرآن من منسوخه، والعلم به أمر عظيم الشأن في التفسير والفقه، وقد صنف فيه جماعة من العلماء، ولا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ، وقد قال علي بن أبي طالب عليه السلام لقاص: «أتعرف الناسخ والمنسوخ؟»، قال: الله أعلم، قال: هلكت وأهلكت»^(١).

والنسخ في اللغة: يأتي بعدة معانٍ، منها:

- ١ - الإزالة، ومنه قوله - تعالى -: ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ [الحج: ٥٢].
- ٢ - التبديل، كقوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ [النحل: ١٠١].
- ٣ - التحويل، كتناسخ المواريث - يعني تحويل الميراث من واحد إلى واحد -.
- ٤ - النقل من موضع إلى موضع، ومنه: نسخت الكتاب، إذا نقلت ما فيه حاكياً للفظه وخطه^(٢).

وفي الاصطلاح: هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي^(٣).

والنسخ مما خصت به أمة محمد صلوات الله عليه، وله حكم كثيرة منها:

- ١ - مراعاة مصالح العباد، ورعاية الأصلح لهم في كل وقت بحسب أحوالهم فيه.
- ٢ - التدرج بالتشريع إلى مرتبة الكمال في تربية النفس.
- ٣ - إن كان النسخ إلى أخف فالحكمة التيسير على الأمة.
- ٤ - إن كان النسخ إلى أشق فالحكمة زيادة الثواب مع ابتلاء المكلف.

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه: (٢٢٠ / ٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه: (٢٩٠ / ٥)، والطبراني في الكبير: (٢٥٩ / ١٠)، الناسخ والمنسوخ، للنحاس: (٤٩ / ١). قال الهيثمي: «وفيه أبو راشد مولى بني عامر ولم أر من ذكره». مجمع الزوائد: (١٥٤ / ١).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة: (٤٢٤ / ٥)، والناسخ والمنسوخ، للنحاس: (٥٧ / ١)، والبرهان في علوم القرآن: (٣٣ / ٢)، والإتقان في علوم القرآن: (٥٩ / ٣)، ومناهل العرفان: (٧١ / ٢).

(٣) انظر: مناهل العرفان: (٧٢ / ٢).

٥ - إن كان النسخ إلى مساوٍ فالحكمة الابتلاء والاختبار للمكلف؛ لكمال الانقياد والعبودية لله - تعالى -^(١).

ويرجع في النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله ﷺ أو عن صحابي يقول: آية كذا نسخت كذا، وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به من علم التاريخ؛ ليعرف المتقدم والمتأخر، ولا يعتمد في النسخ قول عوام المفسرين، بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بينة؛ لأن النسخ يتضمن رفع حكم وإثبات حكم تقرر في عهده ﷺ والمعتمد فيه النقل والتاريخ، دون الرأي والاجتهاد^(٢).

وقد أولى أبو حيان جانب النسخ عناية كبيرة في تفسيره؛ وذلك لما في معرفة الناسخ والمنسوخ من الآيات من أهمية في فهم الآيات والعمل بها، ومن ذلك:

في قوله - تعالى -: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦] قال أبو حيان ~ : « قالت فرقة: هذه الآية منسوخة بآية القتال، وقالت فرقة: هي محكمة ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ أطبق أهل التفسير أن هذه الآية مدنية، نزلت في شأن التمثيل بحمزة وغيره يوم أحد، ووقع ذلك في صحيح البخاري^(٣) في كتاب السير، وذهب النحاس إلى أنها مكية، والمعنى متصل بما قبلها اتصالاً حسناً لأنها تتدرج الذنب من الذي يدعى، وتوعظ إلى الذي يجادل إلى الذي يجازي على فعله، ولكن ما روى الجمهور أثبت انتهى^(٤) ».

(١) انظر: الإتيان في علوم القرآن: (٦٠ / ٣)، ومناهل العرفان: (٩٠ / ٢ - ٩٢)، ومباحث في علوم القرآن: (٢٤٠).

(٢) انظر: الإتيان في علوم القرآن: (٧١ / ٣)، ومناهل العرفان: (١٠٥ / ٢ - ١٠٦).

(٣) تخريج الحديث: تقدم تخريجه انظر ص ٧٥.

(٤) البحر المحيط (٥ / ٥٣١)، وانظر المسألة رقم (١٦) من سورة النحل.

المطلب الثامن: عنايته بالمكي والمدني

من أشرف علوم القرآن علم المكي والمدني، وقد عني العلماء بتحقيق المكي والمدني عناية فائقة، فتتبعوا القرآن آية آية، وسورة سورة، لترتيبها وفق نزولها، مراعين في ذلك الزمان والمكان والخطاب، وهو تحديد دقيق يعطي للباحث المنصف صورة للتحقيق العلمي في علم المكي والمدني^(١).

وللعلماء في المراد بالمكي والمدني ثلاثة اصطلاحات:

أحدها: أن المكي ما نزل بمكة، والمدني ما نزل بالمدينة.

الثاني: وهو المشهور أن المكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة، وهذا القول لوحظ فيه زمن النزول، وهو تقسيم صحيح سليم؛ لأنه ضابط حاصر ومطرّد لا يختلف بخلاف القولين الآخرين؛ ولذلك اعتمده العلماء واشتهر بينهم.

الثالث: أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة^(٢).

ومن فوائده:

- ١ - معرفة النسخ والمنسوخ؛ لأن فيه العلم بالمتأخر.
 - ٢ - معرفة تاريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عام.
 - ٣ - الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالماً من التغيير والتحريف.
 - ٤ - الاستعانة به في تفسير القرآن الكريم.
 - ٥ - تذوق أساليب القرآن الكريم، والاستفادة منها في الدعوة إلى الله ﷻ^(٣).
- ولا سبيل إلى معرفة المكي والمدني إلا بما ورد عن الصحابة والتابعين في ذلك؛ لأنه لم يرد عن النبي ﷺ بيان للمكي والمدني؛ وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن: (٥٣).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن: (٢٣٩/١)، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي: (٢٣/١)، ومناهل العرفان في علوم القرآن: (١٨٦ - ١٨٧)، ومباحث في علوم القرآن: (٦١ - ٦٢).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن: (٢٣٩/١)، والإتقان في علوم القرآن (٢٢ - ٢٣)، ومناهل العرفان في علوم القرآن: (١٨٨/١)، ومباحث في علوم القرآن: (٥٩ - ٦٠).

حاجة إلى هذا البيان كيف وهم يشاهدون الوحي والتنزيل، ويشهدون مكانه وزمانه وأسباب نزوله عياناً^(١).

وقد اعتنى أبو حيان ~ بذكر المكي والمدني في تفسيره، ومن الأمثلة على ذلك:

أ- في قوله -تعالى-: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ [النحل: ١١٢] قال أبو حيان ~ : «وعن ابن عباس ومجاهد وابن زيد وقتادة: أن القرية المضروب بها المثل مكة، كانت لا تغزى ولا يغار عليها، والأرزاق تجلب إليها وأنعم الله عليها بالرسول ﷺ فكفرت، فأصابها السنون والخوف، وسرايا الرسول وغزواته، ضربت مثلاً لغيرها مما يأتي بعدها، وهذا وإن كانت الآية مدنية، وإن كانت مكة فجوع السنين وخوف العذاب بسبب التكذيب، ويؤيد كونها مكة قول: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [النحل: ١١٣] ويجوز أن يكون قرية من قرى الأولين»^(٢).

ب- في قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تُطْعَمْنَ مِنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] قال أبو حيان ~ : «والظاهر: أن المراد بمن أغفلنا كفار قريش، وقيل: عيينة^(٣) والأقرع^(٤)، والأول أولى لأن الآية مكة»^(٥).

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: (١/ ١٨٩).

(٢) البحر المحيط (٥/ ٥٢٤)، وانظر المسألة رقم (١٤) من سورة النحل.

(٣) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية بالجيم مصغراً - بن لوزان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة الفزاري أبو مالك لقب عيينة لأنه كان أصابته شجة فجحظت عيناه. قال ابن السكّن: له صحبة، وكان من المؤلفة، ولم يصح له رواية أسلم قبل الفتح وشهدها وشهد حنيناً والطائف وكان ممن ارتد في عهد أبي بكر ثم عاد إلى الإسلام وكان فيه جفاء البوادي. انظر الإصابة (٤/ ٧٦٧)، والثقات (٣/ ٣١٢).

(٤) الأقرع بن حابس بن عقّال بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعي الدارمي شهد فتح مكة وحنيناً والطائف وهو من المؤلفة قلوبهم وقد حسن إسلامه. انظر الإصابة (١/ ١٠١)، وتعجيل المنفعة (١/ ٣٩)، والثقات (٣/ ١٨).

(٥) البحر المحيط (٦/ ١١٤)، وانظر المسألة رقم (٢٨) من سورة الكهف.

المبحث الثاني

تفسيره القرآن بالرأي

وفيه تمهيد وأربعة مطالب :

- **المطلب الأول:** تفسيره القرآن بمن جاء بعد عصر التابعين.
- **المطلب الثاني:** تفسيره القرآن باللغة .
- **المطلب الثالث:** عنايته بالمناسبات .
- **المطلب الرابع:** عنايته بأسرار التعبير .

التمهيد

التفسير بالرأي منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم، والمراد بالرأي هنا: الاجتهاد، فإن كان الاجتهاد موفقاً، أي: مستنداً إلى ما يجب الاستناد إليه، بعيداً عن الجهالة والضلالة فالتفسير به محمود، وإلا فمذموم^(١).

قال الزركشي ~ : « واعلم أن القرآن قسمان: أحدهما: ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره، وقسم لم يرد، والأول ثلاثة أنواع: إما أن يرد التفسير عن النبي ﷺ، أو عن الصحابة، أو عن رؤوس التابعين... »

الثاني: ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين وهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق^(٢).

وبين الزركشي حكم التفسير بمجرد الرأي فقال ~ : « ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل؛ لقوله - تعالى - : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]، وقوله: ﴿لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] فأضاف البيان إليهم.

وعليه حملوا... قوله ﷺ: [من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ]^(٣)»^(٤).

قال ابن كثير ~ بعد ذكره لأقوال السلف في تحرجهم عن تفسير بعض الآيات التي لا علم لهم بها: « فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: (٣٦ / ٢).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن: (١٨٨ / ٢ - ١٨٩).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله - ﷺ -، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: (٢٠٠ / ٥)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب فضائل القرآن، باب من قال في القرآن بغير علم: (٣١ / ٥)، والرويان في مسنده: (١٤٥ / ٢)، وأبو يعلى في مسنده: (٩٠ / ٣)، والطبراني في المعجم الكبير: (١٦٣ / ٢) والأوسط: (٢٠٨ / ٥)، والبيهقي في الشعب: (٤٢٣ / ٢)، ح: (٢٢٧٧)، كلهم عن جندب رضي الله عنه، ضعفه الألباني في ضعيف الجامع: (٢٢٨ / ٥)، رقم: (٥٧٤٨).

(٤) البرهان في علوم القرآن: (١٧٨ / ٢ - ١٧٩).

تخرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه؛ ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة؛ لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه»^(١).

وقد كان أبو حيان ~ من العلماء الذين يرون جواز التفسير بالرأي إذا استوفى المفسر شروطه فقال: «ومن أحاط بمعرفة مدلول الكلمة وأحكامها قبل التركيب، وعلم كيفية تركيبها في تلك اللغة، وارتقى إلى تمييز حسن تركيبها وقبحه، فلن يحتاج في فهم ما تركب من تلك الألفاظ إلى مفهم ولا معلم، وإنما تفاوت الناس في إدراك هذا الذي ذكرناه؛ فلذلك اختلفت أفهامهم وتباينت أقوالهم، وقد جربنا الكلام يوماً مع بعض من عاصرنا، فكان يزعم أن علم التفسير مضطر إلى النقل في فهم معاني تراكيبه بالإسناد إلى مجاهد، وطاوس، وعكرمة وأضرابهم، وأن فهم الآيات متوقف على ذلك، والعجب له أنه يرى أقوال هؤلاء كثيرة الاختلاف متباينة الأوصاف متعارضة ينقض بعضها بعضاً... وكان هذا المعاصر يزعم أن كل آية نقل فيها التفسير خلف عن سلف بالسند إلى أن وصل ذلك إلى الصحابة، ومن كلامه أن الصحابة سألوا رسول الله ﷺ عن تفسيرها، هذا وهم العرب الفصحاء الذين نزل القرآن بلسانهم... وعلى قول هذا المعاصر يكون ما استخرجه الناس بعد التابعين من علوم التفسير ومعانيه ودقائقه وإظهار ما احتوى عليه من علم الفصاحة والبيان والإعجاز، لا يكون تفسيراً حتى ينقل بالسند إلى مجاهد ونحوه، وهذا كلام ساقط»^(٢).

وقال: «وما روي عنه ﷺ من قوله: [من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ]^(٣) محمول على من تسور على تفسيره برأيه دون النظر في أقوال العلماء وقوانين العلوم كالنحو واللغة والأصول، وليس من اجتهد ففسر على قوانين العلم والنظر بداخل في ذلك

(١) تفسير القرآن العظيم: (١/٧).

(٢) البحر المحيط: (١/١٠٤).

(٣) تقدم تخريجه ص: (٩٥).

الحديث، ولا هو يفسر برأيه، ولا يوصف بالخطأ»^(١).

قال ابن الأثير في بيان معنى الحديث، وبيان أهمية النقل والسماع: «النهى يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون له في الشيء رأي، وإليه ميل من طبعه وهواه، فيتناول القرآن على وفقه محتجاً به لغرضه، ولو لم يكن له هوى لم يلح له منه ذلك المعنى، وهذا يكون تارة مع العلم كمن يحتاج منه بآية على تصحيح بدعته عالماً بأنه غير مراد بالآية، وتارة يكون مع الجهل بأن تكون الآية محتملة فيميل فهمه إلى ما يوافق غرضه، ويرجح برأيه وهواه، فيكون فسر برأيه إذ لولاه لم يترجح عنده ذلك الاحتمال، وتارة يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن فيستدل به بما يعلم أنه لم يرد به....

الثاني: أن يتسارع إلى تفسيره بظاهر العربية بغير استظهار بالسماع والنقل يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة والاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير، فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه، ودخل في زمرة من فسر القرآن بغير علم، فالنقل والسماع لا بد منهما أولاً، ثم هذه تستتبع التفهم والاستنباط، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر»^(٢).

وقد اعتنى أبو حيان ~ في تفسيره بنقل ما ورد في الآية من الأقوال، ولم يكتف بذلك بل كان يوجه الأقوال، ويرجح في بعض الأحيان، كما اعتنى بالتفسير بالرأي فأعمل فكره في عدة جوانب منها: اعتناؤه بتفسير القرآن باللغة، وذكره للمناسبات بين السور، والمناسبات بين الآيات بعضها ببعض في كثير من المواضع، كذلك اعتنى بذكر أسرار التعبير، وذكر اللطائف من الآيات، وهذا ما سيأتي ذكره فيما يلي.

(١) البحر المحيط: (١/ ١١٩).

(٢) فيض القدير: (٦/ ١٩٠).

المطلب الأول: تفسيره القرآن بأقوال من بعد عصر التابعين

ذكر أبو حيان ~ في مقدمته اعتماده في تفسيره على تفسير الزمخشري^(١)، وتفسير ابن عطية^(٢)، وكتاب التحرير والتجوير لأقوال أئمة التفسير لجمال الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان ابن حسن بن حسين المقدسي المعروف بابن النقيب^(٣) - رحمهم الله تعالى - إلا أنه لم يكتف بذلك فنقل أقوال غيرهم من المفسرين ممن جاءوا بعد عصر التابعين، واستفاد من تفاسيرهم فقد صنف كثير من العلماء في التفسير بعد عصر التابعين، كتباً مستقلة بالتفسير جمعوا فيها أقوال السابقين، ومنهم:

١ - السدي^(٤).

٢ - مقاتل^(٥).

٣ - سفيان الثوري^(٦).

٤ - الطبري^(٧).

(١) انظر: على سبيل المثال: (٥/٥١٤، ٥١٥، ٥١٧، ٥٢٤)، (٦/٣١، ٤٥، ٧٧، ٩٦).

(٢) انظر: على سبيل المثال: (٥/٥١١، ٥١٥، ٥٢٢، ٥٢٤)، (٦/٩، ٣١، ٣٣، ٤١، ٥٢، ٥٨، ٩٥).

(٣) انظر: على سبيل المثال: البحر المحيط: (٦/٧٤، ٨٦).

(٤) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي - بضم المهملة وتشديد الدال - الكوفي، أبو محمد، المشهور المفسر كان عالماً بالتفسير، توفي سنة ١٢٧ هـ. انظر الكاشف (١/٢٤٧)، وتقريب التهذيب (١/١٠٨)، وتهذيب التهذيب (١/٢٧٣ - ٢٧٤)، وطبقات المفسرين للدواودي (١/١٥).

وانظر على سبيل المثال: (٥/٥١٤).

(٥) مقاتل بن سليمان البلخي، أبو الحسن، كبير المفسرين، مات سنة نيف وخمسين ومائة. انظر سير أعلام النبلاء (٧/٢٠١ - ٢٠٢)، والكاشف (٢/٢٩٠)، وتقريب التهذيب (١/٥٤٥).

وانظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/١٥، ٧٣).

(٦) سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري، أبو عبد الله الكوفي، الإمام الكبير أحد الأعلام، أمير المؤمنين في الحديث، ولد سنة سبع وتسعين على الصحيح، توفي سنة ١٦١ هـ. انظر مشاهير علماء الأمصار (١٦٩)، سير أعلام النبلاء (٧/٢٢٩ - ٢٧٩)، وغاية النهاية (١/٣٠٨).

(٧) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الإمام أبو جعفر الطبري كان مولده في سنة أربع وعشرين ومائتين،

وغيرهم من العلماء - رحمهم الله تعالى -.

وقد اعتنى أبو حيان ~ بنقل أقوالهم في تفسيره، كما أنه استفاد ممن جاءوا بعدهم، ومنهم:

١ - الزجاج^(١).

٢ - أبو جعفر النحاس^(٢).

٣ - أبو العباس المهدوي^(٣).

٤ - الماوردي^(٤).

= صنف التاريخ الحافل، وله التفسير الكامل الذي لا يوجد له نظير وغيرهما من المصنفات النافعة في الأصول والفروع، توفي سنة ٣١٠هـ. انظر البداية والنهاية (١١/ ١٤٥ - ١٤٧)، وطبقات المفسرين للسيوطي (١/ ٩٥ - ٩٧)، ومعرفة القراء الكبار (١/ ٢٦٤ - ٢٦٦).

انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/ ٥١٤)، (٦/ ١٩، ٣١، ٥٨، ٨٣، ٩٥، ١٠٨).

(١) الزجاج: إبراهيم بن السري، أبو إسحاق، عالم بالنحو، واللغة والتفسير توفي سنة ٣١١هـ. انظر نزهة الألباء ص (١٨٣)، وإنباه الرواة (١١/ ١٩٤)، ومعجم الأدباء (١/ ١٣٠).

انظر على سبيل المثال: (٦/ ٣٠، ٣٣، ٣٩، ١٣٠، ١٤٧).

(٢) أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري، أبو جعفر النحاس، إمام العربية، النحوي، صاحب التصانيف، توفي سنة ٣٣٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: (١٥/ ٤٠١ - ٤٠٢)، وبغية الوعاة: (١/ ٣٦٢)، والوافي بالوفيات: (٧/ ٢٣٧ - ٢٣٨).

انظر على سبيل المثال: (٥/ ٥٣١)، (٦/ ٢٩).

(٣) أحمد بن عمار أبو العباس المهدوي، صاحب التفسير كان مقدماً في القراءات والعربية ألف كتباً مفيدة، مات في حدود سنة ثلاثين وأربعمئة. انظر: طبقات المفسرين، للسيوطي: (١/ ٣٠)، ومعرفة القراء الكبار: (١/ ٣٩٩).

(٤) علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي، له المصنفات الكثيرة في كل، فن، الفقه، والتفسير، والأصول، والأدب، توفي سنة ٤٥٠هـ. انظر: طبقات المفسرين، للسيوطي: (١/ ٨٣ - ٨٤)، وطبقات الشافعية: (١/ ٢٣٠ - ٢٣٢)، طبقات المفسرين، للداوودي: (١/ ١١٩ - ١٢٠).

انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/ ٥١٧)، (٦/ ٣٣، ١١١، ١١٥، ١٢٣).

٥ - البغوي^(١).

٦ - الرازي^(٢).

٧ - القرطبي^(٣). وغيرهم كثير - رحمهم الله تعالى -.



(١) الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، أبو محمد، الشيخ الإمام العلامة القدوة الحافظ شيخ الإسلام محيي السنة، المفسر، صاحب التصانيف، توفي سنة ٥١٦ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: (٤٣٩ / ١٩ - ٤٤٣)، والوافي بالوفيات: (٤١ / ١٣)، وطبقات الحفاظ: (٤٧٨). انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٣٧٠ / ٥).

(٢) محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي، الإمام فخر الدين الرازي العلامة أبو عبدالله، المفسر المتكلم صاحب التصانيف المشهورة، ولد سنة ٥٤٤ هـ، وتوفي سنة ٦٠٦ هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى: (٨١ / ٨ - ٨٢)، وشذرات الذهب: (٢١ / ٥)، وطبقات المفسرين، للدواودي: (٢١٣ / ١ - ٢١٤). انظر على سبيل المثال: (٣٠ / ٦).

(٣) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبدالله القرطبي، مصنف التفسير المشهور، توفي سنة ٦٧١ هـ. انظر: طبقات المفسرين للدواودي (٢٤٦ / ١ - ٢٤٧)، وطبقات المفسرين، للسيوطي (٩٢)، وشذرات الذهب (٣٣٥ / ٥). انظر: على سبيل المثال: البحر المحيط: (٣٣ / ٦).

المطلب الثاني: تفسيره القرآن باللغة

❁ أولاً : مصادره في اللغة ، وبعض الأعلام الذين سماهم .

يعد أبو حيان ~ من علماء اللغة البارعين، وهو مرجع في ذلك، ولتقدمه في هذا المجال فقد تميز تفسيره بالاهتمام البالغ بهذا الجانب، وقد ذكر في مقدمته كثيراً من مصادره في ذلك عند ذكره للعلوم التي يحتاجها المفسر^(١).

ومن علماء النحو واللغة الذين استفاد منهم، ونقل عنهم:

١ - سيبويه^(٢).

٢ - الكسائي^(٣).

(١) ذكر - رحمه الله - من مصادره في علم اللغة: كتاب ابن سيده، وكتاب الأزهرى، والموعب لابن التياني، والصحاح للجوهري، والبارع لأبي علي القالي، ومجمع البحرين للصاغاني، والفصيح لأبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني.

ومن مصادره في الأفعال: كتاب ابن القوطية، وكتاب ابن طريف، وكتاب السر قنطي، وكتاب ابن القطاع.

ومن مصادره في علم النحو: كتاب أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، وكتاب تسهيل الفوائد لأبي عبدالله محمد بن مالك الجياني الطائي، وكتاب الممتع لأبي الحسن علي بن مؤمن بن عصفور الحضرمي الإشبيلي.

ومن مصادره في علم البيان والبديع: ما جمعه أبو عبدالله محمد بن سليمان النقيب، وذلك في مجلدين قدمهما أمام كتابه في التفسير، وما وضعه أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الأندلسي الأنصاري المسمى: منهاج البلغاء وسراج الأدباء. انظر: البحر المحيط: (١٠٥ / ١ - ١٠٧).

(٢) انظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان: البحر المحيط: (٥٣١ / ٥)، (٦ / ٢٥، ٣٩، ١٥٧، ١٧٤، ١٩٦).

(٣) علي بن حمزة، أبو الحسن الكسائي، مولاهم الكوفي، المقرئ النحوي، مستقيم الحديث، مات سنة ١٨٧ هـ، وقيل: ١٨٩ هـ. انظر: التاريخ الكبير: (٦ / ٢٦٨)، ومعرفة القراء الكبار: (١ / ١٠٠ - ١٠٧)، والثقات: (٨ / ٤٥٧ - ٤٥٨).

انظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان: البحر المحيط: (٥٢٦ / ٥)، (٦ / ٢٠، ٨٣، ٩١، ٩٦، ١٠٦).

٣ - قطرب^(١).

٤ - الفراء^(١).

٥ - أبو عبيدة^(١).

٦ - الأخفش^(١).

٧ - المبرد^(١).

(١) محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقطرب، لازم سيويه، مات سنة ٢٠٦هـ. انظر إنباه الرواة (٣/ ٢١٩)، وبغية الوعاة (١/ ٢٤٢-٢٤٣). انظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان: البحر المحيط: (٥/ ٥٢٤)، (٦/ ٤، ١٥٤).

(٢) يحيى بن زياد بن عبدالله، أبو زكريا الأسلمي النحوي الكوفي المعروف بالفراء شيخ النحاة، توفي سنة ٢٠٧هـ. انظر: غاية النهاية: (٢/ ٣٧١ - ٣٧٢)، وبغية الوعاة (٢/ ٣٣٣)، وتقريب التهذيب: (١/ ٥٩٠).

انظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان: البحر المحيط: (٥/ ٥١٩، ٥٢٨)، (٦/ ٤، ٢٠، ٢٢، ٤١، ٤٣، ٩١، ١١٥، ١١٦، ١٢٥، ١٣٢، ١٤٩، ١٦٢، ١٧٣، ١٩٦).

(٣) معمر بن المثنى التيمي، أبو عبيدة النحوي البصري، العلامة، له تصانيف تقارب المائتين، توفي سنة تسع أو عشر أو إحدى عشر أو ثلاث عشرة ومائتين بالبصرة. انظر: طبقات المفسرين للدودي: (١/ ٣٠ - ٣١)، وإنباه الرواة: (٣/ ٢٧٦) = وبغية الوعاة: (٢/ ٢٩٤). انظر: على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان: البحر المحيط: (٥/ ٥٣١)، (٦/ ٤، ٤٣، ٨٢، ٨٣، ٩١، ٩٢، ٩٥).

(٤) سعيد بن مسعدة المجاشعي، أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط البلخي ثم البصري النحوي أخذ النحو عن سيويه، صنف كتباً كثيرة منها كتاب في معاني القرآن، توفي سنة ٢١٠هـ، وقيل: ٢١٥هـ، وقيل: ٢٢١هـ. انظر: البداية والنهاية: (١٠/ ٢٩٣)، والوافي بالوفيات: (١٥/ ١٦١ - ١٦٢)، وسير أعلام النبلاء: (١٠/ ٢٠٦ - ٢٠٨).

انظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان: البحر المحيط: (٦/ ٨٣، ٩١، ١٠٠، ١١٥).

(٥) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، أبو العباس النحوي، المعروف بالمبرد، النحوي اللغوي الفقيه، توفي سنة ٢٨٦هـ. انظر: لسان الميزان: (٧/ ١٦٥)، وإنباه الرواة: (٣/ ٢٤١)، وبغية الوعاة: (١/ ٢٦٩).

انظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان: البحر المحيط: (٥/ ٥٠٨)، (٦/ ٤٠).

٨ - الزجاج^(١).

٩ - ابن الأنباري^(٢).

١٠ - الجوهري^(٣).

١١ - أبو البقاء^(٤).

١٢ - الأستاذ أبو الحسن بن عصفور^(٥).

وغيرهم من علماء اللغة - رحمهم الله تعالى -.

(١) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، وكان من أهل الفضل والدين، وجمال المذهب والاعتقاد ومن تصانيفه معاني القرآن في التفسير، توفي سنة ٣١١ هـ. انظر: البداية والنهاية: (١١/١٤٨ - ١٤٩)، والبلغة: (١/٤٥)، وطبقات المفسرين للداودي: (١/٥٢).

انظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان: البحر المحيط: (٥/٥١٨، ٥٢٦)، (٦/٤٣، ٩٣، ٩٦، ١٠١، ١٠٤، ١١٦، ١٣٢، ١٤٥، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٧، ١٦٨، ١٩٦).

(٢) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن فروة بن قطن بن دعامة، أبو بكر بن الأنباري، النحوي، كان من أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظاً، ولد سنة ٢٧١ هـ، صنف كتباً كثيرة، توفي سنة ٣٢٨ هـ. انظر: تاريخ بغداد: (٣/١٨١ - ١٨٦)، وإنباه الرواة: (٣/٢٠١)، وبغية الوعاة: (١/٢١٢).

انظر: على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان: البحر المحيط: (٥/٥١٤، ٥٢٩)، (٦/١١٣، ١١٦، ١٣٤، ١٦٨، ١٧٣).

(٣) إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر الفارابي، إمام في النحو واللغة والصرف، صاحب الصحاح في اللغة، توفي سنة ٣٩٣ هـ، وقيل: ٣٩٨ هـ. انظر: البلغة: (١/٦٦ - ٧٦)، وبغية الوعاة: (١/٤٤٦)، ولسان الميزان: (١/٤٠٠ - ٤٠١).

انظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان: البحر المحيط: (٥/٤٥٨).

(٤) عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء، العكبري الأصل، البغدادي المولد، الفقيه الحنبلي الحاسب الفرضي النحوي الضرير، صنف مصنفات مفيدة، توفي سنة ٦١٦ هـ. انظر: إنباه الرواة: (٢/١١٦)، وسير أعلام النبلاء: (٢٢/٩١ - ٩٣) وطبقات المفسرين للداودي: (١/٢١٩)، انظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان: البحر المحيط: (٥/٥٠٩، ٥٢٦، ٥٢٧)، (٦/٢٣، ٣٧، ٤٠، ٨١، ٩٤، ١٠٢).

(٥) انظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان: البحر المحيط: (٦/٨١، ١٠١، ١٣٣).

❁ ثانياً : عنايته بمعاني المفردات :

اهتم المفسرون ببيان غريب القرآن، وهو فن ضروري للمفسر، ويراد به: معرفة المدلول ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة اسماً وفعلاً وحرفاً، ومعرفة حقائق اللغة وموضوعاتها، والعناية بتدبر الألفاظ، ومراعاة السياق، ويلتمس كثيراً منه في الشعر؛ لأن الشعر ديوان العرب^(١)، وقد ألفت كتب في ذلك، واشتهرت بكتب معاني القرآن^(٢).

قال الزركشي ~ : « الذي يجب على المفسر البداءة به العلوم اللفظية، وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة؛ فتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن من أوائل المعادن لمن يريد أن يدرك معانيه، وهو كتحصيل اللبن من أوائل المعادن في بناء ما يريد أن يبينه.

قالوا: وليس ذلك في علم القرآن فقط؛ بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع وغيره وهو كما قالوا: إن المركب لا يعلم إلا بعد العلم بمفرداته؛ لأن الجزء سابق على الكل في الوجود من الذهني والخارجي، فنقول: النظر في التفسير هو بحسب أفراد الألفاظ وتراكيبها.

وأما بحسب الأفراد فمن وجوه ثلاثة:

من جهة المعاني التي وضعت الألفاظ المفردة بإزائها، وهو يتعلق بعلم اللغة. ومن جهة الهيئات والصيغ الواردة على المفردات الدالة على المعاني المختلفة، وهو من علم التصريف.

ومن جهة رد الفروع المأخوذة من الأصول إليها، وهو من علم الاشتقاق^(٣). وقد بدأ أبو حيان تفسيره للآيات ببيان للمفردات التي تحتاج إلى بيان من اللغة،

(١) روى عكرمة عن ابن عباس قال: « إذا سألتموني عن غريب اللغة، فالتمسوه في الشعر؛ فإن الشعر ديوان العرب ». انظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ٣٦٨).

(٢) البرهان في علوم القرآن: (١/ ٣٦٥ - ٣٧٠)، والإتقان في علوم القرآن: (٢/ ٥).

(٣) البرهان في علوم القرآن: (٢/ ١٩٠).

وذلك بذكر صيغ المفردة، وتصريفها^(١)، وبيان معانيها اللغوية، مستدلاً بأشعار العرب، ذاكرة أقوال النحويين، وقد يضعف بعض الأقوال، وهو منهج قل أن نجده في التفاسير بهذا النحو، وفي بعض المفردات لم يفصل ذلك التفصيل بل اقتصر على بعض ما سبق، وإذا كان للكلمة معنيان ذكره في أول موضع لتلك الكلمة، ثم ينظر في كل موضع ما يناسب من المعنى حسب سياق الآيات.

وهذه نماذج على ذلك:

أ - في قوله - تعالى - : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ۝٥ ﴾ [الإسراء: ٥] قال أبو حيان ~ : « جاس يجوس جوساً وجوساً ترد في الغارة قاله الليث^(٢)، وقال أبو عبيدة: جاسوا فتشوا هل بقي ممن لم يقتل، وقال الفراء: قتلوا، وقال قطرب: نزلوا، وقيل: داسوا، وقال أبو زيد: الجوسي والجوس والعوس والهوس: الطواف بالليل، فالجوس والحوس: طلب الشيء باستقصاء^(٣) ».

ب - في قوله - تعالى - : ﴿ فَلَعَلَّكَ بِخَعِّ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ ﴾ [الكهف: ٦] قال أبو حيان ~ : « بخع يبزع وبخوعاً: أهلك من شدة الوجد، وأصله الجهد، قاله الأخفش والفراء، وفي حديث عائشة ذكرت عمر فقالت: بخع الأرض أي جهدها حتى أخذ ما فيها من أموال الملوك^(٤) » وقال الكسائي: بخع الأرض

(١) التصريف: هو ما يلحق الكلمة ببنيتها، وفائدته: حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد، ويكون ذلك في الأسماء والأفعال، وهو من العلوم التي يحتاج إليها المفسر. انظر: البرهان: (١/ ٣٧٣ - ٣٧٤).

(٢) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث المصري، مولى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر، من كبار أتباع التابعين، ثقة ثبت فقيه إمام، من نظراء مالك، توفي سنة ١٧٥ هـ. انظر التهذيب (٨/ ٤١٨)، والتقريب (١/ ٤٦٤)، والكاشف (٢/ ١٥١).

(٣) البحر المحيط (٦/ ٤).

(٤) انظر روح المعاني (١٥/ ٢٠٤)، ولسان العرب (٨/ ٥) وتاج العروس ص (٥٠٩٠)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١/ ٢٥٨)، وغريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٥٨).

بالزراعة جعلها ضعيفة بسبب متابعة الحراثة، وقال الليث: بخع الرجل نفسه قتلها من شدة وجده، وأنشد قول الفرزدق:

أَلَا أَيُّهَذَا الْبَاخِعُ الْوَجْدَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ نَحْتُهُ عَنْ يَدَيْهِ الْمُقَادِيرُ^(١)

أي: نحته بشد الحاء فخفف، قال أبو عبيدة: كان ذو الرمة^(٢) ينشد الوجد بالرفع، وقال الأصمعي^(٣): إنما هو الوجد بالفتح انتهى^(٤).

ج - في قوله - تعالى - ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِْسُ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨].

قال أبو حيان ~ : «الركز: الصوت الخفي، ومنه ركز الرمح غيب طرفه في الأرض، والركاز: المال المدفون، وقيل: الصوت الخفي دون نطق بحروف ولا فم قال الشاعر:

فَتَوَجَّسَتْ رِكَزَ الْأَنْبَسِ فَرَاغَهَا عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ وَالْأَنْبَسُ سِقَامُهَا^(٥)»^(٦).

(١) البيت من الطويل وهو لذي الرمة، وليس للفرزدق، مجاز القرآن (١/ ٣٩٣) اللسان (١/ ٢٢٢) مادة بخع.

(٢) ذو الرمة: غيلان بن عقبة بن بهيش العدوي ويقال نهيس بن بني عدي بن عبد مناة العدوي المعروف بذئ الرمة الشاعر المشهور، قال أبو عمرو بن العلاء فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذئ الرمة. توفي سنة ١١٧ هـ انظر الإكمال (١/ ٣٧٦) تاريخ دمشق (٤٨/ ١٤٢)، تاريخ الإسلام (١/ ٨٦٥).

(٣) الأصمعي: عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، أبو سعيد الأصمعي، البصري اللغوي، الإخباري، أحد الأعلام، قال المبرد: كان الأصمعي أسد الشعر والغريب والمعاني، مات سنة ٢١٥ هـ، انظر الكاشف (١/ ٦٦٨)، مختصر تاريخ دمشق (١/ ٢٠٧٨).

(٤) البحر المحيط (٦/ ٩١).

(٥) البيت من الكامل للبيد بن ربيعة العامري. انظر ديوان للبيد ص (١٧٤)، مجاز القرآن (٢/ ١٤).

(٦) البحر المحيط (٦/ ١٨٧).

❖ ثالثاً : عنايته بمعاني الحروف والأدوات :

اعتنى أبو حيان ~ ببيان معاني كثير من الحروف، والأدوات وأسرار الإتيان بها دون غيرها في تفسيره؛ وذلك لما لها من أثر كبير في فهم الآيات، فمن ذلك:

أ - في قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٧] قال أبو حيان ~ : « وجعلنا هنا بمعنى : خلقنا، والظاهر أن ﴿ مَا ﴾ يراد بها غير عاقل، وأنه يراد به العموم فيما لا يعقل، و﴿ زِينَةً ﴾ كل شيء بحسبه، وقيل : لا يدخل في ذلك ما كان فيه إيذاء من حيوان وحجر ونبات، لأنه لا زينة فيه، ومن قال بالعموم قال فيه زينة من جهة خلقه وصنعتة وإحكامه، وقيل : المراد بما هنا خصوص ما لا يعقل » ^(١).

ب - في قوله - تعالى - : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴾ [الكهف: ١٤] قال أبو حيان ~ : « واللام في ﴿ لَقَدْ ﴾ لام تأكيد، وإذا حرف جواب وجزاء، أي : لقد قلنا لن ندعوا من دونه إلهاً، قولاً شططاً أي : ذا شطط وهو التعدي والجور » ^(٢).

إلى غير ذلك من المواضع التي يتبين فيها عناية أبي حيان ~ ببيان معاني الحروف والأدوات.



(١) البحر المحيط (٦/ ٩٦)، وانظر المسألة رقم (٥) من سورة الكهف .

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٠٢)، وانظر المسألة رقم (١٠) من سورة الكهف .

❁ رابعاً : عنايته بالإعراب.

اهتم بعض المفسرين ببيان وجوه الإعراب، فبعضهم ذكره في ثانيا تفسيره، وبعضهم ألف فيه، وهي كتب إعراب القرآن، وهو علم يؤخذ من علم النحو، وفائدته: أنه يبين المعنى، ويميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين^(١).

والتكلم في هذا العلم عليه مراعاة عدة أمور، منها:

١ - أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه، مفرداً كان أو مركباً قبل الإعراب؛ فإن الإعراب فرع المعنى.

٢ - أن يتجنب الأمور البعيدة، والأوجه الضعيفة، واللغات الشاذة؛ فإن القرآن نزل بالأفصح من لغة قريش.

٣ - أن يتجنب إطلاق لفظ الزائد في كتاب الله تعالى، أو التكرار، ولا يجوز إطلاقه إلا بتأويل كقولهم: الباء زائدة ونحوه، مرادهم أن الكلام لا يختل معناه بحذفها، لا أنه لا فائدة فيه أصلاً؛ فإن ذلك لا يحتمل من متكلم، فضلاً عن كلام الحكيم.

٤ - تجنب الأعراب التي هي خلاف الظاهر والمنافية لنظم الكلام.

٥ - تجنب التقادير البعيدة والمجازات المعقدة، ولا يجوز فيه جميع ما يجوز النحاة في شعر امرئ القيس وغيره.

٦ - البحث عن الأصل والزائد في الكلمة^(٢).

وقد اعتنى أبو حيان ~ ببيان وجوه الإعراب عناية فائقة، فذكر الأقوال في ذلك مع المناقشة لها والترجيح، وبيان الضعيف منها، مع ذكر للقواعد النحوية، والإحالة في تقريرها والاستدلال عليها على كتب النحو، وبيان لما أجمع عليه علماءهم، مع عدم الخروج عن إجماعهم إلا بدليل بين، فمن ذلك:

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ٣٧٧)، والإتقان في علوم القرآن: (٢/ ٢٦٠).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ٣٧٨ - ٣٨٣)، والإتقان في علوم القرآن: (٢/ ٢٦١ - ٢٦٨)، وقد زاد أموراً أخرى غير ما ذكر.

أ - في قوله - تعالى - : ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠] قال أبو حيان ~ : « وقال أبو البقاء: خبر ﴿إِنَّ﴾ الأولى قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ و ﴿إِنَّ﴾ الثانية واسمها تكرير للتوكيد انتهى. وإذا كانت ﴿إِنَّ﴾ الثانية واسمها تكريراً للتوكيد كما ذكر، فالذي يقتضيه صناعة العربية أن يكون خبر ﴿إِنَّ﴾ الأولى هي قوله ﴿لَغَفُورٌ﴾ ويكون ﴿لِلَّذِينَ﴾ متعلقاً بقوله: ﴿لَغَفُورٌ﴾ أو بـ ﴿رَحِيمٌ﴾ على الإعمال، لأن ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ الثانية لا يكون لها طلب لما بعدها من حيث الإعراب، كما أنك إذا قلت: قام زيد فزيد إنما هو مرفوع بquam الأولى، لأن الثانية ذكرت على سبيل التوكيد للأولى، وقيل: لا خبر لـ ﴿إِنَّ﴾ الأولى في اللفظ، لأن خبر الثانية أغنى عنه انتهى. وهذا ليس بجيد، لأنه ألغى حكم الأولى، وجعل الحكم للثانية، وهو عكس ما تقدم، ولا يجوز »^(١).

ب - في قوله - تعالى - : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لَتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلُنَا نَقْصِيلاً﴾ [الإسراء: ١٢] قال أبو حيان ~ : « والظاهر أن نصب ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾ على الاشتغال وكان ذلك أرجح من الرفع لسبق الجملة الفعلية في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ وأبعد من ذهب إلى أن ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾ معطوف على قوله ﴿وَالْحِسَابَ﴾ .. »^(٢).

ج - في قوله - تعالى - : ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ﴾ [الكهف: ٤٥] قال أبو حيان ~ : « و ﴿كَمَا﴾ قدره ابن عطية خبر مبتدأ محذوف أي: هذه الحياة الدنيا كماء، وقال الحوفي: الكاف متعلقة بمعنى المصدر أي: ضرباً ﴿كَمَا﴾ أَنْزَلْنَاهُ، وأقول: إن ﴿كَمَا﴾ في موضع المفعول الثاني لقوله ﴿وَأَضْرَبَ﴾ أي: وصير لهم مثل الحياة الدنيا أي صفتها شبه ماء »^(٣).

(١) البحر المحيط (٥/ ٥٢٢).

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٣).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٢٦).

❖ خامساً : عنايته بالأسلوب العربي في الخطاب القرآني.

أ - عنايته بأساليب اللغة والتركيب:

قال الزركشي عن أساليب تركيب اللغة: « وأما بحسب التركيب فمن وجوه أربعة: الأول: باعتبار كيفية التراكيب بحسب الإعراب ومقابله من حيث إنها مؤدية أصل المعنى، وهو ما دل عليه المركب بحسب الوضع، وذلك متعلق بعلم النحو. الثاني: باعتبار كيفية التركيب من جهة إفادته معنى المعنى، أعني لازم أصل المعنى الذي يختلف باختلاف مقتضى الحال في تراكيب البلغاء، وهو الذي يتكلف بإبراز محاسنه علم المعاني.

الثالث: باعتبار طرق تأدية المقصود بحسب وضوح الدلالة وحقائقها ومراتبها، وباعتبار الحقيقة والمجاز، والاستعارة والكناية والتشبيه، وهو ما يتعلق بعلم البيان. والرابع: باعتبار الفصاحة اللفظية والمعنوية والاستحسان ومقابله، وهو يتعلق بعلم البديع»^(١).

ومما ذكره أبو حيان ~ في ذلك ما يلي:

أ - في قوله - تعالى -: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦] قال أبو حيان ~ : « وجمع الضمير في ﴿فَعَلَيْهِمْ﴾ على معنى ﴿مِّنَ﴾ وأفرد في ﴿شَرَحَ﴾ على لفظها، والظاهر أن ذلك إشارة إلى ما استحقوه من الغضب والعذاب، أي: كائن لهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة»^(١).

ب - في قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] قال أبو حيان ~ : « وقيل: الضمير في ﴿كَانَ﴾ و﴿مَسْئُولًا﴾ عائدان على القائل ما ليس له به علم، والضمير في (عنه) عائد

(١) البرهان في علوم القرآن: (١٧٣ / ٢).

(٢) البحر المحيط (٥ / ٥٢١).

على (كل) فيكون ذلك من الالتفات، إذ لو كان على الخطاب لكان التركيب كل أولئك كنت عنه مسؤولاً»^(١).

ج - في قوله - تعالى - : ﴿ تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣] قال أبو حيان ~ : « وجاء لفظ ﴿ تَحْنُ نَقُصُّ ﴾ موازياً لقوله : ﴿ لِنَعْلَمَ ﴾ ثم قال : ﴿ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ ﴾ ففيه إضافة الرب، وهو السيد والناظر في مصلحة عبيده، ولم يأت التركيب ﴿ ءَامَنُوا ﴾ بناءً للإشعار بتلك الرتبة وهي أنهم مربوبون له مملوكون، ثم قال : ﴿ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ ولم يأت التركيب (وزادهم) لما في لفظة (نا) من العظمة والجلال، وزيادته - تعالى - لهم هدى : هو تيسيرهم للعمل الصالح، والانقطاع إليه، ومباعدة الناس، والزهد في الدنيا وهذه زيادة في الإيثار الذي حصل لهم »^(٢).

د - في قوله - تعالى - : ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ ﴾ [مريم: ٣٥] قال أبو حيان ~ : « ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ ﴾ هذا تكذيب للنصارى في دعواهم أنه ابن الله وإذا استحالت البنوة فاستحالة الإلهية مستقلة أو بالتثليث أبلغ في الاستحالة، وهذا التركيب معناه الانتفاء، فتارة يدل من جهة المعنى الزجر ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ ﴾ [التوبة: ١٢٠]، وتارة على التعجيز ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ ﴾ [النمل: ٦٠] وتارة على التنزيه كهذه الآية، ولذلك أعقب هذا النفي بقوله ﴿ سُبْحَنَهُ ﴾ أي : تنزه عن الولد إذ هو مما لا يتأتى، ولا يتصور في المعقول ولا تتعلق به القدرة لاستحالته، إذ هو تعالى متى تعلقت إرادته بإيجاد شيء أوجده، فهو منزّه عن التوالد »^(٣).

(١) البحر المحيط (٦/ ٣٣).

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٠٢).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٧٩).

ب- عنايته بالبلاغة:

يعتبر علم البديع والبيان من أهم أركان التفسير؛ فإنه لا بد للمفسر من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، من الحقيقة والمجاز، وتأليف النظم، وأن يؤاخي بين الموارد، ويعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر وغير ذلك، ولا طريق إلى تحصيله لذوى الفطر السليمة إلا إتقان علمي المعاني والبيان والتمرن فيهما، وبه يعرف كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح^(١).

وقد اهتم أبو حيان ~ ببيان دقائق الآداب من بديع وبيان، وذكر للأساليب البلاغية، فمن ذلك:

أ- في قوله - تعالى -: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۚ ﴿الإسراء: ٥٠-٥١﴾ قال أبو حيان ~ : ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ صلابته وزيادته على قوة الحديد وصلابته ولم يعينه، ترك ذلك في أفكارهم وجولانها فيما هو أصلب من الحديد، فبدأ أولاً بالأصلب ثم ذكر على سبيل الترقى الأصلب منه ثم الأصلب من الحديد: أي افرضوا ذواتكم شيئاً من هذه، فإنه لا بد لكم من البعث على أي حال كنتم^(٢).

ب- في قوله - تعالى -: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢﴾ [الكهف: ١-٢] قال أبو حيان ~ : ﴿وَالْكِتَابَ﴾: القرآن، والعوج في المعاني: كالعوج في الأشخاص، ونكر ﴿عِوَجًا﴾ ليعم جميع أنواعه، لأنها نكرة في سياق النهي، والمعنى أنه في غاية الاستقامة لا تناقض ولا اختلاف في معانيه، لا حوشية، ولا عي في تراكيبه ومبانيه، و﴿قِيمًا﴾ تأكيد لإثبات الاستقامة إن كان مدلوله مستقيماً^(٣).

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ٣٨٧).

(٢) البحر المحيط (٩/ ٤٤)، وانظر المسألة رقم (٢٢) من سورة الإسراء.

(٣) البحر المحيط (٩/ ٩٣)، وانظر المسألة رقم (٢) من سورة الكهف.

ج - في قوله - تعالى - : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٤] قال أبو حيان ~ : « وأسند الوهن إلى العظم لأنه عمود البدن، وبه قوامه وهو أصل بنائه، فإذا وهن تداعى ما وراءه وتساقطت قوته ولأنه أشد ما فيه وأصلبه، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن، ووجد العظم لأنه يدل على الجنس وقصد إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ولو جمع لكان قصداً آخر، وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها... وقال وشبه الشيب بشواظ النار في بياضه، وانتشاره، في الشعر، وفشوه فيه، وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار، ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال إلى مكان الرأس ومنبته، وهو الرأس، وأخرج الشيب مميزاً ولم يصف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا عليه السلام... واشتعال الرأس، استعارة المحسوس للمحسوس إذ المستعار منه النار والمستعار له الشيب والجامع بينهما الانبساط والانتشار » (١).

المطلب الثالث: عنايته بالمناسبات

إن معرفة المناسبة بين الآيات والسور علم شريف تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول، وقد أفرد به بعض العلماء بالتأليف^(١).

والمناسبة في اللغة: المقاربة والمشاكله، وفلان يناسب فلاناً، أى: يقرب منه، ويشاكله ومنه النسب الذى هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه، وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة، ومنه المناسبة في العلة في باب القياس: الوصف المقارب للحكم؛ لأنه إذا حصلت مقاربتة له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم ولهذا قيل المناسبة أمر معقول، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها والله أعلم إلى معنى ما رابط بينهما عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول، والنظيرين، والضدين ونحوه، أو التلازم الخارجى كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر^(٢).

وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء^(٣).

ومعرفة المناسبات والربط بين الآيات ليست أمراً توقيفياً، ولكنها تعتمد على اجتهاد المفسر ومبلغ تذوقه بلاغة القرآن، وأوجه بيانه، فإذا كانت المناسبة دقيقة المعنى، منسجمة مع السياق، متفقة مع الأصول اللغوية، كانت مقبولة لطيفة^(٤).

وقد اعتنى أبو حيان بذكر المناسبات بين الآيات بعضها ببعضها، وبين السور، ومن الأمثلة على ذلك:

- (١) انظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ٦١)، ومباحث في علوم القرآن: (٩٧).
- (٢) انظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ٦١ - ٦٢)، والإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٣٢٣).
- (٣) انظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ٦٢)، والإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٣٢٣).
- (٤) انظر: مباحث في علوم القرآن: (٩٧).

أولاً: ما ذكره بين السور من المناسبات:

أ - قال ~ في مناسبة سورة الإسراء بعد النحل: « ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها أنه - تعالى - لما أمره بالصبر، ونهاه عن الحزن عليهم وأن يضيق صدره من مكرهم، وكان من مكرهم نسبته إلى الكذب، والسحر والشعر، وغير ذلك مما رموه به، أعقب تعالى ذلك بذكر شرفه وفضله واحتفائه به وعلو منزلته عنده » (١).

ب - وقال في مناسبة سورة الكهف بعد الإسراء: « ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها أنه لما قال: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥] وذكر به أهل العلم وأنه يزيدهم خشوعاً، وأنه - تعالى - أمر بالحمد له، وأنه لم يتخذ ولداً أمره تعالى بحمده على إنزال هذا الكتاب السالم من العوج، القيم على كل الكتب، المنذر من اتخذوا ولداً، المبشر المؤمنين بالأجر الحسن، ثم استطرد إلى حديث كفار قريش، والتفت من الخطاب قي قوله: ﴿وَكَبِيرَةٌ تَبْكِي﴾ إلى الغيبة في قوله ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ لما في عبده من الإضافة المقتضية تشريفه ولم يجيء التركيب (أنزل عليك) » (٢).

ج - وقال في مناسبة سورة مريم بعد الكهف: « ومناسبتها لما قبلها: أنه - تعالى - ضمنَّ السورة قبلها قصصاً عجباً كقصّة أهل الكهف وقصة موسى مع الخضر وقصة ذي القرنين، وهذه السورة تضمنت قصصاً عجباً من ولادة يحيى بين شيخ فان وعجوز عاقر وولادة عيسى من غير أب، فلما اجتمعا في هذا الشيخ المستغرب، ناسب ذكر هذه السورة بعد تلك » (٣).

ثانياً: ما ذكره من المناسبات بين الآيات بعضها ببعض:

أ - في قوله - تعالى -: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] قال ~: « لما ذكر تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وذكر أشياء مما بين في الكتاب، ثم ذكر قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ ذكر ما يصون به

(١) البحر المحيط (٦/ ٥٠).

(٢) البحر المحيط (٦/ ٩٣).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٦٣).

القارئ قراءته من وسوسة الشيطان ونزغه، فخطب السامع بالاستعاذة منه إذا أخذ في القراءة»^(١).

ب - في قوله - تعالى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٤] قال ~ : « لما ذكر تعالى نسبتهم الافتراء إلى رسول الله ﷺ وأن ما أتى به من عند الله إنما يعلمه إياه بشر، كان ذلك تسجيلاً عليهم بانتفاء الإيمان، فأخبر - تعالى - عنهم أنهم لا يهد بهم الله أبداً، إذ كانوا جاحدين آيات الله، وهذا ما أتى به الرسول ضد المعجزات، وخصوصاً القرآن، فمن بالغ في جحد آيات الله سد الله عليه باب الهداية، وذكر تعالى، وعيده بالعذاب الأليم لهم »^(٢).

ج - في قوله - تعالى - : ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠] قال أبو حيان ~ : « مناسبة قوله ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ﴾ الآية أن المشركين قالوا: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [١٠] فطلبوا إجراء الأنهار والعيون في بلدهم، لتكثر أقواتهم وتتسع عليهم، فبين تعالى أنهم لو ملكوا خزائن رحمة الله لبقوا على بخلهم وشحهم، ولما قدموا على إيصال النفع لأحد، وعلى هذا فلا فائدة في إسعافهم بما طلبوا، هذا ما قيل في ارتباط هذه الآية وقاله العسكري^(٣)، والذي يظهر لي أن المناسب هو أنه ﷺ قد منحه الله ما لم يمنحه لأحد من النبوة والرسالة إلى الأنس والجن فهو أحرص الناس على إيصال الخير وإنقاذهم من الضلال يثابر على ذلك ويخاطر بنفسه في دعائهم إلى الله ويعرض ذلك على القبائل وأحياء العرب سمحاً بذلك لا يطلب منهم أجراً، وهؤلاء أقرباؤه لا يكاد يجيب منهم أحد إلا الواحد بعد الواحد قد نجوا في عناده وبفضائه، فلا يصل منهم إليه إلا الأذى، فنبه تعالى بهذه الآية على سماحته ﷺ وبذلك ما أتاه الله، وعلى امتناع هؤلاء أن

(١) البحر المحيط (٥/ ٥١٧).

(٢) البحر المحيط (٥/ ٥٢٠).

(٣) العسكري: الحسن بن عبدالله بن سهل البغدادي، أبو هلال العسكري، صنف أعلام المعاني في معاني العشر تفسير القرآن، التلخيص في اللغة، جمهرة الأمثال، وغيرها توفي سنة ٣٩٥هـ، انظر هداية العارفين (١/ ١٤٥).

يصل منهم شيء من الخير إليه، فقال لو ملكوا التصرف في خزائن رحمة الله التي هي وسعت كل شيء كانوا أبخل من كل أحد بما أوتوه من ذلك بحيث لا يصل منهم لأحد شيء من النفع، إذ طبيعتهم الإقتار وهو الإمساك عن التوسع في النفقه، هذا مع ما أوتوه من الخزائن فهذه الآية جاءت مبينة، تبين ما بينهم وبينه عَلَى الصَّلَاةِ وَالصَّلَامِ من حرصه على نفعهم وعدم إيصال شيء من الخير منهم إليه «^(١)».



المطلب الرابع: عنايته بأسرار التعبير

إن استنباط أسرار التعبير في الكلام يحتاج إلى فهم عميق لكتاب الله تعالى، وبراعة في اللغة والبلاغة، وقد أوتي أبو حيان ~ كلا الأمرين، مما جعل له عناية باستخراج أسرار التعبير في كثير من الآيات، ومن ذلك ما يلي:

أ - في قوله -تعالى-: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ [النحل: ٨٠] قال أبو حيان ~ : « لما ذكر الله تعالى ما من به عليهم من خلقهم، وما خلق لهم من مدارك العلم، ذكر ما أمتن به عليهم مما ينتفعون به في حياتهم، من الأمور الخارجية عن دوابهم، من البيوت التي يسكنونها من الحجر والمدر والأخشاب وغيرها... والظاهر أن (أثاثاً) مفعول، والتقدير: جعل من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً، وقيل: منصوب على الحال، على أن المعنى: جعل من أصوافها وأوبارها وأشعارها بيوتاً،... ولما لم تكن بلادهم بلاد قطن، وكتان، وحرير، أقتصر على هذه الثلاثة هنا واندرجت في قوله: ﴿سَرَبِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾»^(١).

ب - في قوله -تعالى-: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] قال أبو حيان ~ : « والظاهر (من) شرطية في موضع رفع على الابتداء، وهو استئناف إخبار، لا تعلق به بما قبله من جهة الإعراب، ولما كان الكفر يكون باللفظ وبالاعتقاد استثنى من الكافرين من كفر باللفظ وقلبه مطمئن بالإيمان، ورخص له في النطق بكلمة الكفر، إذ كان قلبه مؤمناً وذلك مع الإكراه، والمعنى: إلا من أكره على الكفر تلفظ بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان »^(٢).

ج - في قوله -تعالى-: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩] قال أبو حيان ~ : « وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ » أي: ثواب الآخرة بأن يؤثرها على الدنيا ويعقد إرادته بها، وسعى فيما كلف من الأعمال والأقوال سعيها، أي: السعي المعد للنجاة فيها، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ هو الشرط الأعظم

(١) البحر المحيط (٥/٥٠٧).

(٢) البحر المحيط (٥/٢٢٠).

في النجاة فلا تنفع إرادة ولا سعي إلا بحصوله، وفي الحقيقة هو الناشئ عنه إرادة الآخرة والسعي للنجاة، وحصول الثواب، وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلاث، لم ينفعه عمله، إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ إشارة إلى من اتصف بهدف الأوصاف وراعي معنى من، فلذلك كان بلفظ الجمع، والله -تعالى- يشكرهم على طاعتهم وهو المشكور على ما أعطى من العقل وإنزال الكتب وإيضاح الدلائل، وهو المستحق للشكر حقيقة، ومعنى شكره تعالى المطيع إلا ثناء عليه وثوابه على طاعته»^(١).

وبعد فهذه بعض أهم النقاط التي في منهج هذا المفسر الجليل ~ نجد فيها دقته وبراعته في عرض تفسيره، وتدرجه في بيان معاني القرآن الكريم، مع تمكن في الشرح والتوضيح، والتزام بالمنهج في معظم الكتاب -رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته-.

الفصل الثاني

منهج أبي حيان في الترجيح في التفسير

وفيه تمهيد ومبحثان : -

التمهيد : تعريف التعارض، والترجيح، وذكر أسباب الاختلاف عند المفسرين.

المبحث الأول : صيغ الترجيح وآسايبه عند أبي حيان الأندلسي.

المبحث الثاني : وجوه الترجيح عند أبي حيان الأندلسي.

تهديد

تعريف التعارض، والترجيح، وذكر أسباب الاختلاف عند المفسرين

من العلوم المهمة التي ينبغي للمفسر معرفتها معرفة موهم المختلف، وهو ما يوهم التعارض بين آيات القرآن الكريم، وكلام الله - جل جلاله - منزّه عن الاختلاف كما قال - تعالى -: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٨٢) ولكن قد يقع للمبتدئ أو الناظر ما يوهم اختلافًا، وليس به؛ فاحتيج لإزالته (١).

أولاً: تعريف التعارض:

التعارض في اللغة: هُوَ تَفَاعُلٌ مِنَ الْعُرْضِ - بِضَمِّ الْعَيْنِ - وَهُوَ النَّاحِيَةُ وَالْجِهَةُ، وَكَأَنَّ الْكَلَامَ الْمُتَعَارِضَ يَقِفُ بَعْضُهُ فِي عُرْضِ بَعْضٍ، أَي: نَاحِيَتِهِ وَجِهَتِهِ، فَيَمْنَعُهُ مِنَ النُّفُوزِ إِلَى حَيْثُ وُجَّهَ، وَيُقَالُ: عَارِضُهُ بِمِثْلِ مَا صَنَعَ، أَي: أَتَى إِلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَتَى، وَعَارِضُ الْكِتَابِ بِالْكِتَابِ، أَي: قَابِلُهُ (٢).

وفي الاصطلاح: تَقَابُلُ الدَّلِيلَيْنِ عَلَى سَبِيلِ الْمُنَافَاةِ (٣).

ثانياً: تعريف الترجيح:

الترجيح لغة: يُقَالُ: رَجَحَ الْمِيزَانَ، يَرْجَحُ وَيَرْجَحُ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ رَجْحَانًا فِيهِمَا، أَي: مَالًا، وَرَجَحَ الشَّيْءَ بِيَدِهِ رَزَنَهُ وَنَظَرَ مَا ثَقَلَهُ (٤).

والترجيح عند الأصوليين: تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى لدليل (٥).

قال الزركشي: «وَالْقَصْدُ مِنْهُ - أَي: التَّجْزِيعُ - تَصْحِيحُ الصَّحِيحِ، وَإِبْطَالُ الْبَاطِلِ، أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُنْصَبْ عَلَى جَمِيعِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ أَدَلَّةً قَاطِعَةً، بَلْ جَعَلَهَا ظَنِّيَّةً قَصْداً

(١) سورة النساء: آية ٨٢.

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ٥٣)، والإنتقان في علوم القرآن: (٣/ ٧٩).

(٣) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه: (٤/ ٤٠٧)، ومختار الصحاح: (١/ ١٧٨).

(٤) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه: (٤/ ٤٠٧).

(٥) انظر: لسان العرب: (٢/ ٤٤٥)، ومختار الصحاح: (١/ ٩٩).

(٦) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه: (٤/ ٤٢٥).

لِلتَّوَسُّيعِ عَلَى الْمُكَلَّفِينَ، لِئَلَّا يَنْحَصِرُوا فِي مَذْهَبٍ وَاحِدٍ؛ لِقِيَامِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ، وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ الْمُعْتَبَرَ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْأَدِلَّةُ الظَّنِّيَّةُ، فَقَدْ تَعَارَضَ بِعَارِضٍ فِي الظَّاهِرِ بِحَسَبِ جَلَالِهَا وَخَفَائِهَا، فَوَجَبَ التَّرْجِيحُ بَيْنَهُمَا وَالْعَمَلُ بِالْأَقْوَى، وَالدَّلِيلُ عَلَى تَعَيُّنِ الْأَقْوَى أَنَّهُ إِذَا تَعَارَضَ دَلِيلَانِ أَوْ أَمَارَتَانِ، فِيمَا أَنْ يَعْمَلَا جَمِيعاً، أَوْ يُلْغَيَا جَمِيعاً، أَوْ يُعْمَلَ بِالرَّاجِحِ دُونَ الْمَرْجُوحِ، وَهَذَا مُتَعَيَّنٌ^(١).

والترجيح في التفسير: هو تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل، أو قاعدة تقويه، أو لتضعيف، أو رد ما سواه^(٢).

ثالثاً: أسباب الاختلاف في التفسير:

يذكر المفسرون في تفاسيرهم كثيراً من الأقوال في معنى كثير من الآيات، وقد يبدو للناظر فيها اختلاف الأقوال، إلا أن العلماء يبنوا ذلك الاختلاف، وسببه ووجهه.

قال الزركشي ~ : « يكثر في معنى الآية أقوالهم واختلافهم - أي: المفسرين -، ويحكيه المصنفون للتفسير بعبارات متباينة الألفاظ، ويظنُّ مَنْ لا فهم عنده أن في ذلك اختلافاً فيحكيه أقوالاً، وليس كذلك، بل يكون كل واحد منهم ذكر معنى ظهر من الآية، وإنما اقتصر عليه؛ لأنه أظهر عند ذلك القائل، أو لكونه أليق بحال السائل، وقد يكون بعضهم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره، والآخر بمقصوده وثمرته، والكل يؤول إلى معنى واحد غالباً، والمراد الجميع، فليفتن لذلك، ولا يفهم من اختلاف العبارات، اختلاف المرادات...»

هذا كله حيث أمكن الجمع، فأما إذا لم يمكن الجمع، فالتأخر من القولين عن الشخص الواحد مقدم عنه إن استويا في الصحة، وإلا فالصحيح المتقدم، وكثيراً ما يذكر المفسرون شيئاً في الآية، على جهة التمثيل لما دخل في الآية، فيظن بعض الناس أنه قَصَرَ الآية على ذلك^(٣).

(١) البحر المحيط في أصول الفقه: (٤/٤٠٦).

(٢) انظر: قواعد التفسير عند المفسرين: (١/٣٥).

(٣) البرهان في علوم القرآن: (٢/١٧٦ - ١٧٧).

وللاختلاف في التفسير أسباب كثيرة، منها:

١ - وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى، كقوله - تعالى - في خلق آدم إنه ﴿مِنْ تُرَابٍ﴾^(١)، ومرة ﴿مِنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾^(٢)، ومرة ﴿مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾^(٣)، ومرة ﴿مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾^(٤).

قال الزركشي ~ : « وهذه الألفاظ مختلفة ومعانيها في أحوال مختلفة؛ لأن الصلصال غير الحمأ، والحمأ غير التراب، إلا أن مرجعها كلها إلى جوهر وهو التراب، ومن التراب تدرجت هذه الأحوال »^(٥).

٢ - اختلاف الموضوع:

كقوله - تعالى - : ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(٦)، وقوله: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٧)، مع قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾^(٨).

قال الزركشي ~ : « حمله غيره^(٩) على اختلاف الأماكن؛ لأن في القيامة مواقف كثيرة فموضع يسأل ويناقش، وموضع آخر يرحم ويلطف به، وموضع آخر يعنف ويوبخ وهم الكفار، وموضع آخر لا يعنف وهم المؤمنون »^(١٠).

(١) سورة آل عمران: آية ٥٩.

(٢) سورة الحجر: آية ٢٦.

(٣) سورة الصافات: آية ١١.

(٤) سورة الرحمن: آية ١٤.

(٥) المرجع السابق: (٦٤ / ٢).

(٦) سورة الصافات: آية ٢٤.

(٧) سورة الأعراف: آية ٦.

(٨) سورة الرحمن: آية ٣٦.

(٩) يقصد الحلبي - رحمه الله -؛ حيث ذكر قول له في المراد بالآيات المذكورة.

(١٠) البرهان في علوم القرآن: (٦٤ / ٢).

٣ - الاشتراك الواقع في الألفاظ واحتمالها للتأويلات، وهو على ثلاثة أقسام:

- اشتراك في موضوع اللفظ المفرد: كالقراء في قوله - تعالى -: ﴿وَالْمُطَلَقَاتُ يَرْبِّضُنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^(١) فقد ورد في لغة العرب بمعنى: الطهر، وبمعنى: الحيض^(٢)، ويمتنع حمل الآية على المعنيين معاً؛ لأن القول بأحدهما يستلزم نفي الآخر^(٣).

- اشتراك في أحواله العارضة في التصريف نحو: ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾^(٤)، فتصريف لفظة ﴿يُضَارُّ﴾ تختمل أن تكون (يُضَارُّ) وتختمل أن تكون (يُضَارِرُ)، فعلى الاحتمال الأول يكون النهي واقعاً على أن يُضَرَّ بالكاتب أو الشهيد، وعلى الاحتمال الثاني يكون النهي واقعاً على أن يُضَرَّ الكاتب والشهيد^(٥).

- اشتراك من قبل التركيب نحو: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(٦)، ففي قوله: ﴿يَرْفَعُهُ﴾ ضميران: الضمير الظاهر، وهو الهاء، وهو في محل نصب مفعول به، والمعنى: والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب، والضمير المستتر، وهو في محل رفع فاعل، والمعنى: والعمل الصالح يرفعه الله^(٧).

٤ - دورانه بين العموم والخصوص نحو قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾^(٨) قيل: هذه الآية حكمها عام، ثم خصصها قوله - تعالى -: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾^(٩)، وقيل: إنها ليست مخصصة، بل المشركات هن عابدات الأوثان

(١) سورة البقرة: آية ٢٢٨.

(٢) انظر: مختار الصحاح: (١/ ٢٢٠)، ولسان العرب: (١/ ١٣٢).

(٣) انظر: الموافقات: (٤/ ٢١١ - ٢١٢)، وفصول في أصول التفسير: (٦٦ - ٦٧).

(٤) سورة البقرة: آية ٢٨٢.

(٥) انظر: الموافقات: (٤/ ٢١١ - ٢١٢)، وفصول في أصول التفسير: (٦٩).

(٦) سورة فاطر: آية ١٠.

(٧) انظر: الموافقات: (٤/ ٢١١ - ٢١٢)، وفصول في أصول التفسير: (٦٨).

(٨) سورة البقرة: آية ٢٢١.

(٩) سورة المائدة: آية ٥.

من العرب وغيرهم ممن ليس لهم كتاب^(١).

٥ - دعوى النسخ وعدمه: نحو قوله - تعالى -: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ﴾^(٢)، قيل: هي منسوخة بآية الزكاة، وقيل: هي محكمة، وهي في الصدقة العامة المندوب إليها^(٣).

٦ - أن يذكر في التفسير عن النبي ﷺ في ذلك شيء، أو عن أحد من أصحابه، أو غيرهم، ويكون ذلك المنقول بعض ما يشمله اللفظ، ثم يذكر غير ذلك القائل أشياء آخر مما يشمله اللفظ أيضاً، فينص المفسرون على نصهما فيظن أنه خلاف، كما نقلوا في ﴿الْمَنَ﴾: أنه خبز رقاق، وقيل: زنجبيل، وقيل: الترنجبين، وقيل: شراب مزجوه بالماء، فهذا كله يشمله اللفظ لأن الله من به عليهم،... فيكون المنّ جملة نعم ذكر الناس منها أحاداً^(٤).

٧ - أن يذكر في النقل أشياء تتفق في المعنى، بحيث ترجع إلى معنى واحد، فيكون التفسير فيها على قول واحد، ويوهم نقلها على اختلاف اللفظ أنه خلاف محقق، كما قالوا في (السلوى): إنه طير يشبه السمانى، وقيل: طير أحمر صفته كذا، وقيل: طير بالهند أكبر من العصفور،.... فمثل هذا يصح حمله على الموافقة، وهو الظاهر فيها^(٥).
إلى غير ذلك من الأسباب التي تؤدي إلى الاختلاف في التفسير.



(١) انظر: الموافقات: (٤/٢١٣)، وفصول في أصول التفسير: (٧١).

(٢) سورة البقرة: آية ٢١٩.

(٣) انظر: الموافقات: (٤/٢١٣)، وفصول في أصول التفسير: (٧١).

(٤) انظر: الموافقات: (٤/٢١٥).

(٥) انظر: المرجع السابق: (٤/٢١٥).

المبحث الأول

صيغ الترجيح وأساليبه عند أبي حيان الأندلسي

وفيه خمسة مطالب :

- **المطلب الأول:** التنصيص على القول الراجح.
- **المطلب الثاني:** التفسير بقول مع النص على ضعف غيره.
- **المطلب الثالث:** التفسير بالقول الراجح وذكره بصيغة الجزم وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمرّض.
- **المطلب الرابع:** الاكتفاء بذكر القول الذي يراه راجحاً، دون ذكر بقية الأقوال الأخرى الواردة في الآية.
- **المطلب الخامس:** تقديم القول مع الاستدلال بما يفيد ترجيحه.

المطلب الأول: التنصيص على القول الراجح

التنصيص على القول الراجح من أوضح طرق الترجيح عند المفسرين، وقد تنوعت صيغ التنصيص على القول الراجح عند أبي حيان ~ في عدة طرق، وهذه بعض الصيغ التي استخرجتها من القدر المحدد لي دراسته :

١) التصريح باختيار أحد الأقوال في تفسير الآية: - كقوله:

- والذي اختاره^(١).
- والذي نختاره^(٢).
- والذي أقوله^(٣).
- والمعنى عندي^(٤).
- وترجيح ما ينبغي أن يرجح^(٥).
- والصواب عندي^(٦).
- والذي ينبغي، بل لا يعدل عنه^(٧).
- والمعتمد ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما^(٨).
- فوجب القطع أن المراد هو^(٩).

(١) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/ ٤٣١).

(٢) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٢٥٢٣).

(٣) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/ ٥٢٥)، (٦/ ١٦٦).

(٤) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٦٦).

(٥) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٤٧).

(٦) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٩٥).

(٧) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٦٩).

(٨) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٤٠).

(٩) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٥٠).

- وهو الراجح^(١).
- وظاهر النص دليل على أن^(٢).
- والأظهر عندي^(٣).
- والذي يظهر لي^(٤).

(٢) التصريح بتصحيح أو تصويب أحد الأقوال: - كقوله:

- والصحيح^(١).
- وهو صحيح المعنى^(٢).
- والأول أصوب^(٣).
- وهو كلام صحيح^(٤).
- وهذا الكلام في غاية الظهور^(٥).
- والأول أصح^(٦).
- ولا يعتمد إلا قول الرسول ﷺ^(٧).

- (١) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/١٨٨).
- (٢) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/٧٤).
- (٣) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/١١٦-١٤٧).
- (٤) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/٥١٦)، (٦/١١١-١٤٧)، (٦/١٢٨-١٢٩).
- (٥) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/٢٤٧-٥٣٩)، (٦/١٢٨-١٢٩).
- (٦) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/٤٧).
- (٧) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/١٥٣-١٥٥).
- (٨) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/١٧).
- (٩) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/١٧).
- (١٠) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/١١٣).
- (١١) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/١٤١).

- وقول الجمهور أثبت^(١).

- وهو قول جمهور أهل العلم^(٢).

(٣) التنصيص على تحسين قول وتفضيله على غيره: - كقوله:

- والأولى^(١).

- أولى^(٢).

- أرجح^(٣).

- والأقرب من هذه الأقوال^(٤).

- والأحسن^(٥).

- والأجود^(٦).

- الأول أولى^(٧).

- وهو كلام حسن^(٨).

- وهو قول حسن^(٩).

(١) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/ ٥٣١).

(٢) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٥).

(٣) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٦٣١ ٥٦٦ ١٧٦ ١٨٢ ٢٠٧).

(٤) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٤١ ١٨٨).

(٥) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٩٩ ١٧٨ ١٨٨).

(٦) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٦٠).

(٧) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٦٣ ١٨٥).

(٨) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٣٥ ٧٠).

(٩) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١١٤).

(١٠) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/ ٥٢٥).

(١١) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٩٤).

- والمشهور^(١).
- والوجه الثاني هو الظاهر^(٢).
- ويرجح القول الأول^(٣).
- والظاهر القول الأول^(٤).
- والأظهر^(٥).
- وهو قول الجمهور^(٦).
- وهو قول الأكثرين^(٧).

فهذه الصيغ ظاهرة في الدلالة على الرجح من الأقوال في تفسير الآية، وإن كان بعضها أبين من بعض في بيان الرجح.



-
- (١) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/١٤٩).
 - (٢) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/١٠٧).
 - (٣) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/٢٠٢).
 - (٤) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/١٦٥).
 - (٥) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/١٩٤٦، ١٩٥٦، ١٥٧١، ١٦٤١، ١٦٩١، ١٨٤١، ٢٠٢١).
 - (٦) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/٥١٦)، (٦/١٢٧، ١٣٩١، ١٤١٧، ١٨٤١، ١٨٨١).
 - (٧) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/٢٠٧).

المطلب الثاني: التفسير بقول مع النصّ على ضعف غيره

التفسير بقول مع النص على ضعف غيره يؤدي إلى حصر القول الرّاجح، أو الأقوال الرّاجحة فيما عدا الأقوال المردودة، وإن لم يبين المفسر اختياره وترجيحه.

قال ابن عبد البر^(١) ~ في اعتبار العلماء لهذه الطريقة في الترجيح بين الأقوال بقوله: «ولا خلاف بين أهل العلم والنظر أنّ المسألة إذا كان فيها وجهان، فقام الدليل على بطلان الوجه الواحد منهما، أنّ الحق في الوجه الآخر، وأنه مستغن عن قيام الدليل على صحته، بقيام الدليل على بطلان ضده»^(٢).

وفي تضعيف القول المرجوح طريقان:

الأول: التصريح بالنصّ على التضعيف، بأن يكون فيه لفظ الضعف، وما في معناه: كقول أبي حيان ~ :

- ويبعد ما قاله بعض المتأولين^(٣).

- وهو قول ضعيف^(٤).

- وهذا بعيد^(٥).

- ويبعد^(٦).

(١) يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، أبو عمر، الإمام، شيخ الإسلام، حافظ المغرب، أحد الأعلام، وصاحب التصانيف، ولد سنة ٣٦٨ هـ، توفي سنة ٤٦٣ هـ. انظر: نفح الطيب: (٢٩/ ٩٩ - ١٠٠)، وتذكرة الحفاظ: (٣/ ١١٢ - ١١٣)، العبر في أخبار من غير: (٣/ ٢٥٧).

(٢) التمهيد: (٢٠/ ١٩٩ - ٢٠٠).

(٣) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٥١).

(٤) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/ ٥٢٩، ٢٣٠)، (٦/ ١١٥، ١٩٢).

(٥) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/ ٥١١).

(٦) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٢٠).

- وأبعد من ذهب إلى^(١).
- وهذا بعيد جداً^(٢).
- وهو بعيد^(٣).
- وهو تأويل بعيد^(٤).
- وهذا ضعيف بعيد^(٥).
- ومذهبهم محجوج بما ثبت في صحيح مسلم^(٦).
- ليس بصحيح^(٧).
- ولا يصح^(٨).
- ضعيف^(٩).
- ولا يصح هذا القول^(١٠).
- وهذا فيه بعد^(١١).
- لا يصح بوجه^(١٢).

- (١) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/١٥٤، ١٥٦).
- (٢) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/١٦، ٣١، ١٥٦).
- (٣) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/١٨٢).
- (٤) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/١٢٣).
- (٥) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/٣١).
- (٦) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/١٨٤).
- (٧) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/١٠١).
- (٨) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/٥١١) (٦/١٣٥، ١٥٩).
- (٩) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/٣٧).
- (١٠) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/٨٣).
- (١١) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/١٠٥).
- (١٢) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/٥١١).

- وهذا في غاية البعد^(١).
- وهذا مخالف لما ثبت في الصحيح^(٢).
- وهذه أقوال في غاية الضعف^(٣).
- وهذا لا يليق أن يحمل كلام الله الذي هو أفصح الكلام عليه^(٤).
- وهذا غير لازم^(٥).
- وفي هذا عندي نظر^(٦).
- وهذا عندي لا يجوز^(٧).
- لا يظهر^(٨).
- وهو كلام ملفق من كلام المفسرين قبله^(٩).
- وهذه كلها أقوال مضطربة^(١٠).
- ولم يصح في ذلك شيء^(١١).
- وليس كما قال^(١٢).

- (١) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (١٧٩/٦).
- (٢) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (١٣٦/٦).
- (٣) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥٩/٦).
- (٤) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥٩/٦).
- (٥) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥٩/).
- (٦) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٤٤/٦).
- (٧) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥٢٦/٥).
- (٨) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥٢٣/٥) (٣٣/٦).
- (٩) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥٣٠/٥).
- (١٠) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (١٧١، ١٤٢، ١٠٠/٦).
- (١١) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (١٥٤/٦).
- (١٢) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (١٦٨/٦).

الثاني: ما لم يكن صريحاً في النصّ على التضعيف، وذلك بذكر عبارة في سياق القول
المرجوح تدلّ على ضعفه: وذلك كقول أبي حيان ~ :

- ليس بجيد ^(١).
- ويحتاج هذا التوجيه إلى نظر ^(٢).
- ليس بسديد ^(٣).
- وهذا القول لا ينبغي أن يقال ^(٤).
- وهذا ليس بظاهر ^(٥).
- وهذا غريب ^(٦).



(١) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/٥١٢، ٥٢٢) (٦/١٨، ١٨٤، ٢٠٢).

(٢) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/١٥٨).

(٣) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/١٧٠).

(٤) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/٥٩).

(٥) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/٥٥).

(٦) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/١٤٩).

المطلب الثالث : التفسير بالقول الراجح، وذكره بصيغة الجزم، وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمرّض

استعمل العلماء هذه الصيغة في الترجيح؛ وذلك باعتماد قول وذكره بصيغة الجزم، كقال، وروى، وذكر فلان، إشارة لترجيح هذا القول وتصويبه، وأما الأقوال التي لم يعتمدوها فذكروها بصيغة التمرّض، كرُوي، وقيل، وذكر، وما في معناها، إشارة إلى تضعيفهم لها. وهذه الطريقة يعمل بها علماء الحديث وغيرهم في التصحيح والتضعيف بين الأقوال^(١).

وهذه الصيغة واضحة الدلالة على الترجيح والاختيار، إلا أنها ليست في قوة الصيغ السابقة التي ينصّ فيها العالم على القول الراجح، وبيان القول المرجوح؛ لأن هذه الصيغة يكون فيها احتمال، والأقوال الأخرى قد يكون فيها وجه من الصحة.

وأبو حيان ~ استعمل هذه الصيغة، إلا أنه في الغالب يوجد في كلامه ما يشير إلى توجهه إلى القول الذي جزم به، وأغلبها استعماله للفظ (الظاهر):

كقوله ~ :

١ - والظاهر^(١).

٢ - ويظهر^(٢).

٣ - والذي يظهر لي^(٣).

(١) انظر: الباعث الحثيث: (٨٦)، والنكت على ابن الصلاح: (١/٣٢٦، ٣٣٣، ٣٣٧)، وأصول الحديث: (٣٥٧ - ٣٥٨).

(٢) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/٥٠٧، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٥)، (٦/٥، ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٣، ١٩، ٢٦، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٣٩، ٤٥، ٥١، ٥٣، ٥٦، ٦٣، ٧١، ٧٣، ٧٧، ٨٠، ٨٢، ٨٥، ٩٤، ١٠٠، ١٠٨، ١١٢، ١١٥، ١١٩، ١٢٣، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٣، ١٤٤)، (١٤٦، ١٤٧، ١٥١، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٠، ١٧٩، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٨، ١٩١، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٣).

(٣) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/٥١٣)، (٦/٥، ١٣، ٤٦، ١١٣، ١١٩).

(٤) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/٥١٦)، (٦/١١، ٤٧، ٨١، ١٢٨، ١٥٧، ١٨٨، ١٩٢).

٤ - والأظهر^(١).

٥ - وهذا هو الظاهر^(٢).

مثال ذلك:

أ - في قوله - تعالى -: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ، لِزَيَّيْنِهِ، مِنْ ءَايِنِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١﴾

(الإسراء: ١) قال أبو حيان ~ : « والظاهر أن قوله ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ هو: المسجد المحيط بالكعبة بعينه، وهو قول أنس، وقيل: من الحجر، وقيل: من بين زمزم والمقام، وقيل: من شعب أبي طالب، وقيل: من بيت أم هاني، وقيل: من سقف بيته عَلَى الصَّلَاةِ وعلى هذه الأقوال الثلاثة يكون أطلق المسجد الحرام على مكة »^(٣).

ب - في قوله - تعالى -: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَجْرُونَ لِلآذْقَانِ سُجَّدًا﴾ ﴿١٠٧﴾ [الإسراء: ١٠٧] قال أبو حيان ~ :

« والظاهر أن الضمير في قوله ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ﴾ عائد على القرآن... والظاهر أن الضمير في قوله (من قبل) عائد على القرآن كما عاد عليه في قوله: (به) ويدل عليه ما قبله وما بعده، وقيل: إن الضميران في (به) وفي (قبله) عائدان على الرسول ﷺ »^(٤).

(١) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٦/ ٩٤، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٩، ١٨٤).

(٢) انظر البحر المحيط (٥/ ٥٢٧، ٥٢٨).

(٣) انظر البحر المحيط (٦/ ٦)، وانظر المسألة رقم (٢) من سورة الإسراء.

(٤) انظر البحر المحيط (٦/ ٨٥) باختصار يسير، وانظر المسألة رقم (٥٧) من سورة الإسراء.

المطلب الرابع : الاكتفاء بذكر القول الذي يراه راجحاً، دون ذكر بقية الأقوال الأخرى الواردة في الآية

وصورته أن يرد في معنى الآية عدة أقوال، فلا يذكرها أبو حيان ~ ، ويكتفي بذكر القول الذي يراه راجحاً فقط دون أن يذكر بقية الأقوال، فعدم إيراده لبقية الأقوال دليل على أنه حصر الصواب في المعنى الذي ذكره فقط.

ومثاله:

في قوله - تعالى - : ﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ [الإسراء: ١٠٤].

أ - قال أبو حيان ~ في المراد بالأرض المأمور بسكنائها: « والضمير من بعده عائد على فرعون أي من بعد إغراقه، والأرض المأمور بسكنائها: أرض الشام »^(١)، فهو لم ينظر إلى بقية الأقوال الأخرى التي ذكرها المفسرون بل رجحه هذا القول فقط ولم يذكر غيره.

ب - قال أبو حيان ~ في المراد بوعد الآخرة: « والظاهر أن يكون الأمر بذلك حقيقة على لسان موسى عليه السلام، ووعد الآخرة: قيام الساعة »^(٢).

فقد وردت أقوال أخرى للمفسرين في المراد بوعد الآخرة، كنزول عيسى عليه السلام، ووعد الكثرة ووعد الإقامة، ولكنه لم يذكر إلا قيام الساعة وهذا دليل على أنه حصر الصواب في هذا المعنى دون غيره.

(١) انظر البحر المحيط (٦/ ٨٤)، وانظر المسألة رقم (٥٤) من سورة الإسراء .

(٢) انظر البحر المحيط (٦/ ٨٤)، وانظر المسألة رقم (٥٥) من سورة الإسراء .

المطلب الخامس: تقديم القول مع الاستدلال له بما يفيد ترجيحه

والمراد بالتقديم هنا أن يذكره عند سرد الأقوال أولاً، ولا يخفى أن لسياق الأقوال في مساق الترجيح طرقات، منها: أن يقدم القول الراجح مع دليله؛ ليصدر الكلام به، فيظهر فضله على غيره من البداية.

وعليه فإن تقديم القول في سياق الترجيح قد يدل على الترجيح والاختيار، والتفضيل له على ما سواه، إذا حُفَّتْ بذلك القرائن، كأن يستدل له ويقرره بأوجه الترجيح المعتمدة ويذكر الأقوال المتأخرة ذكراً عارياً من الاستدلال.

وقد استخدم أبو حيان ~ هذه الطريقة، مثال ذلك:

أ. في قوله - تعالى -: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعَوْتُ مَثْبُورًا ۝١٠٢ ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، قال أبو حيان ~ : « الثبور: الهلاك، يقال ثبر الله العدو أهلكه، وقال ابن الزبيري:

إِذَا أَجَارِيَ الشَّيْطَانُ فِي سِنَنِ الْفَيِّ وَمَنْ مَالٍ مِثْلُهُ مَثْبُورٌ ^(١)

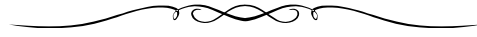
لذلك آل أمر فرعون إلى الهلاك، كان موسى عليه السلام يتوقع من فرعون أذى، كما قال: ﴿ إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ۝١٠٢ ﴾، فأمر أن يقول له قولاً ليناً، فلما قال له الله لا تخف، وثق بحماية الله فصالح فرعون صولة المحمي، وقابله من الكلام بهالم يقابله به قبل ذلك، ومثبور: مهلك في قول الحسن ومجاهد، وملعون في قول ابن عباس، وناقص العقل فيما روى ميمون بن مهران، ومسحور في قول الضحاك، قال: رد عليه مثل ما قاله له فرعون مع اختلاف اللفظ، مثبور: مصروف عن الخير مطبوع على قلبك من قولهم: ما ثبرك عن هذا، أي: ما منعك وصرفك ^(٢).

(١) البيت من الخفيق لعبدالله بن الزبيري من مقطوعة أربعة أبيات، قالها حين جاء النبي ﷺ مسلماً معتذراً عما فرط منه من هجائه بتحريض قريش على ذلك. انظر سيرة ابن هشام ص (٤١٩)، والجمهرة (٢/ ٢٧٧).

(٢) انظر البحر المحيط (٦/ ٦٧ - ٨٤) باختصار، وانظر دراسة مسألة رقم (٥٣) من سورة الإسراء.

ب. ما ذكره أبو حيان ~ عند قوله - تعالى -: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتِيَهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] قال: « والجمهور على أنه الخضر، وخالف من لا يعتد بخلافه فزعم أنه عالم آخر، وقيل: اليسع، وقيل: إلياس، وقيل: خضرون بن قابيل بن آدم عليه السلام » (١).

فهذه بعض الصيغ في الترجيح في التفسير، والتي سار عليها أبو حيان في تفسيره، واستخدمها في ترجيحه بين الأقوال.



(١) البحر المحيط: (٦/ ٤٣٩)، وانظر المسألة رقم (٦٤) من سورة الكهف.

المبحث الثاني

وجوه الترجيح عند أبي حيان الأندلسي

وفيه أحد عشر مطلب :

- المطلب الأول: الترجيح بالنظائر القرآنية.
- المطلب الثاني: الترجيح بالحديث النبوي.
- المطلب الثالث: الترجيح بظاهر القرآن.
- المطلب الرابع: الترجيح بالقراءات.
- المطلب الخامس: الترجيح بالسياق.
- المطلب السادس: الترجيح بأسباب النزول.
- المطلب السابع: الترجيح بمعرفة الناسخ والمنسوخ.
- المطلب الثامن: الترجيح بالعموم.
- المطلب التاسع: الترجيح بالمطلق والمقيد.
- المطلب العاشر: الترجيح بالمنطوق والمفهوم.
- المطلب الحادي عشر: الترجيح باللغة.

المطلب الأول: الترجيح بالنظائر القرآنية

من وجوه الترجيح التي استخدمها كثيراً أبو حيان ~ في تفسيره، الترجيح بالنظائر القرآنية، وهو يعني: الترجيح بدلالة آية أو آيات قرآنية، وهو وجه مقدم ومعتمد عند العلماء، فعند الاختلاف في تفسير آية، فإن كان أحد الدليلين موافقاً لظاهر القرآن فيقدم؛ لأجل موافقته لآية أو آيات من كتاب الله^(١)، كما أن القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدّم على ما عُدّ ذلك^(٢).

وقد رجح أبو حيان بين الأقوال في تفسيره باستخدام النظائر القرآنية في مواضع عدة، ومن ذلك ما يلي:

أ - في قوله - تعالى -: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجِئُونَ بِحَمْدِهِ وَتُظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٢] قال أبو حيان ~ : « والظاهر أن الدعاء حقيقة أي: يدعوكم بالدعاء الذي يسمعكم وهو النفخة الأخيرة، كما قال: ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١] »^(٣).

ب - في قوله - تعالى -: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣] قال أبو حيان ~ : « والذي يظهر أن لفظة (عبادي) مضافة إليه تعالى كثر استعمالها في المؤمنين في القرآن كقوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [١٧] الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ ﴿[الزمر: ١٧]- ١٨] وقوله: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ [الفجر: ٢٩] وقوله: ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦٠] »^(٤).

ج - في قوله - تعالى -: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠] قال أبو حيان ~ : « ولسان الصدق: الثناء الحسن الباقي عليهم آخر الأبد، قاله ابن عباس، وعبر باللسان كما عبر باليد وهي العطية، واللسان في كلام العرب

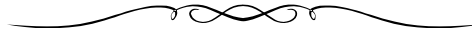
(١) انظر: المنحول من تعليقات الأصول لأبي حامد الغزالي: (٤٣١ - ٤٣٢)، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي: (٤/٤٦٩).

(٢) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، للحري: (٣١٢/١).

(٣) البحر المحيط (٦/٤٥)، وانظر المسألة رقم (٤٨) من سورة الإسراء.

(٤) البحر المحيط (٦/٤٧)، وانظر المسألة رقم (٢٥) من سورة الإسراء.

الرسالة الرائعة كانت في خير أو شر.... ولسان العرب: لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته، ﴿وَجَعَلَ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] فصيحه قدوة حتى عظمه أهل الأديان كلهم وادّعوه، وقال - تعالى -: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨] وقوله: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة: ١٣٥] وقوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣] وأعطى ذلك ذريته فأعلى ذكرهم وأثنى عليهم، كما أعلى ذكره وأثنى عليه «^(١)».



(١) البحر المحيط: (٦/ ١٨٥)، وانظر المسألة رقم (٣٠) من سورة مريم .

المطلب الثاني: الترجيح بالحديث النبوي

اعتمد العلماء -رحمهم الله- في ترجيحهم بين الأقوال على حديث الرسول الله ﷺ، واشترطوا في ذلك ثبوته عن النبي ﷺ، فبينوا ما يحتج به من الأحاديث، وما لا يحتج به^(١).
وقد سار أبو حيان ~ في ترجيحه بين الأقوال في تفسيره على ذلك، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

أ - في قوله -تعالى-: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦] قال أبو حيان ~ : «وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ» قال الجمهور: هي الكلمات الماثور فضلها «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، وقال ابن عباس { وابن جبير وأبو عمرو بن شرحبيل^(٢): هي الصلوات الخمس، وعن ابن عباس ؓ: أنه كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للأخرة، وقول الجمهور مروى عن رسول الله ﷺ^(٣)

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (١٣/ ٣٦٣ - ٣٦٤)، والبرهان في علوم القرآن، للزركشي: (٢/ ١٩٢، ٢٠٠)، والموافقات في أصول الأحكام للشاطبي: (٤/ ٧ - ٨)، وقواعد الترجيح عند المفسرين للحري: (١/ ١٩١).

(٢) أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل الهمداني، الكوفي، ذكره البخاري وغيره في التابعين، وثقه ابن معين وآخرون، وكان من أفاضل أصحاب عبد الله بن مسعود، مات سنة ٦٣ هـ. انظر الإصابة (٥/ ١٤٦)، والطبقات الكبرى (٦/ ١٠٦).

(٣) تخريج الحديث: أخرجه بهذا اللفظ الطبري في جامع البيان (١٥/ ٢٩٥)، والنسائي في السنن الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة، باب ثواب من سبح الله مائة تسبيحة وتحميدة تكبيرة (٦/ ٢١٢)، والإمام أحمد في مسنده باب حديث النعمان بن بشير ؓ (٤/ ٢٦٧)، وقد ورد هذا الحديث من رواية أبي سعيد الخدري ؓ قال: استكثروا من الباقيات الصالحات، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله « قال عنه الألباني: ضعيف. انظر الترغيب والترهيب (١/ ٢٣٧)، وشعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف (٢/ ٧٥)، وأما الرواية التي استدلل بها أبو حيان رحمه الله، فعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: خذوا جنتكم قالوا: يا رسول الله: عدو حضر، قال: لا، ولكن جنتكم من النار، قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإنهن يأتين يوم القيامة مجنيات ومعقبات، وهن الباقيات الصالحات « ورواه النسائي واللفظ له والحاكم، والبيهقي، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح (٢/ ٢١٢)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (٩/ ٤٤) حديث رقم (٣٢٦٤).

من طريق أبي هريرة وغيره»^(١).

ب - في قوله - تعالى - : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أُبْرَحُ حَتَّىٰ أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠] قال أبو حيان ~ : «موسى المذكور في هذه الآية: هو موسى بن عمران عليه السلام، ولم يذكر الله في كتابه موسى غيره، ومن ذهب إلى أنه غيره - وهو موسى بن ميثا بن يوسف أو موسى بن افرائيم بن يوسف - فقول لا يصح بل الثابت في الحديث الصحيح^(٢) وفي التواريخ أنه موسى بن عمران نبي بني إسرائيل»^(٣).

ج - وفي قوله - تعالى - : ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا خُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: ٦١] قال أبو حيان ~ : «والظاهر أن السرب كان في الماء ولا يفسر إلا مما ورد في الحديث الصحيح^(٤) أن الماء صار عليه كالطاق^(٥)»^(٦).

(١) البحر المحيط (٦/ ١٢٧) وانظر المسألة رقم (٤٠) من سورة الكهف.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله (١/ ٥٦)، وفي كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليه السلام (٣/ ١٢٤٦)، وفي صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل الخضر عليه السلام (٤/ ١٨٤٧). وذلك لما جاء من طريق سعيد بن جبير قلت لابن عباس: ابن نوف البكالي يزعم أن موسى نبي بني إسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر، قال: كذب عدو الله حدثني أبي بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل، أي الناس أعلم. فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه: أن لي عبداً بمجمع البحرين وهو أعلم منك).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٣٥) وانظر المسألة رقم (٥٨) من سورة الكهف.

(٤) انظر صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام (٣/ ١٢٤٦)، وفي كتاب التفسير، باب سورة الكهف (٤/ ١٧٥٢) ولفظه «واضطرب الحوت فخرج، فسقط في الماء فاتخذ سبيله في البحر سرباً، فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار مثل الطاق، وفي رواية مسلم [فاضطرب الحوت في الماء فجعل لا يلتزم عليه حتى صار مثل الكوة] انظر صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام (٤/ ١٨٤٧).

(٥) الطاق: ما عطف من الأبنية، أي: جعل كالقوس من قنطرة ونافذة. انظر لسان العرب (١٠/ ٢٢١)، والقاموس المحيط ص (١١٦٩).

(٦) البحر المحيط (٦/ ١٣٧)، وانظر المسألة رقم (٦١) من سورة الكهف.

المطلب الثالث: الترجيح بظاهر القرآن

إن ألفاظ القرآن ثلاثة أقسام:

- ١ - نصوص لا تحتمل إلا معنى واحداً، فهي تفيد اليقين بمدلولها قطعاً، ولا يعدل عنها إلا بنسخ، وعامة ألفاظ القرآن من هذا الضرب.
- ٢ - ظواهر تحتمل غير معناها احتمالاً بعيداً مرجوحاً، ولكن قد اطردت في موارد استعمالها على معنى واحد، فجرت مجرى النصوص التي لا تحتمل غير مسماها، ولا يعدل عنها إلا بدليل على قصد المحتمل المرجوح.
- ٣ - ألفاظ مجملة تحتاج إلى بيان، ويتوقف عن العمل بها إلا بدليل على تعيين المراد^(١).

والأصل في نصوص القرآن والسنة أن تحمل على ظواهرها، وتفسر على حسب ما يقتضيه ظاهر اللفظ، ولا يجوز أن يعدل بألفاظ الوحي عن ظاهرها إلا بدليل واضح يجب الرجوع إليه؛ لأنه لا يُعرف مراد المتكلم إلا بالألفاظ الدالة عليه، والأصل في كلامه وألفاظه أن يكون دالاً على ما في نفسه من المعاني، وليس لنا طريق لمعرفة مراده - تعالى - غير كلامه وألفاظه، وكل تفسير ليس مأخوذاً من ظاهر ألفاظ الآية وسياقها فهو ردٌّ على صاحبه^(٢).

والظاهر لغة: الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدل على قوّة وبروز. من ذلك ظهر الشيء يظهر ظهوراً فهو ظاهر إذا انكشف وبرز، وبذلك سُمّي وقت الظهر الظهيرة، وهو أظهر أوقات النهار وأضوؤها، والأصل فيه كَلَّه ظهر الإنسان، وهو خلاف بطنه، وهو يجمع البروز والقوة، فالظاهر: ضد الباطن، وظَهَرَ الشيء إذا تبين، وأظهرته: بينته:

(١) انظر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة لابن قيم الجوزية: (٢/ ٦٧٠ - ٦٧٢)، ومذكرة في أصول الفقه: (٢١١)، والمستصطفى من علم الأصول: (٣/ ٨٤)، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد: (١/ ٣٩٨ - ٣٩٩)، والإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٩٥).

(٢) انظر: المنحول: (٤٣٢)، وقواعد الترجيح عند المفسرين: (١/ ١٣٧).

والظهور: بدو الشيء الخفي^(١).

والظاهر اصطلاحاً: ما دلّ على معنى، واحتمل غيره احتمالاً مرجوحاً^(٢).

والظاهر على ضربين^(٣):

الضرب الأول: الظاهر بالوضع، وهو نوعان

(١) ظاهر بوضع الشرع، مثل الصلاة والصيام.

فالصيام: إمساك مخصوص في وقت مخصوص في زمان مخصوص، وكذلك الصلاة.

(٢) ظاهر بوضع اللغة، مثل: الأمر إذ يحتمل الإيجاب كما يحتمل النذب، إلا أنه في الأول أظهر.

وكذلك النهي حيث يحتمل التحريم ويحتمل الكراهية، وهو في الأول أظهر.

وحكم هذا: - أنه يجب المصير إليه، وهو لا يجوز العدول عنه إلا بدليل أقوى منه يدل على صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى الاحتمال المرجوح، وهذا ما يسمى بالتأويل.

الضرب الثاني: الظاهر بالدليل، مثل: الأمر بصيغة الخبر.

وقد اعتمد أبو حيان ~ هذا الوجه في مواطن كثيرة جداً من تفسيره^(٤)، ولعل

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: (٤٧١ / ٣)، مختار الصحاح: (١٧١ / ١)، ومفردات ألفاظ القرآن: (٥٤٠)، ولسان العرب: (٥٢٣ / ٤)، مادة: ظهر.

(٢) انظر: البحر المحيط، للزركشي: (٢٥ / ٣)، والبرهان في علوم القرآن: (٢٣٤ / ٢)، والإتقان في علوم القرآن: (٩٥ / ٣).

(٣) انظر: التمهيد لأبي الخطاب (٨ / ١)، والمذكرة في أصول الفقه للشنقيطي (١٧٦).

(٤) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥٠٧ / ٥)، (٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٥)، (٥٠٧ / ٦)، (٧٧، ٧٣، ٧١، ٦٣، ٥٦، ٥٣، ٥١، ٤٥، ٣٩، ٣١، ٣٠، ٢٧، ٢٦، ١٩، ١٣، ١١، ١٠، ٨، ٧، ٥)، (٨٠، ٨٢، ٨٥، ٩٤، ١٠٠، ١٠٨، ١١٢، ١١٥، ١١٩، ١٢٣، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٣، ١٤٤)، (١٤٦، ١٤٧، ١٥١، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٠، ١٧٩، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٨، ١٩١، ١٩٥)، (١٩٧، ١٩٩، ٢٠٣).

الذي جعله ينحو هكذا أنه كان في أول أمره ببلاد الأندلس ظاهري المذهب، ثم لما وصل إلى مصر صار شافعيًا.

يقول عنه ابن حجر - رحمهما الله - : « وكان ظاهرياً، وانتهى إلى الشافعية، واختصر المنهاج، وحكى عن بعضهم قوله عن أبي حيان أنه لم يزل ظاهرياً، قلت: كان أبو حيان يقول: محال أن يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه » ^(١). وقد صدقا فيما قالوا، فالناظر في البحر المحيط يدرك غلبة استعمال الظاهر عرضاً للأقوال وترجيحاً.

وفي البحر المحيط يكثر استعمال أبي حيان للفظ الظاهر، ومن ذلك ما يلي:

أ - وفي قوله - تعالى - : ﴿ تَسِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسِيحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْيِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤] قال أبو حيان ~ : « ونسبة التسييح للسموات والأرض ومن فيهم من ملك وإنس وجن، حملة بعضهم على النطق بالتسييح حقيقة، وأن ما لا حياة فيه ولا نمو يحدث الله له نطقاً، وهذا هو ظاهر اللفظ، ولذلك جاء (ولكن لا تفقهون تسييحهم) ... » ^(١).

ب - في قوله - تعالى - : ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجُدُونَ بِحَمْدِهِ وَتُظَنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۝٥٢ ﴾ [الإسراء: ٥٢] قال أبو حيان ~ : « والظاهر أن الدعاء حقيقة، أي: يدعوكم بالنداء الذي يسمعكم وهو النفخة الأخيرة، كما قال تعالى ﴿ يَوْمَ ينادِ الْمُنادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [ق: ٤١] » ^(١).

ج - وفي قوله - تعالى - : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَٰ وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَا وَلَّهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩٧] قال أبو حيان ~ : « والظاهر أن قوله ﴿ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ حقيقة كما قال تعالى ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ [الفر: ٤٨] وقوله ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾ [الفرقان: ٣٤]، ... وقيل: (على وجوههم)

(١) الدرر الكامنة (٤/ ١٨٦).

(٢) البحر المحيط (٦/ ٣٦)، وانظر المسألة رقم (١٨) من سورة الإسراء.

(٣) البحر المحيط (٦/ ٤٥)، وانظر المسألة رقم (٢٣) من سورة الإسراء.

مجاز يقال للمنصرف عن أمر خائباً مهموماً أنصرف على وجهه»^(١).

د - وفي قوله - تعالى -: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠] قال أبو حيان ~ : «والظاهر من هذه الآية أنه ليس من الملائكة، وإنما هو من الجن»^(٢).



(١) البحر المحيط (٦ / ٨٠)، وانظر المسألة رقم (٤٨) من سورة الإسراء.

(٢) البحر المحيط (٦ / ١٢٩)، وانظر المسألة رقم (٤١) من سورة الكهف.

المطلب الرابع: الترجيح بالقراءات

الترجيح بالقراءات من الأوجه المعتمدة عند المفسرين في تعضيد الأقوال المختارة، وقد قرر بعض العلماء أن تعدد القراءات بمثابة تعدد الآيات.

قال ابن تيمية ~ : « فهذه القراءات التي يتغير فيها المعنى كلها حق، وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها »^(١).

وقال النحاس ~ : « إذا قرئ الحرف على وجوه، فهو منزلة آيات، كل واحدة تفيد معنى »^(٢).

فمتى ثبتت القراءة فلا يجوز ردها، أو رد معناها^(٣).

وأما القصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة، وتبيين معانيها، وأدنى ما يستنبط من علم هذه الحروف معرفة صحة التأويل^(٤).

وقد استعمل أبو حيان ~ القراءات في ترجيحه بين الأقوال، ومن ذلك ما يلي:

أ- في قوله - تعالى - : ﴿وَمَا كُنْتَ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عِصْدًا﴾ [الكهف: ٥١] قال أبو حيان ~ : « وقرأ أبو جعفر^(٥)، والجاحدري^(٦)، والحسن، وشيبة^(٧) (وما كنت)

(١) مجموع الفتاوى: (٣٩١ / ١٣).

(٢) إعراب القرآن للنحاس: (١٨٠ / ٤).

(٣) انظر: قواعد الترجيح: (٨٩ / ١).

(٤) البرهان في علوم القرآن: (٤١٢ / ١ - ٤١٣).

(٥) يزيد بن القعقاع بن شبرمة المدني، المخزومي، مولاهم، أبو جعفر، القاريء المشهور، تابعي جليل، أحد القراء العشرة توفي سنة ١٣٠ هـ. انظر معرفة القراء الكبار ص ١٤٠، وغاية النهاية (٣٨٦ / ٢).

(٦) عاصم بن أبي النجود الجحدري، أبو بكر الكوفي، أحد القراء السبعة، كان أهل الكوفة يختارون قراءته، توفي سنة ١٢٧ هـ. انظر معرفة القراء الكبار ص (٥١)، وغاية النهاية (٣٤٦ / ١).

(٧) شيبة بن نصاح المخزومي، المدني، القاري، القاضي، مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ أتى به إليها وهو صغير فمسحت رأسه، وكان ختن يزيد بن أبي القعقاع، وثقه النسائي توفي سنة ١٣٠ هـ. انظر تهذيب الكمال (٦٠٨ / ١٢)، والتاريخ الكبير (٢٤١ / ٤).

بفتح التاء^(١) خطاباً للرسول ﷺ، وقال الزمخشري: "والمعنى ما صح لك الإعتضاد بهم وما ينبغي لك أن تعتز بهم"^(٢). انتهى، والذي أقول أن المعنى: إخبار من الله عن نبيه وخطاب منه تعالى له في انتفاء كينونته متخذ عضد من المضلين، بل هو مذ كان ووجد ﷺ في عناية التبري منهم وللبعد عنهم، لتعلم أمتة أنه لم يزل محفوظاً من أول نشأته، لم يعضد بمضل ولا مال إليه ﷺ»^(٣).

ب - في قوله - تعالى -: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾^(٤) ثُمَّ نُجِى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَاً ﴿٧٢﴾ [مريم: ٧١-٧٢] قال أبو حيان ~ : «وقرأ الجمهور (منكم)^(٥) بكاف الخطاب، والظاهر أنه عام للخلق، وأنه ليس الورود الدخول لجميعهم... وقرأ الجمهور (ثم)^(٦) بحرف العطف وهذا يدل على أن الورود عام»^(٧).

ج - في قوله - تعالى -: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩] قال أبو حيان ~ : «وقرأ الجمهور (وراءهم) وهو لفظ يطلق على الخلف وعلى الأمام، ومعناه هنا (أمامهم)، وكذا قرأ ابن عباس^(٨) { }»^(٩).

(١) انظر الاتحاف (٢/ ٢١٧)، والنشر (٢/ ٣١١)، والجامع للقرطبي (١١/ ٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (١١٤/ ٥).

(٢) الكشف للزمخشري (٣/ ٥٩٢).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٣٠)، وانظر المسألة (٤٥) من سورة الكهف.

(٤) انظر النشر (٢/ ٢٥٩)، والتيسير ص (١٤٩).

(٥) انظر السبعة ص (٤١١)، والتيسير ص (١٤٩)، والنشر (٢/ ٢٥٩)، والحجة ص (٤٤٦).

(٦) البحر المحيط (٦/ ١٩٧)، وانظر المسألة رقم (٤٩) من سورة مريم.

(٧) صحيح البخاري، كتاب التفسير (٣/ ٢٥٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٧٩)، انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٥).

(٨) البحر المحيط (٦/ ١٤٦)، وانظر المسألة رقم (٧٤) من سورة الكهف.

المطلب الخامس: الترجيح بالسياق

دلالة سياق الآيات من الأمور المهم مراعاتها في تفسير الآيات؛ وذلك لأنها ترشد إلى تبين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظراته^(١).

ومن أولى ما يرجح به بين الأقوال ما دلّ عليه سياق الكلام، وإذا احتمل الكلام معنيين وكان حمّله على أحدهما أوضح وأشدّ موافقة للسياق، كان الحمل عليه أولى^(٢).

فالسّياق يرشد إلى تبين المجملات، وترجيح الاحتمالات، وتقرير الواضحات، وكلّ ذلك بعرف الاستعمال^(٣).

والسياق لغة: هو حدو الشيء، يقال: ساقه يسوقه سوقاً، والسّيقة: ما استيق من الدّواب، ويقال: سقت إلى امرأتى صداقها وأسقته، والمساوقة: المتابعة كأن بعضها يسوق بعضاً، يقال: ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة، أي بعضهم على إثر بعض، ليس بينهم جارية^(٤).

والسياق اصطلاحاً: بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يُخرجه عن السّباق واللّحاق إلاّ بدليل صحيح يجب التسليم له^(٥).

والسياق القرآني ينقسم إلى: سباق، ولّحاق.

فالسّباق لغة: ما قبل الشيء، ومادة "سَبَق" تدل على التقديم، وعلى هذا فالسّبق

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (٢/٢١٨).

(٢) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز: (٢٢٠).

(٣) البحر المحيط في الأصول: (٦/٥٢).

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة: (٣/١١٧)، ولسان العرب: (١٠/١٦٦ - ١٦٩)، ومختار الصحاح:

(١/١٣٥) مادة: ساق.

(٥) انظر: دلالة السّياق القرآني وأثرها في التفسير: (١/٦٢).

يعني: التَّقدُّم^(١).

والسَّباق اصطلاحاً: الكلام الذي يبين معنى ما بعده^(٢).

أما اللّحاق لغة: مصدر لحق يلحق لحاقاً، وهو إدراك شيء وبلوغه إلى غيره، يقال:
لحق فلان فلاناً، فهو لاحق^(٣).

واللّحاق اصطلاحاً: الكلام الذي يبين معنى ما قبله^(٤).

وقد استخدم أبو حيان ~ هذا الوجه في الترجيح بين الأقوال، فمن ذلك:

أ - في قوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩] قال أبو حيان ~ : « قال - تعالى - ﴿أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ قيل: من كان في عهد الرسول ﷺ من المشركين وأهل الكتاب، وقيل: أهل مكة وهو الظاهر، بدليل ما أتى بعده من قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ﴾^(٥)...»^(٦).

ب - في قوله - تعالى -: ﴿فَلَنَآيِذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ نَعُذِبَ وَإِمَّا أَنْ نُنْخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦] قال أبو حيان ~ : « وقوله: ﴿إِمَّا أَنْ نَعُذِبَ﴾ بالقتل على الكفر ﴿وإِمَّا أَنْ نُنْخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ أي بالحمل على الإيمان والهدى، إما أن تكفر فتعذب، وإما أن تؤمن فتحسن، فعبر بالتخيير بالمسبب عن السبب، قال الطبري: اتخاذ الحسن هو أسرهم مع كفرهم، يعني أنه خير مع كفرهم بين قتلهم وأسْرهم، وتفصيل ذي القرنين ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ يدفع هذا القول ولما خيره تعالى بين تعذيبهم ودعائهم إلى الإسلام اختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم، فقال: أما من دعوته فأبى إلا البقاء على الظلم وهو الكفر هنا بلا

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: (٣/ ١٢٩)، والكلبيات: (٥٠٨).

(٢) انظر: دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير: (١/ ٦٤).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة: (٥/ ٢٣٨)، ولسان العرب: (١٠/ ٣٢٧)، ومختار الصحاح: (١/ ٢٤٧)، مادة "لحق".

(٤) انظر: دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير (١/ ٦٥).

(٥) سورة الإسراء: ٩٠.

(٦) البحر المحيط (٦/ ٧٧)، وانظر المسألة رقم (٤٦) من سورة الإسراء.

خلاف فذلك المعذب في الدارين، وأما من آمن وعمل ما يقتضيه الإيمان فله جزاء الحسنى^(١).



(١) انظر البحر المحيط (٦/١٥٢)، وانظر المسألة رقم (٨٦) من سورة الكهف.

المطلب السادس: الترجيح بأسباب النزول

تقدم ذكر عناية أبي حيان بذكر أسباب النزول، وقد اعتمده، واستدل به على ترجيح بعض الأقوال في التفسير، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

أ - في قوله - تعالى - : ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]، قال أبو حيان ~ : «والظاهر أن المعنى جعلنا بين رؤيتك وبين أبصار الذين لا يؤمنون بالآخرة؛ كما ورد في سبب النزول» ^(١).

ب - في قوله - تعالى - : ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨] قال أبو حيان ~ : «قال كفار قريش لو أبعدت هؤلاء عن نفسك لجالسناك وصحبناك، يعنون عماراً وصهيباً، وابن مسعود وبلالاً ونحوهم من الفقراء. وقالوا إن ربح جبابهم تؤذينا فنزلت ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ الآية وعن سلمان أن قائل ذلك عيينة بن حصن، والأقرع وذووهم من المؤلفه، فنزلت الآية على هذا مدنية، والأول أصح، لأن السورة مكية» ^(٢).

(١) انظر البحر المحيط (٣٩/٦)، وانظر المسألة رقم (١٩) من سورة الكهف.

(٢) انظر البحر المحيط (١١٣/٦)، وانظر المسألة رقم (٢٦) من سورة الكهف.

المطلب السابع: الترجيح بمعرفة الناسخ والمنسوخ

اعتنى أبو حيان ~ بذكر الناسخ والمنسوخ في تفسيره، وقد سلك في مسألة النسخ بأنه قد يرد دعوى النسخ التي قيلت في الآية، إذا لم تتوفر فيها شروط النسخ، أو إذا كانت تحتل مخصصات آخر، أو لأن ما في الآية خبر، والنسخ لا يدخل الأخبار، أو غير ذلك.

وقد يقبل النسخ، ويقول به، إذا كانت الأدلة تدل عليه، ومن ذلك ما يلي:

أ) في قوله - تعالى -: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، قال أبو حيان ~ : « قالت فرقة: هذه الآية منسوخة بآية القتال، وقالت فرقة: هي محكمة ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ أطبق أهل التفسير أن هذه الآية مدنية، نزلت في شأن التمثيل بحمزة وغيره يوم أحد، ووقع ذلك في صحيح البخاري^(١) في كتاب السير، وذهب النحاس إلى أنها مكية، والمعنى متصل بما قبلها اتصالاً حسناً لأنها تتدرج الذنب من الذي يدعي وتوعظ إلى الذي يجادل إلى الذي يجازي على فعله، ولكن ما روى الجمهور أثبت انتهى »^(٢).

(١) تخريج الحديث: سبق تخريجه انظر ص ٧٥ .

(٢) انظر البحر المحيط (٥/ ٥٣١)، وانظر المسألة رقم (١٦) من سورة النحل .

المطلب الثامن: الترجيح بالعموم

يعتبر العموم عند العلماء من الأدلة المعتمدة في الترجيح بين الأقوال، وقد أجمعوا على إجراء ألفاظ الكتاب والسنة على العموم إلا ما دل الدليل على تخصيصه، وكانوا يطلبون دليل الخصوص لا دليل العموم^(١).

والعموم لغة: شمول أمر لمتعدد سواء كان الأمر لفظاً أو غيره، ومنه قولهم: عمهم الخبر إذا شملهم وأحاط بهم^(٢).

واصطلاحاً: لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر^(٣).

ويستدل على عموم اللفظ بقبوله الاستثناء منه، إلا في العدد^(٤).

وصيغ العموم متعددة منها:

١ - الألفاظ الموضوعة للجمع، مثل:

(كل، وجميع، ومعشر، وعامة، وكافة، وقاطبة).

٢ - الألفاظ المبهمة، مثل:

- الأسماء الموصولة، مثل: (ما، مَنْ، التي، الذي، اللذان، اللاتي، الذين).

- أسماء الشرط، منها: (أي، مَنْ، ما، أين، أنى).

- أسماء الاستفهام، منها: (أي، مَنْ، ما، أين، متى).

- المعرفة بالإضافة، وهو نوعان: (اسم الجنس المضاف، والجمع المضاف).

٣ - الجمع، واسم الجمع، واسم الجنس المعروف بأل.

(١) انظر: العدة لأبي يعلى (٢/٤٩٢).

(٢) انظر: الكليات: (٦٠٠)، وإرشاد الفحول: (١/١٩٧)، والبحر المحيط في أصول الفقه: (٢/١٧٩).

(٣) انظر: الإنقاف في علوم القرآن: (٣/٤٣)، وروضة الناظر: (١/٢٢٠)، وإرشاد الفحول: (١/١٩٧).

وشرح الكوكب المنير: (٣/١٠٢)، والبحر المحيط في أصول الفقه: (٢/١٧٩).

(٤) انظر: التبصرة في أصول الفقه: (١٠٨)، وشرح الكوكب المنير: (٣/١٥٣).

٤ - النكرة في سياق النهي، أو في سياق النفي، أو في سياق الشرط، أو في سياق الامتنان^(١).

ويستفاد العموم أيضاً من غير هذه الصيغ فلا يؤخذ من اللفظ، بل يؤخذ من المعنى وهذا ما يسمى بالعموم المعنوي^(٢).

وقد اعتمد أبو حيان هذا الوجه من وجوه الترجيح في تفسيره (البحر المحيط)، وهذه بعض الأمثلة لذلك:

- أ - في قوله - تعالى -: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝١﴾ قِيمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ ﴿[الكهف: ١-٢]، قال أبو حيان ~ : «والعوج في المعاني: كالعوج في الأشخاص، ونكر ﴿عِوَجًا﴾ ليعم جميع أنواعه، لأنها نكرة في سياق النفي»^(٣).
- ب - في قوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا ۝٥٤﴾ [الكهف: ٥٤]، وقال أبو حيان ~ : «قيل: الإنسان هنا النضر بن الحارث^(٤)، وقيل ابن الزبيري^(٥)، وقيل: أبي بن خلف^(٦)، وكان جداله في البعث حيث أتى بعظم فذره، فقال: أيقدر الله على إعادة هذا قاله ابن السائب^(٧)، قيل: كان من

(١) انظر: الإتيان في علوم القرآن: (٤٣/٣ - ٤٤)، ومباحث في علوم القرآن: (٢٢٣ - ٢٢٤)، شرح الكوكب المنير: (١١٩/٣ - ١٥٣)، والمحصول: (٣١١/٢ - ٣١٣).

(٢) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه: (١٤٦/٣)، والواضح في أصول الفقه للأشقر (١٨٨ - ١٩٢).

(٣) انظر البحر المحيط (٩٤/٦)، وانظر المسألة رقم (٢) من سورة الكهف.

(٤) النضر بن الحارث بن علقمة بن كندة بن عبدالدار القرشي العبدري، قتل كافراً بإجماع أهل السير، قتله علي بن أبي طالب بأمر النبي ﷺ انظر الإصابة (٤٣٠/٦).

(٥) عبد الله بن الزبيري - بكسر الزاي وسكون المهملة بعدها راء مقصورة - بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم القرشي السهمي، كان من أشعر قريش وكان شديداً على المسلمين ثم أسلم في الفتح، انظر الإصابة (٨٧/٤).

(٦) أبي بن خلف الجمحي، قتله رسول الله ﷺ بيده يوم أحد. انظر سيرة ابن هشام (٨٥/٤).

(٧) محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النظر، نسابة، مفسر، شيعي، كذاب متروك الحديث، توفي سنة ١٤٦ هـ. انظر التاريخ الكبير (١٠١/١)، المجروحين (٣٥٣/٢)، الوافي بالوفيات (٨٣/٣).

يعتل من ملك وجنّ يجادل والإنسان أكثر هذه الأشياء جدلاً، انتهى. وكثيراً ما يذكر الإنسان في معرض الذم، وقد تلا للرسول ﷺ قوله: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ حين عاتب علياً - كرم الله وجهه - . على النوم عن صلاة الليل، فقال له علي: (إنما نفسي بيد الله^(١)، فاستعمل الإنسان على العموم)^(١).

ج - في قوله - تعالى - : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠]، قال أبو حيان ~ : « وقوله ﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ قال الحسن: هي النبوة: وقال الكلبي: المال والولد، والأحسن أن يكون الخير الديني والديني من العلم والمنزلة والشرف في الدنيا، والنعيم في الآخرة »^(١).

د - في قوله - تعالى - : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، قال أبو حيان ~ : « والشهوات عامٌ في كل مشتته يشغل عن الصلاة وذكر الله، وعن علي: من بنى الشديد، وركب المنظور، ولبس المشهور »^(١).

(١) تخريج الحديث: صحيح البخاري، أبواب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب (١/٣٧٩)، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما روي في من نام الليل أجمع حتى أصبح (١/٥٣٧).

(٢) البحر المحيط (٦/١٣١)، وانظر المسألة رقم (٥٣) من سورة الكهف.

(٣) البحر المحيط (٦/١٨٥)، وانظر المسألة رقم (٢٩) من سورة الكهف.

(٤) البحر المحيط (٦/١٩٠)، وانظر المسألة رقم (٣٨) من سورة مريم.

المطلب التاسع: الترجيح بالطلق والمقيد

تعريف المطلق والمقيد:

المطلق في اللغة: التخلية والإرسال، وأطلق الأسير خلاه، وأطلق الناقة من عقالها فطلقت هي بالفتح، وأطلق يده بالخير، وطلقها أيضا بالتخفيف، والطلاق الأسير الذي أطلق عنه إيساره وخلي سبيله^(١).

والمقيد في اللغة: مأخوذ من القيّد، وهو معروف، ثم يستعار في كل شيء يحبس^(٢).

والمطلق في الاصطلاح: هو ما تناول واحداً غير معين باعتبار حقيقة شاملة لجنسه، نحو: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المجادلة: ٣]^(٣).

والمقيد في الاصطلاح: هو ما تناول معيناً، أو موصوفاً بزائد على حقيقة جنسه، نحو: ﴿شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ [النساء: ٩٢]^(٤).

والقاعدة عند العلماء أنه متى وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه، وإلا فلا، بل يبقى المطلق على إطلاقه، والمقيد على تقييده؛ لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب^(٥).

والضابط فيه أن الله - تعالى - إذا حكم في شيء بصفة أو شرط ثم ورد حكم آخر مطلقاً نُظِرَ، فإن لم يكن له أصل يرد إليه إلا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به، وإن كان له أصل غيره لم يكن رده إلى أحدهما بأولى من الآخر^(٦).

إذا ورد شيء من نصوص الوحي مطلقاً غير مقيد ب قيد، أو شرط، فلا يجوز تقييده، بل يجب العمل بالنص وتفسيره على إطلاقه وإبهامه، إلا إذا قام الدليل على التقييد، ومن

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: (٣/ ٦٣٠)، ومختار الصحاح: (١/ ١٦٦)، ولسان العرب: (١٠/ ٢٢٧)، مادة: طلق.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة: (٥/ ٤٤)، ومختار الصحاح: (١/ ٢٣٣).

(٣) انظر: المختصر في أصول الفقه: (١/ ١٢٥).

(٤) انظر: المختصر في أصول الفقه: (١/ ١٢٥)، وشرح الكوكب المنير: (٣/ ٣٩٣).

(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن: (٢/ ١٨)، والإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٩١).

(٦) انظر: البرهان في علوم القرآن: (٢/ ١٥).

خالف ذلك بحمل النصوص المطلقة على غير إطلاقها فقوله مردود، وفعله تحكم في تفسير النصوص بلا دليل، فلا يقبل منه ذلك أبداً.

كما أنّ النص إذا ورد مقيداً فلا بد أن يفسر ويُعمل به بمقتضى قيده، ومن أوله بما يؤدي إلى بطلان قيده فلا يقبل منه ذلك، ولا يعتمد عليه، بل هو رد على صاحبه^(١).

وقد اعتمد أبو حيان ~ على هذا الوجه في ترجيحه بين الأقوال التفسيرية، ومن ذلك ما يلي:

ما ذكره عند تفسير قوله تعالى ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ (١) [فاطر: ١]، قال: ((و الظاهر عموم الخلق، و قال الفراء: هذا في الأجنحة التي للملائكة. أي يزيد في خلق الملائكة الأجنحة، و قالوا في هذه الزيادة: الخلق الحسن، أو حسن الصوت، أو حسن الخط، أو الملاحظة في العينين، أو الأنف، أو خفة الروح، أو الحسن، أو جعودة الشعر، أو العقل، أو العلم، أو الصنعة، أو العفة في الفقراء، و الحلاوة في الفم، وهذه الأقوال على سبيل التمثيل لا الحصر، و الآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق، وقد شرحوا هذه الزيادة بالأشياء المستحسنة))^(١).

(١) انظر: التعارض والترجيح، للبرزخي: (٢/ ٤٠ - ٤١).

(٢) البحر المحيط (٦/ ٢٨٦).

المطلب العاشر: الترجيح بالمنطوق والمفهوم

دلالة الألفاظ على المعاني قد يكون مأخذها من منطوق الكلام الملفوظ به نصاً أو احتمالاً بتقدير أو غير تقدير، وقد يكون مأخذها من مفهوم الكلام سواء وافق حكمها حكم المنطوق أو خالفه - وهذا هو ما يسمى بالمنطوق والمفهوم - ^(١).

فالمنطوق: ما دل عليه اللفظ في محل النطق ^(٢).

والمفهوم: ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق ^(٣).

و ينقسم المنطوق إلى أقسام:

الأول: النص: هو ما يفيد بنفسه معنى صريحاً لا يحتمل غيره. كقوله - تعالى -: ﴿فَصَيَّامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦] فإن وصف عشرة بكاملة قطع احتمال العشرة لما دونها مجازاً.

الثاني: الظاهر: هو ما يسبق إلى الفهم منه عند الإطلاق معنى مع احتمال غيره احتمالاً مرجوحاً، فهو يشترك مع النص في أن دلالة في محل النطق، ويختلف عنه في أن النص يفيد معنى لا يحتمل غيره، والظاهر يفيد معنى عند الإطلاق مع احتمال غيره احتمالاً مرجوحاً كقوله - تعالى -: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣] فإن الباغي يطلق على الجاهل. ويطلق على الظالم، ولكن إطلاقه على الظالم أظهر وأغلب فهو إطلاق راجح، والأول مرجوح.

والمؤول: هو ما حمل لفظه على المعنى المرجوح لدليل يمنع من إرادة المعنى الراجح، فهو يخالف الظاهر في أن الظاهر يحمل على المعنى الراجح حيث لا دليل يصرفه إلى المعنى المرجوح، أما المؤول فإنه يحمل على المعنى المرجوح لوجود الدليل الصارف عن إرادة المعنى

(١) مباحث في علوم القرآن: (٢٥٠).

(٢) انظر: الإنتقان في علوم القرآن: (٩٥ / ٣).

(٣) انظر: الإنتقان في علوم القرآن: (٩٦ / ٣)، وشرح الكوكب المنير: (٤٧٣ / ٣ - ٤٨٠)، ومباحث في علوم القرآن: (٢٥٢).

الراجح. وإن كان كل منهما يدل عليه اللفظ في محل النطق، كقوله - تعالى -: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]، فإنه محمول على الخضوع والتواضع وحسن معاملة الوالدين، لاستحالة أن يكون للإنسان أجنحة.

وينقسم المفهوم إلى قسمين: -

الأول: مفهوم الموافقة، وهو ما وافق حكمه المنطوق، وهو نوعان:

النوع الأول: فحوي الخطاب وهو: ما كان المفهوم فيه أولى بالحكم من المنطوق سواء، كدلالة قوله - تعالى -: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣] على الضرب لأنه أشد.

النوع الثاني: لحن الخطاب، وهو: ما ثبت الحكم فيه للمفهوم كثبوته للمنطوق سواء، كدلالة قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَيْتَمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠] على تحريم الإحراق، لأنه مساوٍ للأكل في الإتيان.

الثاني: مفهوم المخالفة، وهو: ما يخالف حكمه المنطوق، وهو أنواع: مفهوم (صفة، وشرط، وغاية، وحصر) ^(١).

وقد استخدم أبو حيان ~ الترجيح بالمفهوم في تفسيره، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

أ) في قوله - تعالى -: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، قال أبو حيان ~ في معنى قوله ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾: «وإذا كان قد نهى أن يستقبلها بهذه اللفظة الدالة على الضجر، والتبرم بهما، فالنهى عما هو أشد كالشتم والضرب هو بجهة الأولى» ^(١).

(١) شرح الكوكب المنير (٣/ ٤٧٣ - ٤٨٠)، إرشاد الفحول (١/ ٥٧٠)، مباحث في علوم القرآن ص (٢٥٩).

(٢) البحر المحيط (٦/ ٢٥).

ب) وفي قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، قال أبو حيان ~ : «ومعنى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ لا تتبع ما لا علم لك به من قول أو فعل، نهى أن نقول ما لا نعلم، وأن نعمل بما لا نعلم، ويدخل فيه النهي عن إتباع التقليد، لأنه إتباع بما لا يعلم صحته»^(١).



(١) البحر المحيط (٣٢ / ٦)، وانظر المسألة رقم (١٦) من سورة الإسراء .

المطلب الحادي عشر: الترجيح باللغة

القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، قال - تعالى - ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (١٩٥) [الشعراء: ١٩٥]، ويعتبر أبو حيان ~ من أجل علماء اللغة العربية بالإضافة إلى كونه مفسراً، وقد امتلأ تفسيره البحر المحيط بكثير من الدرر اللغوية، وكان منها ما استخدمه في الترجيح بين الأقوال، وقد تعددت جوانب استخدام اللغة عنده في الترجيح، فمنها:

❖ أولاً: الترجيح بما يسمى عند العرب:

ومن ذلك:

أ - في قوله - تعالى - ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (١٠٥) [الإسراء: ١٠٥] قال أبو حيان ~ : « وقوله ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ هو مردود على قوله: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن) الآية وهكذا طريقة كلام العرب وأسلوبها تأخذ في شيء وتستطرد منه إلى شيء آخر، ثم إلى الآخر وتعود إلى ما ذكرته أولاً » (١).

ب - في قوله - تعالى - ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ (٧٤) [الكهف: ٧٤]، قال أبو حيان ~ : « وكان هذا الغلام لم يبلغ الحلم، ولهذا قال ﴿أَقْتَلْتَنِي زَكِيَّةً﴾ وقيل: كان الغلام بالغاً شاباً، والعرب تبقي على الشاب اسم الغلام » (٢).

❖ ثانياً: الترجيح في مرجع الضمير لأقرب مذكور:

أ - في قوله - تعالى - ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (٣) [الإسراء: ٣] قال أبو حيان ~ : « والظاهر أن الضمير في (إنه) عائد على نوح » (٣).

ب - في قوله - تعالى - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَعَلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ

(١) البحر المحيط (٦ / ٨٤)، وانظر المسألة رقم (٥٦) من سورة الإسراء.

(٢) البحر المحيط (٦ / ١٤١)، وانظر المسألة رقم (٧٠) من سورة الكهف.

(٣) البحر المحيط (٦ / ٨)، وانظر المسألة رقم (٣) من سورة الإسراء.

جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ، فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ [الإسراء: ١٠١] قال أبو حيان ~ : « والظاهر أنه خطاب للرسول محمد ﷺ أمره أن يسألهم عما أعلمه به من غيب القصة ثم قال: (إذ جاءهم) يريد آباءهم وأدخلهم في الضمير إذ هم منهم » (١).

ج - في قوله - تعالى - : ﴿ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِيزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ۖ وَفَلَنَّا مِنْ بَعْدِهِ لِنَبْنِيٰ لَهُ إِسْرَءِيلَ أَكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ۖ ﴾ [١٠٣]

[الإسراء: ١٠٣ - ١٠٤]، قال أبو حيان ~ : « والضمير في من بعده عائد على فرعون أي. من بعد إغراقه » (٢).

ثالثاً: اتساق الضمائر:

أ - في قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۚ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ٩٩ - ١٠٠] قال أبو حيان ~ : « والضمير في ﴿ بِهِ ﴾ عائد ﴿ رَبِّهِمْ ﴾، وقيل: على الشيطان، وهو الظاهر لاتفاق الضمائر » (٣).

ب - في قوله - تعالى - : ﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [٨٢] قال أبو حيان ~ : « فالأظهر أن الضمير في ﴿ سَيَكْفُرُونَ ﴾ عائد على أقرب مذكور محدث عنه، فالمعنى أن الآلهة سيجحدون عبادة هؤلاء إياهم، ويجوز أن يكون الضمير للمشركين ينكرون لسوء العاقبة أن يكونوا كما قالوا ﴿ وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (٤) لكن قوله: ﴿ وَيَكُونُونَ ﴾ يرجح القول الأول، لا تساق الضمائر لواحد، على القول الآخر يختلف الضمائر إذ يكون في ﴿ سَيَكْفُرُونَ ﴾ للمشركين، وفي ﴿ وَيَكُونُونَ ﴾ للآلهة » (٥).

(١) البحر المحيط (٦/ ٨٢)، وانظر المسألة رقم (٥١) من سورة الإسراء.

(٢) البحر المحيط (٦/ ٨٤)، وانظر المسألة رقم (٥٤) من سورة الإسراء.

(٣) البحر المحيط (٦/ ٥١٨)، وانظر المسألة رقم (١٢) من سورة الإسراء.

(٤) سورة الأنعام: آية ٢٣.

(٥) البحر المحيط (٦/ ٢٠٢)، وانظر المسألة رقم (٥٢) من سورة مريم.

وبعد... فهذه مجمل القواعد التي ظهر لي مراعاة أبي حيان ~ لها أثناء ترجيحه بين الأقوال التفسيرية التي قيلت في الآيات القرآنية، وهناك غيرها لا تأخذ أهمية ما ذكر.



القسم الثاني

ترجمات أبي حيان الأندلسي

من الآية (٨٠) من سورة النحل

إلى آخر سورة مريم

(جمعاً ودراسة وموازنة)

ترجيحات أبي حيان الأندلسي
في

سورة النحل

قال - تعالى - : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾^(١)
وفيها مسألتان:

[١] المسألة الأولى: المراد بالنعمة في قوله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالنعمة هي نعم الله عموماً، وأنه سبحانه في هذه عندما وبخ وقرع الكافرين على إنكار نعم الله لم يخص نعمة دون أخرى، حيث قال: ~ : « ثم أخبر عنهم (المشركون) على سبيل التقرير والتوبيخ، بأنهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها، وعرفانهم للنعم التي عُدت [عليهم]^(٢) حيث يعترفون بها، وأنها منه -تعالى- وإنكارهم لها حيث يعبدون غير الله، وجعل ذلك إنكاراً على سبيل المجاز، إذ لم يرتبوا على معرفة نعم الله مقتضاها من عبادته وإفراده بالعبادة دون ما نسبوا إليه من الشركاء، قال قريباً من هذا المعنى: مجاهد، وقال السدي^(٣): النعمة هنا محمد ﷺ، والمعنى: يعرفون بمعجزاته وآيات نبوته وينكرون ذلك بالتكذيب^(٤)، ورجحه الطبري^(٥) وعن مجاهد: إنكارهم قولهم، ورثناها من آبائنا^(٦) وعن ابن عون^(٧) إضاقتها إلى الأسباب لا إلى

(١) سورة النحل آية ٨٣.

(٢) سقطت كلمة [عليهم] في المطبوع.

(٣) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، أبو محمد، صاحب التفسير، والمغازي، والسير، وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس، توفي سنة ١٢٧ هـ، على الأرجح، انظر التاريخ الكبير (١/ ٣٦٠)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٤)، الوافي بالوفيات (٩/ ١٤٢).

(٤) انظر تفسير سفيان الثوري ص (١٦٦)، جامع البيان للطبري (١٤/ ١٨٨)، تفسير القرآن المسمى ببحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٢٨٥)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ١٣٧).

(٥) انظر جامع البيان للطبري ص (١٤/ ١٨٩).

(٦) انظر جامع البيان للطبري (٤/ ١٨٩)، روح المعاني للألوسي (٧/ ٤٤٢).

(٧) عبد الله بن عون بن أرطبان، أبو عون البصري، ثقة ثبت فاضل من أقران أيوب في العلم والعمل والسن، من السادسة، مات سنة خمسين على الصحيح انظر التقريب (١/ ٣٠٥)، والظاهر أن المراد به هو عون بن عبد الله كما ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٦٥)، وهو: عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبد الله الكوفي، ثقة، عابد، مات قيل سنة عشرين ومائة، انظر التقريب (١/ ٤٥٦).

مسببها^(١)، وحكى صاحب الغنيان: يعرفونها في الشدة ثم ينكرونها في الرخاء^(٢)، وقيل: إنكارهم هي بشفاعة آلهتهم عند الله، وقيل: (يعرفونها) بقلوبهم ثم (ينكرونها) بألسنتهم^(٣).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بالنعمة التي أخبر الله - تعالى ذكره - عن هؤلاء المشركين أنهم ينكرونها مع معرفتهم بها على قولين:

القول الأول:

أنها نعم الله ﷻ عامة في الدنيا، وفي إنكارها عدة أقوال، من أهمها: -

أولاً: أنهم يقولون إن هذه النعم كانت لأبائهم، وقد ورثوها عنهم، وقد روي عن مجاهد^(٤) أنه قال: نعم الله: المساكن والأنعام وسراويل الثياب والحديد يعرفه كفار قريش، ثم ينكرونها بأن يقولوا: هذا كان لأبائنا ورثناه عنهم.

ثانياً: أنهم يقولون: لولا فلان لكان كذا فهذا إنكارهم، قاله: عون بن عبد الله^(٥).

ثالثاً: يعرفون أن النعم من الله ولكن يقولون هذه بشفاعة آلهتنا^(٦).

والقول بالعموم هو ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره من المفسرين: (الفرآء، والسمرقندي^(٧)، والزخشي، وابن عطية، والنسفي^(٨)،

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٤/ ١٨٩)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٦)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ١٣٧).

(٢) انظر روح المعاني (٧/ ٤٤٢).

(٣) البحر المحيط (٥/ ٥٠٨-٥٠٩).

(٤) سبق توثيقه انظر الصفحة السابقة ص ١٦٩.

(٥) نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، أبو الليث، علامة وأئمة الحنفية ومن الزهاد المتصرفين من علماء القرن الرابع الهجري، انظر طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٢٤٥)، الأعلام للزركلي (٨/ ٢٧).

(٦) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، فقيه، حنفي، مفسر، توفي سنة ٧١٠ هـ، انظر الفوائد البهية في تراجم الحنفية لمحمد اللكنوي (١٠١)، والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة

وابن كثير^(١)، وأبو السعود^(٢) والشوكاني^(٣)، والطاهر بن عاشور^(٤)، والمراغي^(٥) (١).

القول الثاني:

إن المراد بالنعمة ها هنا: محمد ﷺ يعرفون أنه نبي ثم يكذبونه، حيث أن هذه الآية بين آيتين كلتاهما خبر عن رسول الله ﷺ وعما بعث به، فأولى ما بينهما أن يكون في معنى ما قبله وما بعده، إذ لم يكن معنى يدل على انصرافه عما قبله وعما بعده فالذي قبله قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (٨٢) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٣) (١)، وما بعده ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (٨٤) (١)، وهو رسولها، فإذا كان ذلك كذلك. فمعنى الآية:

= لابن حجر (١٥١/٢).

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين حافظ، مفسر، مؤرخ فقيه، توفي سنة ٧٧٤هـ، انظر ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي (٣٦/٥)، الدرر الكامنة لابن حجر (٢١٨/١)، طبقات الحفاظ للسيوطي ص (٥٥٩).

(٢) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبو السعود، مفسر، شاعر، من علماء الترك المستعربين، توفي سنة ٩٨٢هـ، انظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (١٠/٥٨٤)، الأعلام (٧/٥٩).

(٣) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مفسر، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، توفي سنة ١٢٥٠هـ، انظر البدر الطالع (٧٣٢)، والأعلام (٦/٢٩٨).

(٤) محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، شيخ جامع الزيتونة توفي سنة ١٣٩٣هـ، انظر الأعلام للزركلي (٦/١٧٤).

(٥) أحمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي، باحث مصري، عارف بالتفسير، من دعاة التجديد والإصلاح، ومن تولوا مشيخة الأزهر، توفي سنة ١٣٦٤هـ، انظر الأعلام (٧/١٠٣).

(٦) انظر في ذلك كله على الترتيب: معاني القرآن للفراء (٢/١١٢)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/٢٨٥)، الكشف للزخشري (٣/٤٦٠)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤١٣)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦٠٥)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٧٦٥)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/٨٥)، فتح القدير للشوكاني (٣/٢٢٩)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/٢٤٢)، تفسير المراغي (٥/٢٤٢).

(٧) سورة النحل: آية ٨٢-٨٣.

(٨) سورة النحل: آية ٨٤.

يعرف هؤلاء المشركون بالله نعمة الله عليهم يا محمد بك، ثم ينكرونك ويحدون بك وهذا مروي عن مجاهد^(١)، والسدي^(٢) واختاره من المفسرين: (الطبري، والزجاج والنحاس)^(٣).

♦ الترجيح:

والراجع - والله تعالى أعلم - وهو ما رجحه أبو حيان وجمهور المفسرين من المراد بالنعمة هي النعم عامة وذلك لما يأتي:-

١. لأن الآية دالة على العموم وفهمها على العموم أقرب للصواب، أي أنهم يعرفون نعم الله التي أنعم بها عليهم ويعترفون بأنها من عند الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم^(٤) والحمل على العموم أولى، وأفردت النعمة لأن المراد بها المصدر، أي: جنس النعمة، وتطلق على المفرد والجمع.

٢. للنظائر القرآنية، فالعدد لا يكون للكثير المتعدد، مثل قوله - تعالى -: ﴿وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٥)

٣. والإناعام بنبوة محمد ﷺ من ضمن نعم الله التي لا تعد ولا تحصى قال الكلبي: هذه السورة تسمى سورة النعم لما ذكر الله فيها من كثرة نعمه على خلقه^(٦).



(١) سبق توثيقه انظر ص ١٦٩ .

(٢) انظر في ذلك كله على الترتيب: جامع البيان للطبري (١٤ / ١٨٩)، معاني القرآن للزجاج (٣ / ٢١٦)، معاني القرآن للنحاس (٤ / ٩٩).

(٣) انظر تعليق الشيخ محمد على الصابوني على معاني النحاس (٤ / ١٠٠).

(٤) سورة النحل: آية ١٨ .

(٥) النكت والعيون للهاوردي (٣ / ٢٠٧).

[٢] المسألة الثانية: المراد بالكفر في قوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالكفر في قوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ هو الكفر المطلق، والذي هو مقابل الإيمان، وهذا بخلاف من خصه بكفر النعمة؛ حيث قال أبو حيان ~ : «والظاهر أن المراد من ﴿وَأَكْثَرُهُمُ﴾ موضوعه الأصلي، وقال الحسن: وكلهم ما من أحد يقوم بواجب حق الشكر^(١)، فجعله من كفران النعمة، والظاهر أن الكفر هنا: هو مقابل الإيمان، وقيل: أكثر أهل مكة، لأن منهم من أبى، وقيل: معنى ﴿الْكَافِرُونَ﴾ الجاحدون المعاندون، لأن فيهم من كان جاهلاً لم يعرف فيعاند»^(٢).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بالكفر في الآية على قولين: هل هو كفر نعمة أم الكفر العام؟!

(١) لم أجد هذا القول الذي نقله أبو حيان عن الحسن كما جاء هنا، بل الثابت عن الحسن عند قوله -تعالى-: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (النحل: ٨٣) قوله: "وجميعهم كفار. فذكر الأكثر والمراد به الجميع" انظر زاد الميسر لابن الجوزي (٣٦٥/٤). وقال الماوردي بعد أن ذكر قول الحسن: وهذا معنى قول الحسن. انظر النكت والعيون (٢٠٧/٣)، وذكر السمرقندي القول دون نسبته للحسن. انظر بحر العلوم (٢٨٥/٢). وانظر تفسير الحسن البصري جمع وتوثيق ودراسة د/ محمد عبدالرحيم، وأكثر المفسرون عند هذه الآية بهذا التساؤل لماذا عبر عن الكل بالأكثر؟ وما معنى قوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ مع أنهم كلهم كافرون! فالجواب من وجوه:

أ - إنما قال الله ﷻ: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ﴾ لأنه لما كان فيهم من لم تقم عليه الحجة كالصبي وناقص العقل فأراد بالأكثر البالغين الأصحاء.

ب - أن المراد بالكافر: الجاحد المعاند، فقال: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ﴾، لأن كان فيهم من لم يكن معانداً، بل جاهلاً بصدق الرسول ﷺ ولم يظهر له كونه نبياً حقاً من عند الله.

ج - ذكر الأكثر وأراد الجميع لأن أكثر الشيء يقدم مقام الكل، كقوله -تعالى-: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥]، انظر اللباب لابن عادل (١٣٦/١٢).

(٢) البحر المحيط (٥٠٩/٥).

القول الأول:

أن المراد بالكفر هنا: مقابل الإيمان، وهو ما رجحه أبو حيان ~ واختاره: (الطبري، وأبو الليث السمرقندي، والبغوي، والزخشري، وابن عطية، والنسفي) ^(١).

القول الثاني:

أن المراد بالكفر هنا: كفران النعم وجحدها.

الترجيح: ♦

الراجح والله تعالى أعلم هو ما رجحه أبو حيان ~ من أن المراد بالكفر هو الكفر الذي هو مقابل الإيمان ؛ لأنه إذا أطلق الكفر في القرآن الكريم، فإن المراد الكفر المطلق الكامل، أي: كفر التوحيد وكفر العبودية إلا إذا دل دليل على أنه كفر النعمة من خلال السياق.



(١) انظر ذلك كله على الترتيب: جامع البيان للطبري (١٧٨/١٤)، بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/٢٨٥)، معالم التنزيل للبغوي (٩١/٣)، الكشف للزخشري (٤٦٠/٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤١٣/٣)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦٠٥).

قال -تعالى-: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(١)، وفيها مسألة واحدة:

[٣] المسألة: المراد بالشركاء في قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالشركاء عام في كل شريك اتخذ من دون الله؛ حيث قال: «والظاهر أن قوله: ﴿شُرَكَاءَهُمْ﴾ عام في كل من اتخذوه شريكاً لله، من صنم ووثن وأدمي وشيطان وملك فيكذبهم من له منهم عقل، فيكون ﴿فَأَلْقَوْا﴾ عائداً على من له الكلام، ويجوز أن يكون عاماً ينطق الله -تعالى- بقدرته الأوثان والأصنام، وإضافة الشركاء إليهم على هذا القول لكونهم هم الذين جعلوا شركاء لله، وقال الحسن: شركاؤهم الشياطين شركوهم في الأموال والأولاد^(٢)، لقوله -تعالى-: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾^(٣) وقيل: شركاؤهم في الكفر، وعلى القول الأول ﴿شُرَكَاءَهُمْ﴾ في أن اتخذوهم آلهة مع الله وعبدوهم أو ﴿شُرَكَاءَهُمْ﴾ في أن جعلوا لهم نصيباً من أموالهم وأفعالهم^(٤)».

(١) سورة النحل آية: ٨٦.

(٢) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٧٨/٢٠)، الباب لابن عادل (١٣٧/١٢).

(٣) سورة الإسراء آية: ٦٤.

(٤) البحر المحيط (٥١٠/٥)، وانظر النهر (٥٢٥/٥).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بالشركاء على ثلاثة أقوال:

القول الأول:

أن المراد بالشركاء: الأصنام والأوثان، وخصها بالذكر لأن سوق الآيات لتوبيخ كفار العرب وأكثرهم عبدة الأصنام^(١) وإنما وصفهم الله بكونهم شركاء لأن الكفار كانوا يسمونها بأنها شركاء، ولأنهم جعلوا لهم نصيباً من أموالهم، وقد اختاره: (البغوي، والرازي^(٢)، وابن عادل^(٣)، والطاهر بن عاشور، والقاسمي^(٤)).

القول الثاني:

أن المراد بالشركاء: الشياطين، وقال به الحسن، وذلك لأنه -تعالى- حكى عن أولئك الشركاء أنهم ألقوا إلى الذين أشركوا أنهم لكاذبون. والأصنام جمادات فلا يصح فيهم هذا القول^(٥).

(١) حاشية القونوي (١١/٣٥٧).

(٢) محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري، أبو عبد الله الرازي، إمام مفسر، أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل توفي سنة ٦٠٦ هـ، انظر طبقات الشافعية للأسنوي (٢/١٢٣)، والوافي بالوفيات للصفدي (٤/٢٤٨)، وشذرات الذهب لابن العماد (٥/٢١)، والأعلام (٦/٣١٣).

(٣) عمر بن علي سراج الدين الحنبلي، أبو حفص، عالم في التفسير، جماعته له، توفي سنة ٨٨٠ هـ، انظر الأعلام (٥/٨٥)، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٧/٣٠٠)، كشف الظنون (٥/٧٩٤).

(٤) محمد جمال الدين بن محمد الحلاق القاسمي، إمام الشام في عصره، عالماً بالدين وتضلعا من فنون الأدب، كان سلفي العقيدة ولا يقول بالتقليد توفي سنة ١٣٢٢ هـ. انظر الأعلام (٢/١٣٥).

(٥) انظر كل ذلك بالترتيب التالي: معالم التنزيل للبغوي (٣/٩٢)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/٧٨)، الباب لابن عادل (١٢/١٣٧)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/٢٤٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/٥٤١).

(٦) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/٧٨).

القول الثالث:

أن المراد بالشركاء: عامٌّ في كل من اتخذوه شريكاً لله من صنم، ووثن، وأدمي، وشيطان، ومملك، .. وغيرهم وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره من المفسرين: (الطبري، والواحدي^(١)، وابن عطية، وابن الجوزي^(٢)، والقرطبي، وابن كثير وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي^(٣)).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين، من أن المراد بالشركاء عام في كل ما يعبد من دون الله. وذلك لما يلي:

١ - لأن القول بأن المراد بالشركاء: هم الشياطين وليس الأصنام والجمادات لا يصح؛ لأن الله سبحانه وتعالى قادر على خلق الحياة في تلك الجمادات وعلى خلق العقل والنطق فيها وحينئذ يصح منها هذا القول^(٤).

(١) علي بن أحمد الواحدي، أبو الحسن، مفسر علامة، مصنف التفاسير الثلاثة "السيط والوسيط والوجيز" توفي سنة ٤٦٨ هـ انظر معجم الأدباء (٣/ ٥٥٦)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ٢٦٤)، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٣٩)، طبقات المفسرين للسيوطي (٧٨).

(٢) عبد الرحمن بن علي البكري القرشي الحنبلي، جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي، صاحب التصانيف، علامة السير والتاريخ، بحر التفسير، توفي سنة ٥٩٧ هـ. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ١١٦)، وشذرات الذهب (٤/ ٣٢٩).

(٣) أبو الثناء شهاب الدين محمود الآلوسي إمام المفسرين في عصره تطلع منذ صغره إلى العلم، وظهرت عليه علامات النبوغ والذكاء حتى أنه اشتغل بالتدريس وهو في الثالثة عشر من عمره. توفي سنة ١٢٧٠ هـ. انظر الأعلام (٨/ ٤٢)، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١٣/ ١٠٧).

(٤) انظر ذلك على الترتيب: جامع البيان للطبري (١٤/ ١٩٠)، الوسيط للواحد (٣/ ٧٨)، المحرر الوجيز ابن عطية (٣/ ٤١٤) زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٦٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٠٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٥٩٨)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٨٥)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٣١)، روح المعاني للآلوسي (٧/ ٤٤٤).

(٥) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ٧٨).

٢- إن من خص الشركاء بالأوثان فذلك لأن كفار العرب أكثرهم عبدة الأصنام، وإلا فالحمل على العموم أولى، والمراد بالشركاء كل ما اتخذوه شريكاً لله تعالى من وثن ونبي وملك^(١).

٣- لما تقرر من أن المشركين والآلهة بأنواعها تبعث يوم القيامة ليقال لهم: من كان يعبد شيئاً فليتبعه؛ كما ثبت في الصحيح من حديث أنس [من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت]^(٢).



(١) حاشية القنوي (٣٥٧/١١).

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم (٢٤٠٣/٥)، وصحيح مسلم كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية (١٦٣/١).

قال - تعالى - : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾^(١)
وفيهما مسألة واحدة:

[٤] المسألة: معنى قوله تعالى: ﴿ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالشهيد هو النبي ﷺ حيث؛ قال أبو حيان ~ : « والشهيد نبي تلك الأمة يشهد عليهم بإيمانهم وبكفرهم، والمعنى أنه يبعث الله أنبياء الأمم فيهم منهم، والخطاب في ذلك للرسول ﷺ والإشارة بهؤلاء إلى أمته وقال ابن عطية: ويجوز أن يبعث الله شهداء من الصالحين [مع]^(٢) الرسل، وقد قال بعض الصحابة: إذا رأيت أحداً على معصية فانه، فإن أطاعك وإلا كنت عليه شهيداً يوم القيامة انتهى^(٣). وكان الشهيد من أنفسهم، لأنه كان كذلك حين أرسل إليهم في الدنيا من أنفسهم، وقال الأصم أبو بكر^(٤): المراد بالشهيد: (هو أنه تعالى ينطق عشرة من أجزاء الإنسان حتى تشهد عليه، لأنه قال في صفة الشهيد: ﴿ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾^(٥). وهذا بعيد لمقابلته بقوله: ﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ ﴾ فيقتضي المقابلة أن الشهداء على الأمم أنبياءهم، كرسول الله ﷺ »^(٦).

◀ الدراسة والموازنة:

جاءت هذه الآية وفي ضمنها وعيد، والمعنى اذكر يا أيها الرسول ذلك اليوم وهوله، يوم يبعث الله المخلوقات ويبعث الشاهد والمشهود وقد اختلف في معنى الشهيد في الآية

(١) سورة النحل: آية ٨٩.

(٢) سقطت كلمة [مع] في المطبوع .

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤١٥).

(٤) أبو بكر الأصم شيخ المعتزلة وكان ديناً وقوراً، جسوراً على الفقر، منقطعاً عن الدولة، إلا أنه كان فيه ميل عن الإمام علي مات سنة إحدى ومئتين. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٩/ ٤٠٢).

(٥) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ٨٠)، الباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ١٤٠).

(٦) البحر المحيط (٥/ ٥١١)، وانظر النهر (٥/ ٥٢٥).

على أقوال: منها:

القول الأول:

أن المراد بالشهيد: هو النبي ﷺ ومنهم أي: من نفس الأمة في اللسان والسير وفهم الأغراض والإشارات حتى يتمكن الرسول من إفهامهم والرد على معانديهم ولا يتمكن ذلك غير من هو من الأمة فلذلك لم يبعث الله قط نبياً إلا من الأمة المبعوث إليهم وهذا ما رجحه أبو حيان وعليه جمهور المفسرين^(١)، وقد استدلل لهذا القول بأنه نظر الآية التي انتهى إليها عبدالله بن مسعود، حين قرأ على رسول الله ﷺ سورة النساء، فلما وصل إلى قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٢)، فقال له رسول الله ﷺ: حسبك، فقال ابن مسعود: فالتفت فإذا عيناه تذرفان^(٣).

القول الثاني:

أن المراد بالشهيد هو أنه - تعالى - ينطق عشرة من أعضاء الإنسان، حتى أنها تشهد عليه، وهي: الأذنان والعينان والرجلان واليدين والجلد واللسان، والدليل عليه أنه قال في صفة الشهيد: أنه من أنفسهم وهذه الأعضاء لاشك أنها من أنفسهم، وبه قال أبو بكر الأصم^(٤).

(١) انظر تفسير يحيى بن سلام (٨٣/١)، تفسير ابن وهب (٤٤٢/١)، جامع البيان لابن جرير الطبري (١٩٣/١٤)، معاني القرآن للزجاج (٢١٦/٣)، تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٩٦/٧)، بحر العلوم للسمرقندي (٢٨٧/٢)، النكت والعيون للماوردي (٢٠٨/٣)، الوسيط للواحدي (٧٨/٣)، معالم التنزيل للبغوي (٩٢/٣)، الكشف للزخشري (٤٦٢/٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤١٥/٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٨٠/٢٠)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٩/١٠)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦٠٦)، ارشاد العقل السليم لأبي السعود (٨٦/٤)، فتح القدير للشوكاني (٢٣٢/٣)، روح المعاني للألوسي (٤٥٠/٧)، التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (٢٥٠/٦)، تفسير المراغي (٢٤٦/٥).

(٢) سورة النساء: آية ٤١.

(٣) صحيح البخاري كتاب التفسير باب ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ (١٦٧٣/٤).

(٤) سبق توثيقه ص ١٧٩.

﴿الترجيح﴾

والراجح - والله تعالى أعلم - هو قول أبي حيان رحمه تعالى وهو قول جمهور المفسرين لما يلي:

١. أن معنى قوله - تعالى -: ﴿شَهِيدًا عَلَيْهِمْ﴾ أي: على الأمة، فيجب أن يكون غيرهم؛ لأنه يكون أقطع للمعذرة، وأظهر في تمام الحجة عليهم^(١).

٢. أن قوله - تعالى -: ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾ يوجب أن يكون ذلك الشهيد من الأمة، وأما القول الثاني وإن كان يشهد له قوله - تعالى -: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٠) وَقَالُوا لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١)﴾^(٢) إلا أن السياق يردده، حيث إن آحاد الأعضاء لا يصح وصفها بأنها من الأمة^(٣).

(١) تفسير المراغي (٥/٢٤٦).

(٢) سورة فصلت: آية ٢٠ - ٢١.

(٣) مفاتيح الغيب (٢٠/٨٠).

قال - تعالى -: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾^(١) وفيها مسألة واحدة:

[٥] المسألة: المراد بعهد الله في الآية :

رجح أبو حيان أن المراد بالعهد هو عام في كل عهد يلتزمه الإنسان ؛ حيث قال أبو حيان ~ : « وعهد الله (علمٌ)^(١) لما عهده الإنسان والتزامه مما يوافق الشريعة، وقال الزمخشري: هي البيعة لرسول الله ﷺ على الإسلام ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾^(٢) انتهى، وكأنه لحظ ما قيل: إنها نزلت في الذين بايعوا الرسول ﷺ على الإسلام^(٣) رواه عن بريده^(٤). وقال قتادة ومجاهد: فيما كان من تحالف الجاهلية في أمر بمعروف أو نهي عن منكر^(٥). وقال ميمون بن مهران^(٦): الوفاء لمن عاهدته مسلماً كان أو كافراً فإنها العهد لله^(٧)

(١) سورة النحل: آية ٩١.

(٢) وفي المطبوع (عامٌ).

(٣) سورة الفتح : آية ١٠.

(٤) الكشاف (٣/ ٤٦٩)، جامع البيان (١٤/ ١٩٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٩)، الدر المنثور (٥/ ١٤٢).

(٥) كذا في المخطوط والمطبوع والصواب هو مزيدة بوزن كبيرة، ابن جابر، أو ابن مالك، وهو اصح. العَصْرِي بفتح المهملتين - العبدى - صحابي، مقل. انظر الإصابة لابن حجر (٨/ ١٣٦)، والتقريب (٢/ ٥٧٨).

(٦) جامع البيان للطبري (١٤/ ١٩٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤١٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٦٩).

(٧) ميمون بن مهران الجزري، أبو أيوب، كوفي الأصل، ونزل الرقة، ثقة فقيهة، ولي الجزيرة لعمر بن عبدالعزيز وكان يرسل، روى له البخاري تعليقاً، ومسلم، والأربعة، مات سنة ١١٧ هـ. التقريب لابن حجر (٢/ ٢٩٦).

(٨) انظر الوسيط للواحدى (٣/ ٨)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ٨٦).

وقال الأصم: الجهاد وما فرض في الأموال من حق^(١)، وقيل: اليمين بالله ولا تنقضوا العهود الموثقة بالآيمان^(٢). نهي عن نقضها تهماً بها بعد توكيدها، أي: توثيقها باسم الله وكفالة الله وشهادته ومراقبته، لأن الكفيل مراعى لحال المكفول به^(٣).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ في الآية على اختلاف بينهم، فيمن عني بهذه الآية وفيما نزلت، وذكروا أقوالاً منها:

القول الأول:

أنها نزلت في البيعة،...

وأن عهد الله هي البيعة لرسول الله ﷺ على الإسلام وأستدل لهذا القول: بقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٤) أي لا تنقضوا آيمان البيعة بعد توكيدها، أي بعد توثيقها باسم الله، وقد اختاره: (الزخشري، والنسفي، وأبو السعود)^(٥).

واحتج عليه بأن هذه السورة مكية نزلت حين كان المؤمنون مستضعفين فيما بين قريش فهي البيعة الأولى^(٦).

القول الثاني:

أنها نزلت في التزام الحلف الذي كان في الجاهلية وجاء الإسلام بالوفاء، وهو قول (

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٨٦/٢٠).

(٢) بحر العلوم للسمرقندي (٢٨٨/٢)، النكت والعيون للهاوردي (٢١٠/٣).

(٣) البحر المحيط (٥١٤/٥)، وانظر النهر (٥٢٩/٥).

(٤) سورة الفتح: آية ١٠.

(٥) انظر ذلك على الترتيب التالي: (الكشاف للزخشري (٤٦٩/٣)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦٠٧)، وإرشاد العقل السليم (٨٨/٤).

(٦) حاشية القونوي (٣٦٧/١١).

قتادة ومجاهد وابن زيد) (١) واستدل أصحابه بقول النبي ﷺ: (لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة) (٢).

القول الثالث:

أنها نزلت في كل عقد يمين، عقده الإنسان على نفسه مختاراً يجب عليه الوفاء به ما لم تدع ضرورة إلى حثه وذلك لقول النبي ﷺ: (من حلف على يمين فليأت الذي هو خير) (٣) وهو قول الشعبي (٤)، وقد اختاره: (السمرقندي، والماوردي، والبغوي، والفخر الرازي، وابن كثير) (٥).

القول الرابع:

إن المراد بالعهد في قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: الوفاء بالوعد، واختاره: (الواحدي وابن الجوزي، وابن عادل) (٦)، وقد احتج على هذا القول بأنه تخصيص بلا

(١) سبق توثيقه انظر ص ١٨٢ .

(٢) أخرجه مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه رضي الله تعالى عنهم (٤/ ١٩٦١) حديث (٢٥٣٠) عن جبير بن مطعم.

(٣) أخرجه مسلم كتاب الأيمان باب نذر من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير والنسائي كتاب الأيمان والنذور، باب الكفارة بعد الحنث (٧/ ١٠)، واحتج عليه بأنه يجب ألا يحمل العهد على اليمين لأننا لو حملناه على اليمين لكان قوله بعد ذلك: ﴿وَلَا نَنْقُضُ الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ تكرر لأن الوفاء بالعهد والمنع من النقض متقاربان لأن الأمر بالفعل يستلزم النهي عن الترك. اللباب (١٢/ ١٤٧).

(٤) عامر بن شراحيل الشعبي، أبو عمر الهمداني، علامة عصره وحافظ زمانه توفي سنة ١٠٤هـ، انظر تاريخ بغداد (١٢/ ٢٢٧)، طبقات الحفاظ للسيوطي (٤٢).

(٥) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٩٢).

(٦) انظر ذلك على الترتيب التالي: (بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٢٨٨)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢١٠)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٩٢)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ٨٦)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٦٠١).

(٧) انظر ذلك على الترتيب التالي: (الوسيط للواحدي (٣/ ٨٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٦٩)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ١٤٧).

مخصص مع مخالفته للرواية المذكورة^(١).

القول الخامس:

القول بالعموم وإن العبرة لعموم اللفظ لا بخصوص السبب وعلى هذا فالمراد بعهد الله يشمل العهد بين العبد وربّه وعهد العباد فيما بينهم كالبيع والشراء والعقود وغيرها، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره: (الطبري، وابن عطية والقرطبي، والشهاب الخفاجي^(١)، والقونوي^(١)، والشوكاني، والآلوسي، والسعدي^(١)).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى اعلم - هو قول أبي حيان ~ ومن وافقه من المفسرين؛ بأن المراد بالعهد وهو القول بالعموم وذلك لما يلي:

- (١) انظر حاشية القونوي (١٢/١٤٧).
- (٢) الإمام القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري المعروف بالخفاجي، الأديب الحنفي من تصانيفه نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض، عناية القاضي وكفاية الرازي وهي هذه الحاشية التي على تفسير البيضاوي، توفي سنة ١٠٦٩هـ، انظر هدية العارفين (١/١٦٠-١٦١).
- (٣) إسماعيل بن محمد بن مصطفى القونوي الحنفي أبو المفدى عصام الدين المفسر الأصولي المنطقي له حاشية على تفسير البيضاوي والرسالة العلمية توفي سنة ١١٩٥هـ، انظر الأعلام للزركلي (٣٢٥م-٣٢٦)، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمراي (١/٢٣٥-٢٥٤).
- (٤) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي، أبو عبد الله، من قبيلة تميم، كان ذا معرفة تامة بالفقه والأصول والفروع، واشتغل بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، توفي سنة ١٣٧٦هـ. انظر مقدمة تفسيره تيسير الكريم الرحمن (١/٥-٩).
- (٥) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٤/١٩٧)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤١٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/١١١) حاشية الشهاب (٥/٦٤٢)، حاشية القونوي (١١/٣٦٧)، فتح القدير للشوكاني (٣/٢٣٥)، روح المعاني للآلوسي (٧/٤٥٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/٥٤٤)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/٥٤).

١. للنظائر القرآنية لهذا العموم، قال - تعالى - : ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾^(١)، وقوله - تعالى - : ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(٢) فالآية عامة في كل عهد، قال الشنقيطي : (ظاهرها شامل لجميع العهود فيما بين العبد وربّه، وفيما بينه وبين الناس)^(٣)، قال الطبري ~ : « وجائز أن تكون نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ بنهيهم عن نقض بيعتهم حذرًا من قلة عدد المسلمين وكثرة عدد المشركين، وأن تكون نزلت في الذين أرادوا الانتقال بحلفهم عن حلفائهم لقلة عددهم في آخرين لكثرة عددهم، وجائز أن تكون في غير ذلك ولا خبر تثبت به الحجة أنها نزلت في شيء من ذلك دون شيء، ولا دلالة في كتاب ولا حجة عقل أي ذلك عني ذلك بها، ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قلنا ؛ لدلالة ظاهرة عليه، وأن الآية كانت قد نزلت لسبب من الأسباب، ويكون الحكم بها عامًا في كل ما كان بمعنى السبب الذي نزلت فيه »^(٤). يقول الشوكاني ~ : « وظاهره العموم في كل عهد يقع من الإنسان من غير فرق بين أهل البيعة وغيره وهو خلاف ما يفيد العهد المضاف إلى اسم الله - سبحانه - من العموم الشامل لجميع عهود الله، لو فرض أن السبب خاص بعهد من العهود لم يكن ذلك موجبًا لقصره على السبب، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب »^(٥).

(١) سورة الأنعام: آية ١٥٢.

(٢) سورة الإسراء: آية ٣٤.

(٣) انظر أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٥٠).

(٤) جامع البيان للطبري (١٤/ ١٩٧).

(٥) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٥).

قال -تعالى-: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ
أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٩٢﴾^(١) وفيها مسألة واحدة:

[٦] المسألة: هل المراد من ضرب المثل التعيين أم العموم ؟

رجح أبو حيان ~ أن المراد من ضرب المثل في هذه الآية هو: العموم وليس تعيين
مُشبه معين، حيث قال أبو حيان ~ : «﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ أي: في نقض العهد بعد توكيده
بالله، كالمرأة الورهاء^(٢) تبرم قتل غزلها، ثم تنقضه نكثاً^(٣) وهو ما يحل قتله، والتشبيه لا
يقتضي تعيين المشبه به، وقال السدي وعبدالله بن كثير^(٤): هي امرأة حمقاء كانت بمكة^(٥)،
وعن الكلبي^(٦) ومقاتل^(٧): هي من قريش خرقاء اسمها ربيعة^(٨) بنت سعد بن نعيم، تلقب
بجفراء اتخذت مغزلاً قدر ذراع، وصنارة مثل إصبع، وفلكة عظيمة على قدرها، فكانت

(١) سورة النحل آية: ٩٢.

(٢) وره، كَفَرَحَ: حق، والنعت: أورره، وورهاء، انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/١٠٤)،
والقاموس المحيط ص(١٣١).

(٣) نكثاً: يعني أنقاضاً وكل شيء نقض بعد القتل فهو أنكاث واحدها: نكث، حبلا كان ذلك أو غزلاً، يقال
منه: نكث فلان هذا الحبل فهو ينكثه نكثاً، والحبل منتكث: إذا انتقضت قواه. وإنما عني به في هذا الموضع
بنكث العهد والعقد، انظر القاموس المحيط ص(١٦٢)، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٤/٢١٧).

(٤) عبد الله بن كثير، أبو معبد المكي الداري، إمام أهل مكة في القراءة، كان فصيحاً بليغاً مفوهاً، عالماً
بالعربية، توفي سنة ١٢٠ هـ انظر وفيات الأعيان (٣/٣٠-٣١)، وغاية النهاية (١/٤٤٣).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٤/١٩٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤١٨).

(٦) محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النظر، نسابة مفسر، شيعي، كذاب، متروك الحديث، توفي
سنة ١٤٦ هـ. انظر التاريخ الكبير (١/١٠١)، والمجروحين (٢/٣٥٣)، والوافي بالوفيات (٣/٨٣).

(٧) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، أبو الحسن الخراساني كبير المفسرين، على ضعف فيه واتهام،
توفي سنة نيف وخمسين ومائة. انظر سير أعلام النبلاء (٧/٢٠١-٢٠٢)، وطبقات المفسرين للأدنة وي
(٢٠).

(٨) ربيعة بنت سعد بن نعيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشية، انظر نسب قريش ص(١٧).

تغزل هي وجواربها من الغداة إلى الظهر، ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن^(١) وعن مجاهد: هذا فعل نساء أهل نجد، تنقض إحداهن غزلها، ثم تنفشه وتخلطه بالصوف فتغزله^(٢)، وقال ابن الأنباري^(٣): ربطة بنت عمرو المرية ولقبها الجفراء من أهل مكة وكانت معروفة عند المخاطبين^(٤)،^(٥) «.

♦ الدراسة والموازنة:

يقول تعالى ذكره ناهياً عبارة عن نقض الأيمان بعد توكيدها، وأمراً بوفاء العهود، وممثلاً ذلك بناقضة غزلها من بعد إبرامه وناكثته من بعد إحكامه: ولا تكونوا أيها الناس في نقضكم أيمانكم بعد توكيدها وإعطائكم الله بالوفاء بذلك العهود والمواثيق، وقد اختلف المفسرون في المراد بهذا المثل على قولين:

القول الأول:

أن المراد من ضرب المثل: امرأة معينة، ومعروفة عند المخاطبين؛ وللمفسرين فيها أقوال:

الأول: أنها امرأة حمقاء كانت بمكة تسمى ربطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة كانت تفعل ذلك فيها وقع التشبيه، قاله الفراء^(١)، وحكاها عبدالله بن كثير والسدي^(٢) ولم يسميا المرأة.

(١) انظر معالم التنزيل للبغوي (٩٣/٣).

(٢) انظر معالم التنزيل للبغوي (٩٣/٣).

(٣) محمد بن القاسم بن بشار، أبو بكر الأنباري، أعلم أهل زمانه بالنحو والأدب، سمع من ثعلب، وكان أحفظ من تقدم من الكوفيين، توفي سنة ٣٢٨هـ، انظر تاريخ بغداد (١٨١/٣)، البداية والنهاية لابن كثير (١٦٥/١١).

(٤) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٣٦٩/٤).

(٥) البحر المحيط (٥١٤/٥)، والنهر الماد (٥٢٩/٥).

(٦) معاني القرآن للفراء (١١٣/٢)، النكت والعيون للهاوردي (٢١١/٣).

(٧) سبق توثيقه انظر ص ١٨٧.

والثاني: أن هذا فعل نساء من أهل نجد، تنقض إحداهن حبلها، ثم تنفشه ثم تخلطه بالصوف فتغزله^(١)، وقد حكاه هذا القول من المفسرين: (النحاس، والسمرقندي، والماوردي والواحدي، والبغوي، والزنجشري، والقرطبي، والنسفي، وابن عادل الحنبلي، والطاهر بن عاشور)^(٢).

القول الثاني:

أن ذلك لضرب المثل، لا على امرأة، وهو قول مجاهد^(٣) وقتادة^(٤) وابن زيد^(٥) هذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد حكاه من المفسرين: (ابن عطية، والفخر الرازي، القرطبي، وابن كثير، وابن عادل الحنبلي، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي والسعدي، والمراغي، ومحمد نسيب الرفاعي)^(٦) (١).

(١) انظر في ذلك كله الترتيب التالي: (معاني القرآن للنحاس (٤/١٠٢)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/٢٨٩)، النكت والعيون للماوردي (٣/٢١١)، الوسيط للواحد (٣/٨٠)، معالم التنزيل للبغوي (٣/٩٣)، الكشف للزنجشري (٣/٤٦٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/١١٢)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦٠٣)، الباب لابن عادل (١٢/١٤٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/٢٦٤).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٤/١٩٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤١٨).

(٣) محمد نسيب بن عبد الرزاق بن محي الدين الرفاعي، أبو غزوان، مفسر، فقيه، داعية، كان رفاعي الطريقة ثم أصبح سلفياً كان عَفَّ اللسان رحب الصدر، متسامح حتى مع خصومه، وكان فصيح العبارة، بديع الإلقاء بالشعر توفي سنة ١٤١٣ هـ، انظر ذيل الأعلام للعلاونة (٣/٢٠٥)، مقدمة مجموعة رسائل محمد نسيب الرفاعي ص (١٠).

(٤) انظر على الترتيب: المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤١٨)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/٨٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/١١٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٣٩٧)، الباب لابن عادل (١٢/١٤٨)، فتح القدير للشوكاني (٣/٢٣٦)، روح المعاني (٧/٤٥٨)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/٥٤٥)، تيسير الكريم المنان للسعدي (٣/٥٥)، تفسير المراغي (٥/٢٥٢)، تيسير العلي القدير لمحمد نسيب الرفاعي (٢/٦٠٢).

﴿ الترجيح ﴾

الراجح - والله تعالى أعلم - هو قول أبي حيان ~ ومن وافقه من المفسرين وهو القول بعدم التعيين أي لا تكونوا في نقض الأيمان كالمرأة التي نكتت غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته، وذلك لأن:

١- أن المراد بالآية: المثل، وذلك لدلالة السياق، إذ في الآية السابقة لها النهي عن نقض الأيمان بعد توكيدها، والمراد بالمثل: الوصف دون التعيين لأن القصد بالأمثال صرف المكلف عنه إذا كان قبيحاً، والحث والدعوة إليه إذا كان حسناً وذلك يتم به من دون التعيين^(١).

٢- أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(١) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/٨٧).

قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَنَخِّذُوا أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزَلَ قَدَمُ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا أَلْسَاءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١) وفيها مسألة واحدة:

[٧] المسألة: هل ورد تكرار عن اتخاذ الأيمان دخلاً؟

رجح أبو حيان ~ بأنه لم يتكرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلاً، وإنما جاء النهي الإنشائي المستأنف عن اتخاذ الأيمان دخلاً على العموم؛ حيث قال أبو حيان ~ : « قالوا: كرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلاً^(١) تهماً بذلك ومبالغة في النهي عنه لعظم موقعه في الدين، قال ابن عطية: وتردده في معاملات الناس^(٢)، وقال الزمخشري: تأكيداً عليهم وإظهاراً لعظم ما يرتكب منه^(٣)، انتهى. وقيل: إنما كرر لاختلاف المعنيين، لأن الأول نهى فيه عن الدخول في الحلف، ونقض العهد بالقلة والكثرة وهنا نهى عن الدخول في الأيمان التي يراد بها اقتطاع حقوق، فكأنه قال ﴿دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ لتوصلوا بها إلى قطع أموال المسلمين^(٤)، وأقول: لم يتكرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلاً، وإنما سبق إخبار بأنهم اتخذوا أيمانهم دخلاً معللاً بشيء خاص وهو: ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ وجاء النهي بقوله: ﴿وَلَا تَنَخِّذُوا﴾ استئناف إنشاء عن اتخاذ الأيمان دخلاً على العموم، فيشمل جميع الصور من الحلف في المبايعه، وقطع الحقوق المالية وغير ذلك^(٥) ».

(١) سورة النحل: آية ٩٤.

(٢) الدَّخْلُ: محرّكة: ما داخلك من فساد في عقل أو جسم، وقد دَخَلَ كَفَرِحَ وَعُنِيَ دَخَلًا وَدَخَلًا، والغدر والمكر والداء والخديعة والعيب في الحسب، والشجر الملتف والقوم الذين ينتسبون إلى من ليسوا منهم، القاموس المحيط للفيروز لأبادي ص (٨٩٨)، الصحاح للجوهري (٢/ ١٢٧٢)، وقال الراغب الأصفهاني الدَّخْلُ: كناية عن الفساد والعداوة المستبطنه كالدغل، مفردات ألفاظ القرآن ص (٣٠٩)، وقيل الدخول أعم من الدغل فالدغل يدل على التباس والتواء من شيئين يتداخلان. انظر الترجمان عن غريب القرآن لأبي المحاسن البيهقي ص (٢٠٤).

(٣) المحرر الوجيز (٣/ ٤١٩).

(٤) الكشف (٣/ ٤٧١).

(٥) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٧١)، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ٨٩).

(٦) البحر المحيط (٥/ ٥١٥)، وانظر النهر الماد (٥/ ٥٣١).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون هل تكرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلاً أم لم يرد على أقوال: منها:-

القول الأول:

أنه ورد تكرر وكان تهماً ومبالغة في النهي عن الأيمان، لعظم موقعه من الدين وتردده في معاشرات الناس، وأن هذا التكرار للتأكيد عليهم وإظهاراً لعظم ما يتركب منه واختاره: (الزمخشري، وابن عطية، والقرطبي، والنسفي، وأبو السعود، والبيضاوي^(١)، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور والقاسمي^(٢)).

القول الثاني:

أنه بعد أن حذر من النهي عن نقض العهود والأيمان على الإطلاق كرر النهي عن أيمان مخصوصة وهي أيمان الخديعة، واختاره: (ابن الجوزي، والفخر الرازي، وابن عادل، والمراغي^(٣)).

القول الثالث:

إنه لم يتكرر النهي فإن ما سبق إخبار بأنهم اتخذوا أيمانهم دخلاً معللاً بشيء خاص وهو أن تكون أمة هي أربى من أمة وجاء النهي المستأنف الإنشائي عن اتخاذ الأيمان دخلاً على العموم فيشمل جميع الصور من الحلف في المبايعة وقطع الحقوق المالية وغير ذلك وانفرد أبو حيان ~^(٤) بهذا الرأي.

(١) عبدالله بن عمرو بن محمد الشيرازي، أبو سعيد البيضاوي، قاض، فقيه، أصولي، مفسر توفي سنة ٦٨٥ هـ، انظر طبقات الشافعية (٨/ ١٥٧)، طبقات المفسرين للدواودي (١/ ٢٤٨).

(٢) انظر ذلك على الترتيب: الكشف (٣/ ٤٧١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤١٩)، الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ١١٣)، مدراك التنزيل ص (٦٠٧)، إرشاد العقل السليم (٤/ ٨٩)، حاشية الشهاب (٥/ ٦٤٦)، حاشية القونوي (١١/ ٣٧٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٣٧)، روح المعاني للآلوسي (٧/ ٤٦٠)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٦٨)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٤٤).

(٣) انظر زاد المسير (٤/ ٣٧١)، مفاتيح الغيب (٢٠/ ٨٩)، اللباب لابن عادل (١٢/ ١٥١)، تفسير المراغي (٥/ ٢٥٤).

(٤) سبق توثيقه انظر الصفحة السابقة ص ١٩١ .

﴿ الترجيح ﴾

الراجح - والله أعلم - أنه ورد تكرر في الآية عن اتخاذ الأيمان دخلاً وذلك لأنه تصريح بالنهي بعد التضمن، أي: بعد النهي ضمناً بقوله ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾^(١) وكونه نهياً مستفاداً من جعله حالاً من فاعل لا تكونوا، فيكون هو قيداً للنهي، فلما ورد النهي على المقيد مع قيده يكون القيد دخلاً في حيز النهي، فإذا نهوا عن كونهم كالناقضة غزلها حال اتخاذهم أيمانهم دخلاً بينهم فقد نهوا في ضمنه، فكأنه قيل: ولا تنقضوا عهدكم بعد توكيدها بالأيمان، مشبهين بالناقضة غزلها أنكاثاً، متخذين إيمانكم دخلاً بينكم^(٢).

وقال الشهاب الخفاجي: (وقد اعترض عليه (التكرار) أبو حيان بأنه لم يتكرر النهي إذ ذكر أولاً على طريق الإخبار منهم بأنهم اتخذوا أيمانهم دخلاً معللاً بأمر خاص، وجاء النهي المستأنف الإنشائي عن اتخاذ الأيمان دخلاً على العموم ليشمل ما عداه من الحقوق المالية وغيرها، وردّ بأن قيد المنهي عنه منهي عنه، فليس إخباراً صرفاً ولا عموم في الثاني لأن قوله: (فتزل قدم....) إشارة إلى العلة السابقة إجمالاً لتقدم ذكرها كما أشار (البيضاوي) على أنه قد يقال: إن الخاص المذكور في ضمن العام أيضاً فلا محيص عن التكرار أيضاً، ولو سلم ما ذكره فتأمل)^(٣).

(١) سورة النحل: آية ٩٤.

(٢) حاشية القونوي (٣٧٣/١١)، وحاشية ابن التمجيد علي البيضاوي (٣٧٣/١١).

(٣) حاشية الشهاب علي البيضاوي (٦٤٦/٥).

قال - تعالى -: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١) وفيها مسألة واحدة:

[٨] المسألة الأولى: المراد بالحياة الطيبة، ومتى تكون؟

رجح أبو حيان ~ بأن الحياة الطيبة تكون في الحياة الدنيا؛ حيث قال أبو حيان ~ : « والظاهر من قوله - تعالى -: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ أن ذلك في الدنيا وهو قول الجمهور، ويدل عليه قوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم﴾ يعني في الآخرة، وقال الحسن^(٢) ومجاهد^(٣)، وابن جبير^(٤)، وقتادة^(٥)، وابن زيد^(٦): ذلك في الجنة، قال شريك^(٧)،^(٨) في القبر، وقال علي^(٩)، ووهب بن منبه^(١٠) وابن عباس^(١١) والحسن^(١٢) في رواية: هي القناعة، وعن ابن عباس^(١٣) والضحاك^(١٤): الرزق الحلال، وعنه أيضاً: السعادة^(١٥)، وقال

(١) سورة النحل آية: ٩٧.

(٢) انظر جامع البيان (٢٠٤ / ١٤)، معاني القرآن للنحاس (١٠٤ / ٤).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (٢٠٥ / ١٤)، النكت والعيون للماوردي (٢١٢ / ٣).

(٤) انظر جامع البيان (٢٠٥ / ١٤)، معاني القرآن للنحاس (١٠٤ / ٤)، معالم التنزيل للبغوي (٩٥ / ٣).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (٢٠٥ / ١٤)، النكت والعيون للماوردي (٢١٢ / ٣).

(٦) انظر جامع البيان (٢٠٥ / ١٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١٥ / ١٠).

(٧) شريك بن عبدالله النخعي الكوفي صدوق يخطئ كثيراً، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة مات سنة سبع أو ثمان وسبعين. انظر التقريب (٢٤٣ / ١).

(٨) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٣٧٢ / ٤).

(٩) انظر جامع البيان (٢٠٤ / ١٤)، بحر العلوم للسمرقندي (٢٩٠ / ٢).

(١٠) انظر تفسير يحيى بن سلام (٨٨ / ١)، الوسيط للواحدي (٨١ / ٣).

(١١) انظر معاني القرآن للنحاس (١٠٤ / ٤)، النكت والعيون للماوردي (٢١٢ / ٣).

(١٢) انظر جامع البيان (٢٠٤ / ١٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٣٧٢ / ٤)، معالم التنزيل للبغوي (٩٥ / ٣).

(١٣) انظر جامع البيان (٢٠٣ / ١٤)، معاني القرآن للنحاس (١٠٣ / ٤).

(١٤) انظر تفسير ابن كثير (٥٨٥ / ٢)، الجامع للقرطبي (١٢١٥ / ١٠)، بحر العلوم (٢٩٠ / ٢).

(١٥) انظر جامع البيان (٢٠٤ / ١٤)، الدر المنثور للسيوطي (١٤٤ / ٥).

عكرمة^(١): الطاعة، وقال قتادة: الرزق في يوم بيوم، وقال إسماعيل بن أبي خالد^(٢)،^(٣): الرزق الطيب والعمل الصالح.

قال أبو بكر الورّاق^(٤)،^(٥): حلاوة الطاعة وقيل العاقبة والكفاية وقيل الرضا بالقضاء ذكرهما الماوردي^(٦)، وقال الزمخشري: المؤمن مع العمل الصالح إن كان موسراً، فلا مقال فيه، وإن كان معسراً فمع ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله -تعالى-، والفاجر إن كان معسراً فلا إشكال في أمره، وإن كان موسراً فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه^(٧)، وقال ابن عطية: طيب الحياة للصالحين بانبساط نفوسهم، ونبيلها وقوة رجائهم، والرجاء للنفس أمر ملذ، وبأنهم احتقروا الدنيا فزالت همومها عنهم، فإن أنضاف إلى هذا مال حلال وصحة وقناعة، فذاك كمال وإلا فالطيب فيما ذكرنا راتب^(٨) «^(٩)».

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بالحياة الطيبة وأين تكون؟ على ثلاثة أقوال:

القول الأول:

أنها في الدنيا ولكن اختلفت أقوال المفسرين فيها على أوجه: فمنهم من قال هي:

- (١) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ٨١).
- (٢) إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي مولا هم، البجلي، ثقة، ثبت من الرابعة، مات سنة ست وأربعين. انظر التقريب للحافظ بن حجر (١/ ٥٠).
- (٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٧٢).
- (٤) محمد بن يحيى بن سليمان بن زيد بن زياد المروزي، أبوبكر الوراق، نزيل بغداد، وصاحب أبي عبيد توفي ٢٩٨ هـ، تهذيب الكمال (٢٦/ ٦١٢).
- (٥) انظر معالم التنزيل للبخاري (٣/ ٩٥)، الجامع القرطبي (١٠/ ١١٥).
- (٦) انظر النكت والعيون (٣/ ٤٧٢).
- (٧) انظر الكشف (٣/ ٤٧٢).
- (٨) انظر المحرر الوجيز (٣/ ٤١٩).
- (٩) انظر البحر المحيط (٥/ ٥١٧)، وانظر النهر الماد (٥/ ٥٣١).

القناعة، ومنهم من قال: هي الرزق الحلال، ومنهم من قال: هي السعادة ومنهم من قال: هي الطاعة، ومنهم من قال: هي رزق يوم بيوم، ومنهم من قال: هي الرزق الطيب والعمل الصالح، ومنهم من قال: هي العافية والكفاية، ومنهم من قال: هي الرضا بالقضاء، وعلى اختلاف أقوال المفسرين إلا أنها كلها تعود على أنها في الحياة الدنيا؛ بدليل أنه - تعالى - أعقبه بقوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ولا شبهة في أن المراد منه ما يكون في الآخرة.

وعلى هذا جمهور المفسرين^(١) على اختلافهم في أنواع الأوجه وهو ما رجحه أبو حيان ~ .

القول الثاني:

أنها تكون في الآخرة قاله: (الحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن زيد)^(٢) وذلك إنما يكون في الجنة، وقد اختاره: السمرقندي^(٣)، والدليل قوله - تعالى -: ﴿يَتَأْتِيَهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا فَمَلَأَ قَبْلُهَا﴾^(٤)، فبين أن هذا الكدح باق إلى أن يصل إلى ربه وذلك ما قلناه وأما بيان أن الحياة الطيبة في الجنة، فلأنها حياة بلا موت، وغنى بلا فقر، وصحة بلا مرض، وملك بلا زوال، وسعادة بلا شقاء، فثبت أن الحياة الطيبة ليست إلا تلك الحياة.

(١) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (٢٠٥ / ١٤)، الوسيط للواحدي (٨١ / ٣)، الكشف للزمخشري (٤٧٢ / ٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤١٩ / ٣)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦٠٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦٠٣ / ٢)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (١٥٤ / ١٢)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٩١ / ٤)، حاشية الشهاب (٦٤٨ / ٥)، حاشية القونوي (٣٧٧ / ١١)، فتح القدير للشوكاني (٢٣٩ / ٣)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧٣ / ٦)، محاسن التأويل للقاسمي (٥٤٦ / ٤).

(٢) سبق توثيقه في أصل المسألة، ص ١٩٤ .

(٣) انظر بحر العلوم (٢٩٠ / ٢)، روح المعاني للألوسي (٤٦٣ / ٧).

(٤) سورة الانشقاق: آية ٦.

القول الثالث:

أنها في القبر، وهذا قول شريك^(١)، وقال به: السدي^(٢).

القول الرابع:

أن أهل الإيمان والعمل الصالح لهم الجزاء في الدنيا الحياة الطيبة والحسنى يوم القيامة فلهم أطيب الحياتين. فهم أحياء في الدارين، وقد اختاره: ابن القيم^(٣)، والطاهر بن عاشور^(٤).

الترجيح: ♦

الراجح - والله تعالى أعلم - هو القول: بأن لهم الحياة الطيبة في الحياتين، وذلك لأن المقصود من ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ﴾: ينبي: بيان نوع الحياة بقوله - تعالى -: ﴿حَيَوَةً طَيِّبَةً﴾ وذلك المصدر هو المقصود: أي لنجعلن له حياة طيبة، وابتدئ الوعد بإسناد الإحياء إلى ضمير الجلالة تشريعاً له كأنه قيل: فله حياة طيبة منا، ولما كانت حياة الذات لها مدة معينة كثر إطلاق الحياة على مدتها فوصفها بالطيب بهذا الاعتبار، أي طيب ما يحصل فيها، فهذا الوصف مجاز عقلي، أي: طيباً ما فيها، ويقارنها من الأحوال العارضة للمرء في مدة حياته، فمن مات من المسلمين الذين عملوا صالحاً، عوضه الله عن عمله ما فاته من وعده، ويفسر هذا المعنى: ما ورد: في الصحيح عن خباب بن الارت^(٥) قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ

(١) سبق توثيقه ص ١٩٤ .

(٢) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠ / ٩١).

(٣) ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبدالله، شمس الدين، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيميه وسجن معه توفي سنة ٧١٥ هـ، انظر الوافي بالوفيات (٢ / ٢٧١)، شذرات الذهب (٨ / ٢٨٧).

(٤) انظر بدائع التفسير (٣ / ٥٠).

(٥) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦ / ٢٧٣).

(٦) خباب بن الارت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد التميمي، أبو عبدالله، قيل مولى أم أنمار بنت سباع الخزاعية من السابقين للإسلام، وكان يعذب في الله، شهد بدرًا توفي سنة ٣٧ هـ بالكوفة. انظر

نبغي بذلك وجه الله فوجب أجرنا على الله فمنا من مضى لم يأكل من أجره شيئاً، كان منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد، فلم يترك ألا نمرة، كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطي بها رجلاه خرج رأسه، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهد بها^(١)، والطيب ما يطيب ويحسن، وضد الطيب الخبيث والسيئ، وهذا وعد بخيرات الدنيا، وأعظمها الرضى بما قسم لهم من أملهم بالعاقبة والصحة والعافية وعزة الإسلام في نفوسهم... وقد عقب بوعده جزاء الآخرة بقوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، فأختص هذا بأجر الآخرة، بالقرينة بخلاف نظيره المتقدم آنفاً فإنه عام في الجزائيين^(٢)، وإما القول بأن الواو في قوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ يقتضي المغايرة فهذا ليس على إطلاقه لأنه من باب المغايرة في الصفات وليس في الذات ولا مانع من وصفه الحياة الطيبة.



= الإصابة (٢/٢٥٨).

(١) أخرجه البخاري كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٣/١٤٢٥)، صحيح

مسلم كتابه الجنائز باب في كفن الميت (٢/٦٤٩).

(٢) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/٢٧٣).

قال - تعالى -: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (١)، وفيها مسألتان:

[٩] المسألة الأولى: موضع الاستعاذة عند القراءة.

رجح أبو حيان ~ أن محل الاستعاذة يكون قبل القراءة بخلاف ظاهر الآية؛ حيث قال أبو حيان ~ : « والظاهر تعقب^(١) الاستعاذة، وقد روى ذلك بعض الرواة عن حمزة^(٢) وروى عن ابن سيرين^(٣) أنه قال: كلما قرأت الفاتحة حين تقول: آمين فاستعد^(٤)، وروى عن أبي هريرة^(٥) ومالك^(٦) وداود^(٧) : تعقبها القراءة

(١) سورة النحل: آية ٩٨.

(٢) في المطبوع (بعقب) والأصح ما أثبتته في الأصل.

(٣) حمزة بن حبيب الزيات القارئ، أبو عمارة الكوفي التميمي مولا هم، صدوق زاهد ربما وهم، مات سنة ١٥٦ هـ. انظر التقريب لأبن حجر (١/٣٩).

(٤) محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر ابن أبي عمرة البصري، ثقة ثبت، كبير القدر كان لا يرى الرؤية بالمعنى مات سنة ١١٠ هـ. انظر التقريب لأبن حجر (٢/٥٢٢).

(٥) انظر مصنف عبدالرزاق (٢/٨٦)، مصنف ابن أبي شيبة (١/٢٦٩).

(٦) انظر الوسيط الواحدي (٣/٨٣)، الجامع القرطبي (١٠/١١٥)، زاد المسير لأبن الجوزي (٤/٣٧٣).

(٧) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي الحميري أبو عبدالله المدني، الفقيه، إمام دار الهجرة من كبار أتباع التابعين توفي سنة ١٧٩ هـ، انظر التهذيب (١٠/٥)، الكاشف (٢/٢٣٤).

(٨) قال ابن العربي: من أغرب ما وجدناه قول مالك في المجموعة في تفسير هذه الآية: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ .. ﴾ الآية قال ذلك بعد قراءة أم القرآن، من قرأ في الصلاة، وهذا لم يرد به أثر ولا يعضده نظر، فإذا كان هذا كما قال بعض الناس: إن الاستعاذة كان تخصيص ذلك بقراءة أم القرآن في الصلاة دعوى عريضة ولا تشبه أصل مالك ولا فهمه فالله أعلم بسر هذه الرواية. أحكام القرآن (٣/١٥٩).

(٩) داود بن علي بن حلف الأصبهاني الفقيه الظاهري أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام تنسب إليه الطائفة الظاهرية، وسمو بأهل الظاهرية لأخذهم بظاهر الأدلة، وإعراضهم عن القياس، توفي سنة ٢٧٠ هـ.

تاريخ بغداد (٨/٣٦٩)، الأنساب (٤/٩٩)، وفيات الأعيان (١/١٧٥)، تذكرة الحفاظ (٢/١٣٦).

(١٠) انظر تفسير ابن كثير (٢/٣٥٩)، الجامع للقرطبي (١٠/١١٥).

كما روي عن حمزة^(١) والجمهور^(٢) على ترك هذا الظاهر، وتأويله بمعنى: فإذا أردت القراءة، قال الزمخشري^(٣): لأن الفعل يوجد عند القصد والإرادة بغير فاصل، وعلى حسبه فكان بسبب قوي وملابسة ظاهرة، كقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾^(٤)، وكقوله: "إذا أكلت فسم الله"^(٥)، وقال ابن عطية: - فذلك - وصلة بين الكلام والعرب تستعملها في مثل هذا، وتقدير الآية: فإذا أخذت في قراءة القرآن فاستعد^(٦)»^(٧).

♦ الدراسة والموازنة:

أمر الله نبيه محمد ﷺ بأن يستعين الله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن، ولكن اختلف العلماء في موضع الاستعاذه عند القراءة على قولين:

القول الأول:

أن ظاهر قوله - تعالى -: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٨)، أن الاستعاذه تكون بعد القراءة، وقد قال بذلك من الصحابة رضي الله عنهم أبو هريرة^(٩)، ونسب ذلك لمالك^(١٠)، وقال به ابن سيرين^(١١)، وحمزة^(١٢)، وداود^(١٣).

(١) انظر الدر المصون (٧/٢٨٦)، اللباب لأبن عادل (١٢/١٥٥)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/٩١).

(٢) انظر الوسيط للواحدي (٣/٨٣)، الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب (١/٩)، والنشر لابن الجزري (١/٢٥٤).

(٣) انظر الكشف (٣/٤٧٢).

(٤) سورة المائدة: آية ٦.

(٥) تخريج الحديث: مسند الإمام أحمد (٤/٢٦)، وقال شعيب الأرئوط: حديث صحيح، وقال الألباني: صحيح. انظر السلسلة الصحيحة (١/٦٧٧).

(٦) انظر المحرر الوجيز (٣/٤٢٠).

(٧) انظر البحر المحيط (٥/٥١٧).

(٨) سورة النحل: آية ٩٨.

(٩) سبق توثيقه انظر ص ١٩٩.

وإبراهيم النخعي (١) وأبو حاتم السجستاني (٢).

القول الثاني:

أن الاستعاذه تكون قبل القراءة، وهذا الذي عليه جمهور المفسرين (٣)، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ .

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - أن محل الاستعاذه قبل القراءة وهو ما رجحه أبو حيان ~ وذلك:

- ١- اتفاق جميع أصحاب المعاني على أن معنى الآية: إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعد، ليس معناه استعد بعد أن تقرأ القرآن، ومثله [إذا أكلت فقل بسم الله] (٤).
- ٢- قال الكيا الطبري (٥): ونقل عن بعض السلف: التعوذ بعد القراءة مطلقاً احتجاجاً

(١) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو النخعي، أبو عمران الكوفي، فقيه أهل الكوفة، كان عجباً في الورع والخير، رأساً في العلم توفي سنة ١٩٦ هـ انظر تهذيب التهذيب (١/١٥٥)، الكاشف للذهبي (١/٢٢٧).

(٢) انظر مصنف عبدالرزاق (٢/٨٧).

(٣) أبو حاتم السجستاني: سهل بن محمد بن عثمان النحوي المقرئ البصري، كان صدوقاً من أعلم الناس بالأصمعي، توفي سنة ٢٥٥ هـ، انظر التهذيب (٤/٢٢٦)، الكاشف (١/٤٧٠).

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٢/٣٩٩)، النشر لابن الجزري (١/٢٥٤)، زاد المسير (٤/٣٧٣).

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/٢١٨)، معاني القرآن للنحاس (٤/١٠٥)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/٢٩١)، النكت والعيون للماوردي (٣/٢١٣)، الوسيط للواحد (٣/٨٣)، معالم التنزيل للبخاري (٣/٩٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٢٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٤/٣٧٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/١١٥)، اللباب لابن عادل (١٢/١٥٥)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/٩١)، فتح القدير للشوكاني (٣/٢٣٩)، روح المعاني للألوسي (٧/٤٦٥)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/٢٧٥)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/٥٤٧).

(٦) سبق تخريجه في ص ٢٠٠.

(٧) علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الشهير بـ (الكيا الهراسي) فقيه شافعي، مفسر، والكيا في اللغة

بقوله - تعالى -: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ ^(١) ولا شك أن ظاهر ذلك يقتضي أن تكون الاستعاذة بعد القراءة؛ كقوله - تعالى -: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا﴾ ^(٢)، إلا أن غيره محتمل مثل قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ ^(٣) وقوله ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ ^(٤)، وليس المراد به أن يسألها من وراء حجاب بعد سؤال متقدم، ومثله قول القائل: إذا قلت فاصدق، وإذا أحرمت فاغتسل، يعني قبل الإحرام، والمعنى في جميع ذلك: إذا أردت ذلك، فكذلك الاستعاذة ^(٥).

٣- يعضد هذا المعنى ما روي عن جبير بن مطعم ^(٦) عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ حين افتتح الصلاة قال: (اللهم أني أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفخه ونفثه) ^(٧)، وروى أبو سعيد الخدري ^(٨): أن النبي ﷺ كان يتعوذ في صلاته قبل القراءة ^(٩)، قال ابن حزم ^(١٠): إلا أنه صح إجماع جميع قراءة أهل الإسلام جيلاً بعد جيل على الابتداء بالتعوذ

= الأعجمية: الكبير القدر، الهراسي: فارسية بمعنى الذعر، توفي سنة ٥٠٤هـ، انظر طبقات الشافعية للأسنوي (٢/ ٢٩٢)، شذرات الذهب (٤/ ٨).

- (١) سورة النحل آية: ٩٨.
- (٢) سورة النساء آية: ١٠٣.
- (٣) سورة الأنعام: آية ١٥٢.
- (٤) سورة الأحزاب: آية ٥٣.
- (٥) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١١٥).
- (٦) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل القرشي النوفلي، كان من أكابر وعلماء النسب، أسلم قبل فتح مكة ومات في خلافة معاوية رضي الله عنه. سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين. انظر الإصابة (١/ ٤٦٢).
- (٧) أخرجه أبو داود حديث رقم (٧٦٤)، وابن ماجه (٨٠٧)، وأحمد (٤/ ٨٥) وصححه الحاكم (١/ ٢٣٥) ووافقه الذهبي.
- (٨) أبو سعيد الخدري، سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الأنصاري، مشهور بكنيته، من المكثرين في الرواية، من أصحاب الشجرة، فقيه، نبيل، توفي بالمدينة سنة ٦٣ أو ٦٤ أو ٦٥هـ. انظر الإصابة (٣/ ٧٨).
- (٩) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٥٠)، وأبو داود (٢/ ٤٧٧)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢/ ٥١).
- (١٠) أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الأندلسي الظاهري، الإمام العلامة الحافظ الفقيه المجتهد صاحب التصانيف، كان شافعيًا ثم انتقل إلى القول بالظاهر ونفى القول بالقياس وتمسك بالعموم، وكان

قبل الأخذ في القراءة مُبلِّغًا إلينا من عهد رسول الله ﷺ فهذا قاض على كل ذلك^(١).
 إن المعنى في الاستعاذة عند ابتداء القراءة: لئلا يلبس على القارئ قراءته ويخلط
 عليه، ويمنعه من التدبر والتفكير؛ ولهذا ذهب الجمهور إلى أن الاستعاذة إنما تكون قبل
 التلاوة^(٢).



= صاحب فنون فيه دين وتورع وتزهد وتحمل للصدق. توفي سنة ٤٥٦ هـ. انظر تذكرة الحفاظ للذهبي
 (١١٤٦/٣).

(١) المحلى (٢/٢٨١).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٢/٣٩٩).

[١٠] المسألة الثانية: حكم الاستعاذة.

رجح أبو حيان ~ أن حكم الاستعاذة مستحب؛ حيث قال أبو حيان ~ : «
أمر بالاستعاذة فالجمهور على الندب^(١)، وعن عطاء^(٢)،^(٣) الوجوب^(٤)».

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف العلماء في حكم الاستعاذة عند قراءة القرآن على قولين:

القول الأول:

أنها مستحبة قبل قراءة القرآن الكريم، سواء كان ذلك في الصلاة أو خارجها، وهذا مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والمفسرين^(٥)، وهذا الذي رجحه أبو حيان ~ .

القول الثاني:

أنها واجبة في الصلاة وغيرها، روي ذلك عن عطاء^(٦)،

(١) انظر المبسوط للسرخسي (١/١٣)، والمحزر الوجيز لابن عطية (١/٥٨).

(٢) عطاء ابن أبي رباح، واسم أبي رباح: أسلم القرشي، مولاهم المكي، ثقة فقيه فاضل، لكنه كثير الإرسال، روى له الجماعة مات سنة ١١٤ هـ مع المشهور، وقيل: إنه تغير بآخره، ولم يكن ذلك منه، التقريب (٢/٢٧).

(٣) انظر المحزر الوجيز لابن أبي عطية (٣/٤٢٠)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/٩١)، اللباب لابن عادل (١٢/١٥٥)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/٩١)، فتح القدير للشوكاني (٣/٢٤٠)، روح المعاني للألوسي (٧/٤٦٥).

(٤) البحر المحيط (٥/٥١٧).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٤/٢٠٧)، المحزر الوجيز لابن عطية (٣/٤٢٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٤/٣٧٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/٩١)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٣٩٩)، اللباب لابن عادل (١٢/١٥٥)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/٩١)، فتح القدير للشوكاني (٣/٢٤٠)، روح المعاني للألوسي (٧/٤٦٥).

(٦) سبق توثيقه انظر نفس الصفحة هامش (٣) .

وابن حزم^(١)، وجميع الظاهرية.

♦ الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - أن حكم الاستعاذة مستحب، وأما الأمر في الآية فمحمول على الندب، ويؤيده الإجماع، قال السرخسي^(٢) بعد أن ذكر قول عطاء: (هو مخالف لإجماع السلف، فقد كانوا مجمعين على أنها سنة)^(٣).



(١) انظر المحلى (٣/٣١٨/٣٢٢).

(٢) محمد بن أحمد بن أبي سهل، أبو بكر السرخسي، كان من كبار فقهاء الحنفية، أصولياً، مناظراً من المجتهدين في المسائل. توفي سنة ٤٩٠ هـ. انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٤/١١٦)، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٨/٢٦٤).

(٣) المبسوط (١/١٣)، المغني لابن قدامة (١/٥٥٤)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٢٠).

قال -تعالى-: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(١)
وفيها مسألة واحدة:

[١١] المسألة: المراد بالسلطان في الآية.

رجح أبو حيان ~ أن المراد من السلطان هو التسلط والولاية، وأخذ بظاهر النص ونفى التسلط مطلقاً؛ حيث قال أبو حيان ~ : « ونفى -تعالى- سلطان الشيطان عن المؤمنين، والسلطان هنا: التسلط والولاية، والمعنى: أنهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته، كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾^(٦٥)، وكما أخبر -تعالى- فقال في قصة أوليائه: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾^(١)، وقيل المراد بالسلطان: الحجة، وظاهر الأخبار انتفاء سلطنته على المؤمنين مطلقاً^(٢)، وقيل: ليس له عليهم سلطان لاستعاذتهم منه، وقيل: ليس له قدرة أن يحملهم على ذنب^(٣).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بالسلطان في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، على قولين:

-
- (١) سورة النحل: آية ٩٩.
 - (٢) سورة الإسراء: آية ٦٥.
 - (٣) سورة إبراهيم: آية ٢٢.
 - (٤) نفى أبو حيان تسلط الشيطان مطلقاً، وتُعقب بأنه إذا لم يكن له تسلط فلم أمروا بالاستعاذة منه، روح المعاني (٧/ ٤٦٥)، وقاله القرطبي: وقد بينا أن هذا عامٌ يدخله التخصيص، وقد أغوى آدم وحواء عليهما السلام بسلطانه، وقد شوش على الفضلاء أوقاتهم بقوله من خلق ربك، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١٦/١٠).
 - (٥) البحر المحيط (٥/ ٥١٧ - ٥١٨)، انظر النهر الماد (٥/ ٥٣٤).

القول الأول:

أن المراد بالسلطان: التسلط، وللمفسرين فيه عدة أوجه:

أحدها: ليس له عليهم سلطان بحال؛ لأن الله صرف سلطانه عنهم بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (٤٢) ^(١)، والثاني: ليس له عليهم سلطان لاستعاذتهم منه، الثالث: ليس له قدرة على أن يحملهم على ذنب لا يغفر، وقد اختار هذا القول من المفسرين: (الزخشري، وابن عطية، والقرطبي، والنسفي، والشهاب الخفاجي، والقونوي والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والسعدي، والمراغي) ^(٢) وهذا ما رجحه أبو حيان ~ إلا أنه نفى تسلطه مطلقاً، وتعقب بأنه إذا لم يكن له تسلط فلم أمروا بالاستعاذة منه ^(٣).

القول الثاني:

أن المراد بالسلطان: الحجة، فالمعنى: ليس له حجة على ما يدعوهم إليه من المعاصي، قاله: مجاهد، واختاره: (الطبري، والنحاس، وأبو الليث السمرقندي، والبغوي) ^(٤).

(١) سورة الحجر: آية ٤٢.

(٢) انظر ذلك على الترتيب: الكشف للزخشري (٣/٤٧٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٢٠)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/١١٦)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦٠٨)، واللباب لابن عادل (١٢/١٥٦)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/٩١)، حاشية الشهاب (٥/٦٥٠)، حاشية القونوي (١١/٣٨٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/٢٤٠)، روح المعاني للآلوسي (٧/٤٦٥)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/٢٧٩)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/٥٤٧)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/٥٨)، تفسير المراغي (٥/٢٥٧).

(٣) انظر روح المعاني (٧/٤٦٥).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (٤/٢٠٧)، معاني القرآن للنحاس (٤/١٠٥)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/٢٩١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/٩٦).

﴿ الترجيح: ﴾

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين أن المراد بالسلطان في قوله سبحانه و- تعالى -: ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ ﴾ (١) هو سلطان التسلط والولاية، ويكون معنى الآية أي ليس له تسلط وقدرة على المؤمنين بالإغواء والكفر، لأنهم في حمى الرحمن ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ ﴾ أي إنما تسلطه وسيطرته على الذين يطيعونه ويتخذونه ولياً (٢). ونفي سلطان الشيطان مشروط بأمرين:

الإيمان والتوكل، قال - تعالى -: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٣)، والسلطان: مصدر بوزن الغفران، وهو التسلط والتصرف المكين، فالمعنى: أن الإيمان مبدأ لتوهين سلطان الشيطان في نفس المؤمن، فإذا انضم إليه التوكل على الله اندفع سلطان الشيطان عن المؤمن المتوكل (٤).

(١) سورة النحل: آية ١٠٠.

(٢) انظر معاني القرآن للنحاس (١٠٥/٤).

(٣) سورة النحل: آية ٩٩.

(٤) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧٩/٦).

قال -تعالى-: ﴿إِنَّمَا سُلْطَنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾^(١)
وفيها مسألة واحدة:

[١٢] المسألة: مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن مرجع الضمير يعود إلى إبليس، أي: والذين هم بإشراكهم إبليس في العبادة مشركون بالله؛ حيث قال أبو حيان ~: «والضمير في ﴿بِهِ﴾ عائد على ﴿رَبِّهِمْ﴾»، وقيل: على الشيطان، وهو الظاهر لاتفاق الضمائر، والمعنى: والذين هم بإشراكهم إبليس مشركون بالله، أو تكون الباء للسببية، والأمر بالاستعاذة تقتضي أنها تصرف كيد الشيطان، كأنها متضمنة التوكل على الله والانقطاع إليه^(٢).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في هاء الكناية في قوله -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ على قولين:

القول الأول:

أنها ترجع إلى الله -تعالى- وأن الباء للتعدي، ورجح لموافقة الاستعمال، قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾^(٣) وغير ذلك من نظائره، وقد اختار هذا القول: (الطبري، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزخشري، والقرطبي، وأبو السعود، والشهاب الخفاجي، والقونوي، والشوكاني)^(٤).

(١) سورة النحل: آية ١٠٠.

(٢) انظر البحر المحيط (٥/٥١٨).

(٣) سورة النساء: آية ٤٨.

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٤/٢٠٩)، معاني القرآن للنحاس (٤/١٠٥)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/٢٩١)، الوسيط للواحدي (٣/٨٤)، معالم التنزيل للبغوي (٣/٩٦)، الكشاف للزخشري (٣/٤٧٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/١١٦)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/٩٢)، حاشية الشهاب (٥/٦٥٠)، حاشية القونوي (١١/٣٨٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/٢٤٠).

القول الثاني:

أنها ترجع للشيطان، لتتحد الضمائر، وأن الباء للسببية فالمعنى: الذين هم من أجله مشركون بالله، ولم يرد أنهم بإبليس كافرون، ولو كانوا هكذا لكانوا مؤمنين، وإنما أراد به الذين هم من أجله مشركون بالله - تعالى - كما يقال: صار فلان ذلك عالماً، أي: من أجلك^(١)، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وعلى ذلك باتفاق الضمائر، واختاره من المفسرين: (ابن عطية، والسمين الحلبي، وابن عادل، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والمراغي)^(٢).

القول الثالث:

إن اللفظ الكريم يحمل كلا المعنيين، على أن يراد كل معنى على حده ولا يجمع بينهما وهذا ما اختاره القاسمي^(٣).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو القول بأن كلا المعنيين يحتملها اللفظ، ويصح إرادته فيجوز أن يراد كل معنى على حده، ولا يجمع بينهما، فيكون اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، والقرآن حمال ذو وجوه ومعاني كثيرة.

(١) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/٢٩١).

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٢٠)، الدر المصون للسمين (٧/٢٨٦)، الباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٢/١٥٦)، روح المعاني للآلوسي (٧/٤٦٦)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/٢٧٩)، تفسير المراغي (٥/٢٥٧).

(٣) انظر محاسن التأويل للقاسمي (١/٥٤٧).

قال - تعالى -: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١)، وفيها مسألة واحدة:

[١٣] المسألة: مرجع الضمير في قوله - تعالى -: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن مرجع الضمير في قوله - تعالى -: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يعود على المصادر المفهومة من الأفعال السابقة من الهجرة والجهاد والصبر؛ حيث قال أبو حيان ~ : « والضمير في ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ عائد على المصادر المفهومة من الأفعال السابقة أي: من بعد الفتنة والهجرة والجهاد والصبر"، وقال ابن عطية: والضمير في ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ عائد على الفتنة، أو الهجرة، أو التوبة، والكلام يعطيها، وإن لم يجر لها ذكر صريح^(١)»^(٢).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله - تعالى -: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن الضمير عائد على الفعلة، أي: من بعد فعلتهم هذه لغفور، أي: لذو ستر على ما كان منهم من إعطاء المشركين ما أرادوا من كلمة الكفر بألسنتهم، وهم لغيرها مضمرون، وللإيمان معتقدون، رحيم أن يعاقبهم عليها مع إنابتهم إلى الله وتوبتهم، قد اختار هذا القول: (الفراء، والطبري، والزجاج، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي)^(١).

(١) سورة النحل: آية ١١٠.

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٢٥).

(٣) انظر البحر المحيط (٥/ ٥٢٢).

(٤) انظر على الترتيب: معاني القرآن للفراء (٢/ ١١٤)، جامع البيان للطبري (١٤/ ٢١٨)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٢٠)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٢٩٤)، الوسيط للواحدي (٣/ ٨٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٩٩).

القول الثاني:

إن الضمير عائد على الفتنة وهو قول مقاتل^(١).

القول الثالث:

الضمير عائد على عدة أفعال، أي من بعد هذه الأفعال وهي الهجرة والجهاد والصبر وقد اختار هذا القول: (الزخشري، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والنسفي، وأبو السعود)^(٢).

القول الرابع:

إن الضمير عائد على الفتنة والهجرة والجهاد والصبر، هذا ما رجحه أبو حيان ~ وهذا مثل القول السابق، إلا أن أبا حيان قد عم وأضاف الفتنة وهو ما رجحه: (السمين الحلبي، وابن عادل الحنبلي)^(٣).

القول الخامس:

أن الضمير عائد على الفتنة أو على الفعلة أو الهجرة أو التوبة، وقال بهذا ابن عطية^(٤) وأضاف ذكر التوبة وإن لم يجر بها ذكر كما قال أبو حيان ~ .

(١) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٣٨٠ / ٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٠٢ / ٢)، وقد يعد هذا القول داخل في الأول لأن بعض المفسرين قال الفعللة وبعض قال الفتنة وبعضهم قال: أن الفعللة هي الإجابة إلى الفتنة، انظر تيسير العلي القدير للرفاعي (٦٠٧ / ٢).

(٢) انظر الكشف للزخشري (٤٧٧ / ٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٣٨٠ / ٤)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١٠١ / ٢٠)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦١٠)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٩٦ / ٤).

(٣) انظر الدر المصون للسمين الحلبي (٢٩٢ / ٧)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٧٠ / ١٢).

(٤) سبق توثيقه انظر ص ٢١١ .

﴿ الترجيح: ﴾

الراجح - والله أعلم - هو قول أبي حيان ~ وهو القول بالعموم في مرجع الضمير، وهي المصادر في هاجروا وجاهدوا واصبروا، وإن لم يذكر بعض المفسرين الفتنة لدخولها في الصبر^(١)، يقول الطاهر بن عاشور: وكل تلك الاحتمالات تشير إلى أن المغفرة والرحمة لهم جزاء على بعض تلك الأفعال أو كلها^(٢).

(١) انظر حاشية القونوي (٣٩٦/١١).

(٢) انظر التحرير والتنوير (٣٠١/٦).

قال - تعالى -: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (١١٢) ، وفيها مسألة واحدة:

[١٤] المسألة: المراد بالقرية:

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالقرية مكة؛ حيث قال أبو حيان ~ : « وعن ابن عباس ومجاهد وابن زيد وقتادة ^(١) : أن القرية المضروب بها المثل مكة، كانت لا تغزى ولا يغار عليها، والأرزاق تجلب إليها أنعم الله عليها بالرسول ﷺ فكفرت، فأصابها السنون والخوف، وسرايا الرسول وغزواته، ضربت مثلاً لغيرها مما يأتي بعدها، وهذا وإن كانت الآية مدنية، وإن كانت مكية فجوع السنين وخوف العذاب بسبب التكذيب، ويؤيد كونها مكية قوله - تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (١١٣) ، ويجوز أن يكون قرية من قرى الأولين، وعن حفصة ^(٢) ، ^(٣) : أنها مدنية، وقال ابن عطية: (يتوجه عندي أنها قصد بها قرية معينة، جعلت مثلاً لمكة على معنى التحذير لأهلها ولغيرها من القرى إلى يوم القيامة) ^(٤) ، وقال الزمخشري: (يجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن يكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها، فضر بها الله مثلاً لمكة إنذاراً من مثل عاقبتها) ^(٥) . انتهى، ولا يجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة،

(١) سورة النحل: آية ١١٢.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٤/ ٢٢٠-٢٢١)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٥)، الدر المنثور (١٥٣/٥).

(٣) سورة النحل: آية ١١٣.

(٤) حفصة بنت عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، هي أم المؤمنين، تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث من الهجرة توفت سنة ٤١ هـ انظر الإصابة (٧/ ٥٨١)، الطبقات الكبرى (٨/ ٨١).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٤/ ٢٢١)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٥)، الدر المنثور (١٥٣١٥).

(٦) انظر المحرر الوجيز (٣/ ٤٢٦).

(٧) انظر الكشف (٣/ ٤٧٨).

بل لابد من وجودها لقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١١٣) (١).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في القرية التي ذكرت في قوله - تعالى -: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ على أقوال منها:

القول الأول:

إن المراد بالقرية: مكة، كانت آمنة، لا يهاج أهلها، ولا يغار عليها، أنعم الله عليها بالنعمة العظيمة، وهو محمد ﷺ فكفروا به، وبالغوا في إيذائه، فسلط الله عليهم البلاء، وعذبهم بالجوع سبع سنين، والخوف، فكان يبعث إليهم السرايا فيغيرون عليهم، وهو قول: (ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد) (١) وقد اختاره: (الفراء، والطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، والقرطبي، وابن كثير، والطاهر بن عاشور، والسعدي، والمراغي) (٢) وهو ما رجحه أبو حيان ~ .

القول الثاني:

أن المراد بالقرية: المدينة، ومن ذلك ما روي عن حفصة: زوج النبي ﷺ أنها كانت خارجة من مكة إلى المدينة، فأخبرت أن عثمان قد قتل فرجعت وقالت: ارجعوا بي، فوالذي

(١) سورة النحل: آية ١١٣.

(٢) انظر البحر المحيط (٥/ ٥٢٤)، وانظر النهر (٥/ ٥٤١).

(٣) سبق توثيقه انظر الصفحة السابقة ص ٢١٤.

(٤) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١١٤)، جامع البيان للطبري (١٤/ ٢٢٠)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٢١)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٠٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٢٩٤)، الوسيط الواحدي (٣/ ٨٨)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٠٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٨١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٢٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٤٠٢)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٠٥)، تيسير الكريم المنان لابن سعد (٣/ ٦٢)، تفسير المراغي (٥/ ٢٦٥).

نفسى بيده إنها للقرية التي قال الله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾^(١)، وروى أيضاً عن: (عائشة)^(٢) > وعن ابن شهاب^(٣) (١) وقد رده ابن عطية قائلاً: إن الأمر ليس كذلك وإنما أرادت أن المدينة قد وقعت في محذور المثل وحل بها ما حل بالتي جعلت مثلاً^(٤).

القول الثالث:

أنه مثل مضروب بأي قرية كانت على هذه الصفة من سائر القرى، إنما جعلت مثلاً لأهل مكة على معنى التحذير لأهلها ولغيرها من القرى إلى يوم القيامة، ومثل مكة يكون غير مكة، وقد اختاره: (الزمخشري، وابن عطية، والفخر الرازي، والنسفي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي)^(٥).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - بأن المراد بالقرية مكة وهو ما رجحه أبو حيان ~ وذلك:

١/ لدلالة السياق القرآني لقوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ﴾ فهذه الآية وما بعدها من الآيات خطاب لأهل مكة، وحالهم وتام للمثل المضروب.

(١) سورة النحل: آية ١١٢.

(٢) عائشة بنت أبي بكر الصديق، أم المؤمنين، أم عبدالله، الفقيهة، توفيت سنة ٥٧هـ.

انظر: الإصابة (١٦/٨)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٥٨/٨).

(٣) محمد بن مسلم الزهري، الفقيه المدني، نزيل الشام مشهور بالأمانة والجلالة، من التابعين، توفي ١٢٥هـ. انظر تهذيب التهذيب (٤٠٩/١٢).

(٤) انظر النكت والعيون (٢١٧/٣)، الدر المنثور للسيوطي (١٥٣/٥).

(٥) انظر المحرر الوجيز (٤٢٦/٣).

(٦) انظر الكشف للزمخشري (٤٧٨/٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤٢٦/٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١٠٢/٢٠)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦١١)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٩٧/٤)، فتح القدير للشوكاني (٢٤٧/٣) روح المعاني للآلوسي (٤٧٦/٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٥٥٣/٤).

٢/ إن مما يقوي الاحتمال بأن تكون القرية المضروب بها المثل، هي: مكة، أن هذه الآية قد نزلت بعد أن أصابهم الجوع الذي أنذروا به، في قوله - تعالى -: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۖ يَغْشَى النَّاسَ ۚ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝﴾^(١) وهو الدخان الذي كان يراه أهل مكة أيام القحط الذي أصابهم بدعاء النبي ﷺ^(٢).



(١) سورة الدخان: آية ١٠-١١.

(٢) حيث قال **عليه السلام**: "اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنين يوسف، أخرجه البخاري: كتاب الدعوات؛ باب الدعاء على المشركين (٥/ ٢٣٤).

قال - تعالى -: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشَّوْءَ بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١)، وفيها مسألة واحدة:

[١٥] المسألة: معنى السوء.

رجح أبو حيان ~ بأن معنى السوء: عامٌ في كل ما يسوء صاحبه من كفر، أو معصيته، أو غيره؛ حيث قال أبو حيان ~ : «والسوء هنا: قال ابن عباس: الشرك قبل المعرفة بالله^(٢). انتهى، والسوء: ما يسوء صاحبه من كفر ومعصية وغيره»^(٣).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في معنى السوء على أقوال منها:

القول الأول:

أن المراد بالسوء: الشرك. وهو قول ابن عباس رضي الله عنه، وقد اختاره: (الواحدي، والقرطبي)^(٤).

القول الثاني:

أن المراد بالسوء: ما يسوء صاحبه من كفر ومعصية، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختار هذا القول: (الزمخشري، والسمين الحلبي، وأبو السعود، والشهاب الخفاجي، وابن عادل، والآلوسي، والمراغي)^(٥).

(١) سورة النحل: آية ١١٩.

(٢) انظر تفسير الواحدي (٣/ ٨٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٢٩).

(٣) انظر البحر المحيط (٥/ ٥٢٨).

(٤) انظر تفسير الواحدي (٣/ ٨٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٢٩).

(٥) انظر ذلك على الترتيب التالي الكشاف للزمخشري (٢٠/ ١٠٧)، الدر المنصور للسمين الحلبي

(٧/ ٣٠١)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٠١)، حاشية الشهاب (٥/ ٦٦٨)، اللباب في علوم

الكتاب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ١٨١)، روح المعاني للآلوسي (٧/ ٤٨٣)، تفسير المراغي (٥/ ٢٧٠).

﴿الترجيح:﴾

الراجح - والله تعالى أعلم - : أن المراد بالسوء ما يسيء صاحبه من كفر أو معصية
ويدخل فيه الافتراء على الله - تعالى - وذلك لأن القول بالعموم أولى.



قال - تعالى -: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (١٦)، وفيها مسألة واحدة:

[١٦] المسألة: هل الآية مكية أو مدنية؟

رجح أبو حيان ~ أن الآية مدنية وهو قول جمهور المفسرين؛ حيث قال أبو حيان ~ : « قالت فرقة: هذه الآية منسوخة بآية القتال^(١)، وقالت فرقة: هي محكمة، قال - تعالى -: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ أطبق أهل التفسير أن هذه الآية مدنية، نزلت في شأن التمثيل بحمزة وغيره في يوم أحد، ووقع ذلك في صحيح البخاري^(٢) وفي كتاب السير، وذهب

(١) سورة النحل: آية ١٢٦.

(٢) القول بالنسخ مروي عن ابن عباس، وزيد بن أسلم، انظر جامع البيان للطبري (١٤ / ٢٣٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٤ / ٣٨٧)، الدر المنثور للسيوطي (٥ / ١٧٩).

و القول بالنسخ مما شغف به بعض المفسرين، إلا أن الكثير من المحققين من المفسرين يرون أن الآية محكمة لا نسخ فيها، لأنها فيمن ظلم بظلامه، فلا يحل له أن ينال من ظالمه أكثر مما نال ظالمه، انظر المصنف في علم الناسخ والمنسوخ لابن الجوزي ص (٤٢)، لباب النقول للسيوطي ص (١٣٢)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠ / ١١٥).

(٣) هذا الحديث لم يرد في صحيح البخاري كما قال أبو حيان، بل ذكره الحافظ في الفتح، وهذا الحديث من رواية ابن عباس، ورواية أبي هريرة رضي الله عنه، ومدار إسناده على رجل ضعيف في كل منهما فحديث ابن عباس فيه علتان:

الأولى: ضعف عبدالعزيز بن عمران، والثانية: اضطراب إسماعيل بن أبي عياش، وقد أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٣ / ١٨٣)، والقاضي الحسين بن إسماعيل المحاملي في أماليه (١٢٧، ٣٤٤)، وأخرجه الطبراني في الكبير (١١ / ٦٢)، والدارقطني في سننه (٤ / ١١٦)، وأعله بعبد العزيز بن عمران فهو ضعيف، وفي (٤ / ١١٨) قال: لم يروه غير إسماعيل بن عياش وهو مضطرب الحديث.

وأما حديث أبي هريرة فأخرجه الطحاوي (٣ / ١٨٣)، والطبراني في الكبير (٣ / ١٤٣)، والحاكم (٣ / ٢١٨)، ومداره على صالح بن بشير المري. وهو ضعيف كما في التقريب (١ / ٢٧١) وبه أعله ابن كثير في تفسيره (٢ / ٦١٤)، وأشار إلى هذا الضعف الحافظ ابن حجر. فتح الباري (٧ / ٤٣٠)، وانظر الدر المنثور (٥ / ١٧٩) و (٥ / ١٧٨)، وقال الألباني: ضعيف انظر سلسلة الضعيفة (٢ / ٢٨).

النحاس إلى أنها مكية^(١)، والمعنى متصل بما قبلها اتصالاً حسناً؛ لأنها [تندرج الرتب]^(٢) من الذي يدعي و[يوعظ]^(٣) إلى الذي يجادل [إلى الذي يجازي على فعله]^(٤)، ولكن ما روى الجمهور أثبت، وذهبت فرقة منهم: ابن سيرين^(٥) ومجاهد^(٦) إلى أنها نزلت فيمن أصيب بظلامه أن لا ينال من ظلمه إذا تمكن إلا مثل ظلامته لا يتعدها إلى غيرها^(٧).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في هذه الآية هل هي مدنية أو مكية؟ وهل فيها نسخ، أو لا؟ على ثلاثة أقوال منها:

القول الأول:

أن سورة النحل كلها مكية إلا هذه الآيات الثلاث، وأنها نزلت في شأن التمثيل بحمزة - رضي الله تعالى عنه - يوم أحد، وقد وهم أبو حيان ~ وقال: بأنها وردت في البخاري، ولكن هذه القصة لم تثبت بإسناد صحيح، فأسانيدها فيها مقال، قال القرطبي: إنه مما أطبق عليه المفسرون^(٨)، ولكن قول القرطبي هذا مردود بدليل: أن عدداً من المفسرين، يرى أن هذه الآية مكية، وقد اختار هذا القول: (الفراء، والزجاج، وأبو الليث السمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزخشري، والقرطبي، والنسفي،

(١) انظر معاني القرآن للنحاس (١١٣/٤).

(٢) في المطبوع (تندرج الرتب).

(٣) في المطبوع (توعظ).

(٤) هذه الجملة زائدة في المطبوع.

(٥) انظر صحيح البخاري: كتاب المظالم، باب قصاص المظلوم إذا وجد مال ظلمه (٨٦٨/٢)، جامع البيان لابن جرير الطبري (٢٣٣/١٤)، النكت والعيون للهاوردي (٢٢١/٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣٢/١٠).

(٦) انظر جامع البيان لابن جرير الطبري (٢٣٣/١٤)، النكت والعيون للهاوردي (٢٢١/٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣٢/١٠).

(٧) انظر البحر المحيط (٥٣١/٥)، والنهر (٥٤٩/٥).

(٨) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣٣/١٠).

والألوسي^(١).

القول الثاني:

أن هذه الآية مكية، وأن معناها متصل بما قبلها، لأنها تتدرج الرتب من الذي يدعي ويوعظ إلى الذي يجادل إلى الذي يجازي على فعله، قال النحاس: «ويدلك على أن هذا نزل بمكة قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ وأكثر مكرهم، وحزنه ﷺ كان بمكة^(٢)، ويناسب هذا نسق الآيات التي قبلها وبعدها، وعليه ذهبت طائفة من المفسرين إلى أن الآية محكمة غير منسوخة، وأنها أمر من الله - تعالى - لمن عوقب من المؤمنين بعقوبة أن يعاقب بمثل الذي عوقب به إن اختار ذلك، وأعلمه أن الصبر على ترك عقوبته خير، فالآية محكمة لها وجه صحيح من التأويل يمكن حملها عليه^(٣)، وقد اختار هذا القول: (النحاس، وابن عطية، والفخر الرازي، وأبو السعود، والشهاب الخفاجي، والقونوي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي)^(٤).

القول الثالث:

إنها مما تكرر نزوله، قال السيوطي^(٥): (إن بعض القرآن قد يتكرر نزوله تذكيراً

(١) انظر معاني القرآن للفرآء (١١٥ / ٢)، معاني القرآن للزجاج (٢٢٣ / ٣)، بحر العلوم للسمرقندي (٢٩٧ / ٢)، الوسيط للواحيدي (٩١ / ٣)، معالم التنزيل للبغوي (١٠٣ / ٣)، الكشف للزخشري (٤٨٦ / ٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣٣ / ١٠)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦١٤)، روح المعاني للألوسي (٤٩٠ / ٧).

(٢) معاني القرآن للنحاس (١١٣ / ٤).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (٢٣٣ / ١٤).

(٤) انظر ذلك على الترتيب التالي: (معاني القرآن للنحاس (١١٣ / ٤)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤٣٢ / ٤)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١١٣ / ٢٠)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٠٥ / ٤)، حاشية الشهاب على البيضاوي (٦٧٥ / ٥)، حاشية القونوي على البيضاوي (٤٢١ / ١١)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٣٥ / ٦)، محاسن التأويل للقاسمي (٥٦٠ / ٤)).

(٥) الإمام الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبي المناقب أبي بكر بن ناصر الدين محمد بن سابق الدين الخضير السيوطي، توفي سنة ٩١١ هـ. انظر شذرات الذهب (٥١ / ٨).

وموعظة ومنها خواتيم سورة النحل) ^(١)، فتكون الآية مكية ومدنية.

♦ الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - أن الآية محكمة، لا نسخ فيها، وهي مكية وذلك لما يلي:

١. لأن القول بأنها نزلت بشأن حمزة رضي الله عنه إنما هو من باب المثال لما دلت عليه الآية، والقصة لم تثبت بإسناد صحيح، فأسانيدها فيها مقال، ويؤيد القول بالإحكام ارتباط الآية بسابقتها ولاحقها ارتباطاً وثيقاً فيكون النسق واحداً، ويكون معناها أن من ظلم مظلماً فله أن يعاقب على قدرها، ومن صبر وعفى فذاك الأفضل والأولى، قال الطاهر بن عاشور: «فهذه الآية متصلة بما قبلها أتم اتصال، وحسبك وجود العاطف فيها، وهذا تدرج في رتب المعاملة من معاملة الذين يدعون ويوعظون إلى معاملة الذين يجادلون ثم إلى معاملة الذين يجازون على أفعالهم وبذلك حصل حسن الترتيب في أسلوب الكلام» ^(٢).

٢. أن القول بأن الآية منسوخة مردود من أوجه:

أولاً: أن هذه الآية مكية، ويدل على ذلك نظم السياق القرآني؛ حيث أنها نزلت بمكة، ولم يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال، وقتل حمزة رضي الله عنه كان بالمدينة في أحد. ثانياً: ضعف أسانيد رواية قصة حمزة رضي الله عنه.

ثالثاً: اختيار المحققين من المفسرين بأن الآية محكمة وأنه لا نسخ فيها، وإنما مقصودها: تعليم حسن الأدب في الدعوة إلى الله، والقول بالنسخ مما شغف به بعض المفسرين، ولا فائدة في تكثير القول به ^(٣).

(١) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (١/ ١٠٢).

(٢) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٣٥).

(٣) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ١١٥).

ترجيحات أبي حيان الأندلسي
في

سورة الإسراء

قال - تعالى -: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ، مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١) وفيها مسألتان:

[١/١٧] المسألة الأولى: كيفية الإسراء.

رجح أبو حيان ~ أن الإسراء كان بجسده، وروحه **عَلَى الصَّلَاةِ**؛ حيث قال ~ : «والظاهر أن هذا الإسراء كان بشخصه، ولذلك كذبت قريش به وشنعت عليه، وحين قص ذلك على أم هاني^(٢) قالت: لا تحدث الناس بها فيكذبوك^(٣)، ولو كان مناماً ما استنكر ذلك، وهو قول جمهور أهل العلم، وهو الذي ينبغي أن يعتقد، وحديث الإسراء مروى في المسانيد عن الصحابة في كل أقطار الإسلام، وذكر أنه رواه عشرون من الصحابة^(٤)، قيل: وما روي عن عائشة ومعاوية^(٥): أنه كان مناماً، فلعله لا يصح عنهما، ولو صح لم يكن في ذلك حجة؛ لأنهما لم يشاهدا ذلك لصغر عائشة وكفر معاوية إذ ذاك، ولأنهما لم يسندا ذلك إلى الرسول ﷺ ولا حدثا به عنه، وعن الحسن: كان في المنام رؤيا رآها^(٦)».

(١) سورة الإسراء: آية ١.

(٢) أم هانئ بنت أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم، أخت علي بن أبي طالب (شقيقته)، أمها فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهي أم طالب، وعقيل، وجعفر، وهمان، اختلف في اسمها فقيل: هند، وقيل فاختة كانت تحت هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن مخزوم، أسلمت عام الفتح، وفر زوجها إلى نجران، وأقام فيها إلى أن مات فيها مشركاً، انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١/ ٦٣٨)، أسد الغابة لابن الأثير (١/ ١٤٢٤).

(٣) أخرجه الطبري (٦/ ١٥)، وفي سنده محمد بن السائب الكلبي وهو متروك ساقط، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير، وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور وهو متروك كذاب، انظر مجمع الزوائد (١/ ٧٦).

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٤٠٨-٤١٨)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٦٦)، قال الحافظ بن كثير رحمه الله: [وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، منهم من ساقه بطوله ومنهم من أختصره على ما وقع في المسانيد وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة، فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون، وأعرض عنه الزنادقة الملاحدون]. باختصار.

(٥) معاوية بن أبي سفيان: صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي، أمير المؤمنين أبو عبد الرحمن، صحابي أسلم يوم الفتح توفي سنة ٦٠ هـ، انظر الإصابة (٦/ ١٥١)، الطبقات الكبرى (٧/ ٤٠٦).

(٦) انظر البحر المحيط (٦/ ٥)، وانظر النهر الماد (٦/ ٣).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في كيفية إسرائه ﷺ إلى بيت المقدس، وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه:

القول الأول:

أنه أسرى بجسده وروحه ﷺ إلى بيت المقدس، وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه:
عن النبي ﷺ أنه صلى فيه بالأنبياء^(١)، ثم عرج به إلى السماء ثم رجع به إلى المسجد الحرام
فصلى فيه صلاة الصبح من صبيحة ليلته، وهذا ما عليه معظم جمهور السلف والخلف^(٢)
وهو ما رجحه أبو حيان ~ .

القول الثاني:

أنه أسري بروحه في المنام ورؤيا الأنبياء وحي، وذهبت إلى هذا عائشة^(٣) >
ومعاوية رضي الله عنه^(٤) والحسن البصري^(٥) وابن إسحاق^(٦)،^(٧).

-
- (١) أخرجه البخاري كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) (النساء: ١٦٤)
(٦/ ٢٧٣٠)، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الإسرائ برسول الله ﷺ (١/ ١٤٥).
- (٢) انظر الشفا للقاضي عياض (٢/ ٢٦٩)، السيرة لابن هشام (٢/ ١٠٤)، جامع البيان للطبري (١٥/ ٢١)،
معالم التنزيل للبعوي (٣/ ١٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٣٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي
(١٠/ ١٣٥)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٥٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٦٦)، تيسير الكريم
المنان في تفسير كلام الرحمن للسعدي (٣/ ٦٨)، تفسير المراغي (٥/ ٢٨٣).
- (٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢١) حيث قالت: [ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن الله أسرى بروحه
]، انظر الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢٨٨)، سيرة ابن هشام (٢/ ٧)، البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ١١٠)،
وهذا متن منكر، فقد صحت الروايات المرفوعة والموقوفة بالإسرائ جسداً وروحاً، وعائشة > لم تكن
زوجة النبي ﷺ يوماً، انظر تخريج الكشاف لابن حجر (٣/ ٤٩٣).
- (٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢١).
- (٥) محمد بن إسحاق بن يسار القرشي، أبو بكر، علامة حافظ، من أحسن الناس سرداً للأخبار توفي سنة
١٥٠ هـ، انظر التاريخ الكبير (١/ ٤٠)، مشاهير علماء الأمصار (١٣٩).
- (٦) انظر السيرة لابن إسحاق (٢/ ٣٠٤).

وكانوا يتأولون قوله - تعالى -: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾^(١) أنها في المعراج.

القول الثالث:

ذهبت طائفة إلى التفصيل، فقالوا: كان الإسراء بجسده يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح، واستدلوا على هذا التفصيل بقوله: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾، فجعله غاية للإسراء بذاته ﷺ، فلو كان الإسراء من بيت المقدس إلى السماء وقع بذاته لذكره^(٢).

القول الرابع:

ذهبت طائفة منهم: القاضي أبو بكر^(٣)، والبغوي^(٤) إلى تصديق القائلين بأنه في المنام والقائلين بأنه في اليقظة وتصحيح الحديثين في ذلك بأن الإسراء كان مرتين إحداهما في نومه ﷺ قبل النبوة فأسري بروحه توطئة وتيسيراً لما يضعف عنه قوى البشر وإليه الإشارة بقوله - تعالى -: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾^(٥) ثم أسري بروحه وبدنه بعد النبوة، وقالوا: بأن هذا الحق الذي به يحصل الجمع بين الأخبار^(٦) واختاره: (الطاهر بن عاشور)^(٧)، وقد رده القاسمي قائلاً: (والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة، ويا عجباً لهؤلاء الذين زعموا أنه كان مراراً كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة يفرض عليهم الصلوات خمسين ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى

(١) سورة الإسراء: آية ٦٠.

(٢) انظر تحفة الأحوذى للمبارك فوري، أبواب الصلاة باب ومن سورة بني إسرائيل (٥/٤٥٠).

(٣) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري ثم البغدادي، القاضي أبو بكر الباقلاني، من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرياسة في مذهب الشاعرة، ولد في البصرة عام ٣٣٨ هـ سكن بغداد، توفي فيها عام ٤٠٣ هـ، انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/١٩٣)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٣٧٩/٥).

(٤) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/١١٠)، روح المعاني للألوسي (٨/٩).

(٥) الإسراء: آية ٦٠.

(٦) انظر روح المعاني للألوسي (٨/٩).

(٧) انظر التحرير والتنوير (٦/٢٣).

تصير خمسا، فيقول أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين ثم يحطها عشراً عشراً^(١).

﴿الترجيح﴾:

الراجع - والله تعالى أعلم - أن الإسراء كان بجسده وروحه ﷺ يقظة إلى بيت المقدس، ثم إلى السموات، وهو ما رجحه أبو حيان ~ وعليه الجمهور، وذلك لما دلت عليه الأحاديث الصحيحة الكثيرة ولا حاجة إلى التأويل وصرف هذا النظم القرآني وما يماثله من ألفاظ الأحاديث إلى ما يخالف الحقيقة، ولا مقتضى لذلك إلا مجرد الاستبعاد وتحكيم محض العقول القاصرة عن فهم ما هو معلوم من أنه لا يستحيل عليه سبحانه شيء، ولو كان ذلك مجرد رؤيا كما يقوله من زعم: أن الإسراء كان بالروح فقط، وأن رؤيا الأنبياء حق لم يقع التكذيب من الكفرة للنبي ﷺ عند إخباره لهم بذلك حتى ارتد من ارتد ممن لم يشرح بالإيمان صدراً، فإن الإنسان قد يرى في نومه ما هو مستبعد، بل ما هو محال ولا ينكر ذلك أحد؛ وأما التمسك لمن قال بأن هذا الإسراء إنما كان بالروح على سبيل الرؤيا بقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾^(٢) فعلى تسليم أن المراد بهذه الرؤيا هو هذا الإسراء فالتصريح الواقع هنا بقوله: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ والتصريح في الأحاديث الصحيحة الكثيرة بأنه أسرى به لا تقصر عن الاستدلال بها على تأويل هذه الرؤيا الواقعة في الآية برؤية العين، فإنه قد يقال لرؤية العين رؤيا، وكيف يصح حمل هذا الإسراء على الرؤيا مع تصريح الأحاديث الصحيحة بأن النبي ﷺ ركب البراق؟ وكيف يصح وصف الروح بالركوب؟ وهكذا كيف يصح حمل هذا الإسراء على الرؤيا؟ مع تصريحه ﷺ بأنه كان عندما أسرى به بين النائم واليقظان^(٣).

(١) انظر محاسن التأويل للقاسمي (٤/٥٦٦)، شرح الطحاوية (١/٢٢٣).

(٢) سورة الإسراء: آية ٦٠.

(٣) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/٥٧).

[٢/١٨] المسألة الثانية: المراد بالمسجد الحرام.

رجح أبو حيان أن المراد بالمسجد الحرام هو المسجد بمعناه المعروف والمشهور بين الخاص والعام؛ حيث قال: «والظاهر أن قوله: ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ هو: المسجد المحيط بالكعبة بعينه، وهو قول أنس^(١)، وقيل: من الحجر، وقيل: من بين زمزم والمقام، وقيل: من شعب أبي طالب، وقيل: من بيت أم هانئ، وقيل: من سقف بيته ﷺ، وعلى هذه الأقوال الثلاثة يكون أطلق المسجد الحرام على مكة»^(٢).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بالمسجد الحرام في الآية على قولين:

القول الأول:

أن المراد به المسجد بعينه والمشهور بين الخاص والعام واستدلوا بظاهر الآية وبما أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة^(١) قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا في الحجر -وفي رواية في الحطيم- بين النائم واليقظان إذ أتاني آت فشق ما بين هذه إلى هذه فاستخرج قلبي فغسله ثم أعيد مكانه ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يقال له البراق فحملت عليه»^(٢)، وفي بعض الروايات أنه جاءه

(١) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن النجار الأنصاري أبو حمزة المدني، خادم رسول الله ﷺ وأحد المكثرين من الرواية، مات سنة ٩٢ هـ أو ٩٣ هـ، انظر الإصابة (١/ ١٢٦)، الطبقات الكبرى لابن سعد (١٧/ ٧).

(٢) البحر المحيط (٦/ ٦).

(٣) مالك بن صعصعة بن وهب بن عدي الأنصاري المازني، صحابي حدث أنس بن مالك عنه حديث الإسراء وهو في الصحيحين، قال عنه الذهبي: شيخ أنس في حديث المعراج، مات بالمدينة، انظر الإصابة (٥/ ٧٢٨)، الكاشف (٢/ ٢٣٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب المعراج (٣/ ١٤١٠)، وكتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة عليهم السلام (٣/ ١١٧٣)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ (١/ ١٤٥)، والترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن، باب سورة بني إسرائيل (٥/ ٣٠١)، وابن

جبريل وميكائيل -عليهما السلام- وهو مضطجع في الحجر بين عمه حمزة وابن عمه جعفر فاحتملته الملائكة -عليهم السلام- وجاؤوا به إلى زمزم والمقام^(١). وقد رجح أبو حيان ~ هذا القول مستنداً بظاهر الآية واختاره: (الطبري، والنسفي، وابن كثير، وأبو السعود، والقاسمي، والسعدي)^(١).

القول الثاني:

أن المراد بالمسجد الحرام: الحرم، وأطلق عليه لإحاطته به، فهو مجاز بعلاقة المجاورة الحسية والإحاطة، أو لأن الحرم كله محل للسجود ومحرم ليس بحل، فهو حقيقة لغوية وكان ﷺ إذ ذاك في دار فاختة أم هانئ بنت أبي طالب > نائماً في بيتها بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها^(١)، واستند أصحاب هذا الرأي إلى قوله - تعالى -: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾^(١) أي مكة، واختاره: (الفراء، وابن وهب، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، وابن عادل، والطاهر بن عاشور)^(١).

= خزيمة في صحيحه: كتاب الصلاة، باب بدء فرض الصلوات الخمس (١/١٥٣)، وقال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف: متفق عليه من حديث مالك بن صعصعة مطولاً (٣/٤٩٢).

(١) انظر روح المعاني للألوسي (٧/٨).

(٢) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (٩/١٥)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦١٥)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٤٠٧)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/١٠٩)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/٥٦٣)، تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن للسعدي (٣/٦٨).

(٣) قال الحافظ ابن حجر: « ذكره الثعلبي عن ابن عباس بغير سند، وكأنه من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه، وأخرجه النسائي في الكبرى (٦/٣٧٧ - ٣٧٨) كتاب التفسير سورة الإسراء (١١٢٨٥) من طريق عوف بن أبي جميلة عن زرارة بن أبي أوفى عن ابن عباس مرفوعاً (لما كان ليلة أسري...)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٧٦ - ٧٧) - كتاب معرفة الصحابة من حديث عائشة، وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٤/٤٣٢) (١٠٥٩)، وابن سعد في الطبقات (١/١٦٦ - ١٦٧) كلاهما من حديث أم هانئ من طرق مختلفة، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/٢٥٨) لأبي يعلى الموصلي في مسنده ولم أجده فعله من المفقود - والله المستعان ».

(٤) سورة الفتح: آية ٢٧.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء (٢/١١٥)، الواضح في التفسير لابن وهب (١/٤٤٩)، معاني القرآن للزجاج

﴿الترجيح:﴾

- الراجح - والله أعلم - أن المراد بالمسجد الحرام هو المسجد الحرام بعينه، أي: أسري برسول الله ﷺ من المسجد الحرام وقد كان فيه حين أسري به؛ وذلك لما يأتي:
١. لظاهر القرآن الكريم حيث قال - تعالى -: ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.
 ٢. أن أدلة القائلين بأن المراد به المسجد الحرام بعينه أقوى؛ لأن أحاديث الشيخين مقدمة على أحاديث غيرهما^(١).



= (٣/ ٢٢٥)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١١٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٢٩٩)، الباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٢/ ١٩٦)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ١٣).

(١) انظر تخريج الأحاديث في دراسة المسألة ص ٢٢٩.

قال - تعالى -: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾^(١) وفيها مسألة واحدة:

[٣/١٩] المسألة الأولى: مرجع الضمير في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن مرجع الضمير يعود على نوح عليه السلام؛ حيث قال ~ : « والظاهر أن الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ عائد على نوح، قال سلمان الفارسي^(٢) : كان يحمده الله على طعامه^(٣)، وقال إبراهيم شكره إذا أكل قال: بسم الله، فإذا فرغ قال: الحمد لله^(٤) وقال قتادة: كان إذا لبس ثوباً قال: بسم الله، وإذا نزع قال: الحمد لله^(٥)، وقيل: الضمير في أنه عائد إلى موسى. انتهى »^(٦).

(١) سورة الإسراء: آية ٣.

(٢) سلمان الخير الفارسي، أبو عبد الله ابن الإسلام، أصله من أصبهان، وقيل: من رامهرمز، كان أول مشاهده الخندق، وشهد بقية المشاهد وفتح العراق توفي سنة ٣٤ هـ، انظر الإصابة (٣/ ١٤١)، الطبقات الكبرى (٤/ ٧٥).

(٣) انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٣٦٠)، جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٤)، الدر المنثور للسيوطي (٤/ ١٦٢).

(٤) ذكره في الدر (٥/ ٢٠٩) وعزاه إلى عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن إبراهيم (٤/ ١٦٢)، وابن المبارك في الزهد عن مجاهد ص (٣٣٠)، وأخرج أحمد نحوه في الزهد عن القرظي ص (٥٠)، انظر معالم التنزيل للبخاري (٣/ ١١٢)، تفسير ابن كثير (٣/ ٢٤).

(٥) انظر الزهد لابن المبارك عن محمد القرظي ص (٣٢٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٠٩)، وزاد نسبه إلى الفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٦٢).

(٦) انظر البحر المحيط (٦/ ٨)، وانظر النهر (٦/ ٥).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾^(١) على قولين:

القول الأول:

أن مرجع الضمير عائدٌ على نوح عليه السلام وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وعليه جمهور المفسرين^(١).

القول الثاني:

أن الضمير يعود على موسى عليه السلام، وقد ذكر ذلك عدد من المفسرين دون نسبة القول إلى أحدٍ بعينه^(١).

♦ الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ وجمهور المفسرين من أن مرجع الضمير يعود على نوح عليه السلام وذلك لما يلي:

١ - عود الضمير على أقرب مذكور فالأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه^(١).

(١) أنظر جامع البيان للطبري (٢٤ / ١٥)، الواضح في التفسير لابن وهب (٤٥٠ / ١)، بحر العلوم للسمرقندي (٣٠١ / ٢)، النكت والعيون للماوردي (٢٢٨ / ٣)، الوسيط للواحدي (٩٦ / ٣)، معالم التنزيل للبغوي (١١٢ / ٣)، الكشف للزنجشيري (٤٩٤ / ٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤٣٧ / ٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٥ / ٥)، مفاتيح الغيب للرازي (١٢٤ / ٢٠)، الباب في علوم الكتاب لابن عادل (٢٠٨ / ١٢)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١١١ / ٤)، فتح القدير للشوكاني (٢٥٨ / ٣)، روح المعاني للألوسي (١٧ / ٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٦ / ٦)، محاسن التأويل للقاسمي (٥٧٣ / ٤)، تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن للسعدي (٦٩ / ٣).

(٢) انظر النكت والعيون للماوردي (٢٢٨ / ٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤٠ / ١٠)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١١١ / ٤)، روح المعاني للألوسي (٧ / ٨).

(٣) قواعد الترجيح لحسين الحربي (٦٢١ / ٢).

٢ - ملاءمته لما قبله فكأنه قال: لا تتخذوا من دوني وكيلاً ولا تشركوا بي، لأن نوحاً ﷺ كان عبداً شكوراً، فإنما يكون العبد شكوراً لو كان موحداً لا يرى حصول شيء من النعم إلا من فضل الله، وأنتم ذرية قومه فاقتدوا بنوح ﷺ كما أن آبائكم اقتدوا به^(١) قال العلماء: ووجه الإنعام على الخلق بهذا القول أنهم كانوا في صلب من نجا، قال قتادة: (الناس كلهم ذرية من أنجى الله في تلك السفينة)^(٢).

٣ - روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (أنا سيد الناس يوم القيامة) بطوله، وفيه (فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد ساء لك الله عبداً شكوراً، فاشفع لنا إلى ربك) وذكر الحديث بكماله^(٣).



(١) مفاتيح الغيب للرازي (٢٠/١٢٤).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٥/٥).

(٣) صحيح البخاري كتاب الأنبياء باب قوله -تعالى-: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ (٣/١٢١٥) وكتاب التفسير باب سورة بني إسرائيل (٤/١٧٤٥).

قال - تعالى - : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥٠ ﴾^(١)، وفيها مسألة واحدة:

[٤/٢٠] المسألة: معنى ﴿بَعَثْنَا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى البعث في الآية هو: الإرسال والتسليط؛ حيث قال ~ : « والبعث هنا: الإرسال والتسليط، وقال الزمخشري: معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا، ولم نمنعهم، على أن الله عز وعلا أسند بعث الكفرة إلى نفسه فهو كقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّنُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٣٩ ﴾^(٢) وكقول الداعي: وخالف بين كلمتهم، وأسند الجوس - وهو التردد خلال الديار بالفساد - إليهم، فتخريب المسجد وإحراق التوراة من جملة الجوس المسند إليهم^(٣) انتهى. وفي قوله خلينا بينهم وبين ما فعلوا: دسياسة الاعتزال، وقال ابن عطية: ﴿بَعَثْنَا﴾ يحتمل أن يكون الله أرسل إلى ملك تلك الأمة رسولاً يأمره بغزو بني إسرائيل فتكون البعثة بأمر، ويحتمل أن يكون عبر بالبعث عما ألقى في نفس الملك [الذي]^(٤) غزاهم^(٥) انتهى^(٦) ».

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في معنى كلمة ﴿بَعَثْنَا﴾ في الآية على أقوال.

القول الأول:

إن معنى بعثنا أي: أرسلنا وسلطنا، والمراد به الذين تسلطوا على بني إسرائيل بالقتل

(١) سورة الإسراء: آية ٥.

(٢) سورة الأنعام: آية ١٢٩.

(٣) الكشف للزمخشري (٣/ ٤٩٥).

(٤) وفي المطبوع (أي).

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٣٩).

(٦) البحر المحيط لأبي حيان (٩/ ٦).

والنهب والأسر، فبين - تعالى - أنه هو الذي بعثهم على بني إسرائيل، ولا شك أن قتل بني إسرائيل ونهب أموالهم وأسر أولادهم كان مشتملاً على الظلم الكبير والمعاصي العظيمة، قال ابن القيم: (الله - سبحانه - الخالق لكل شيء، فهو الخالق للعباد وأفعالهم وحركاتهم وأقوالهم، والعبد إذا فعل القبيح المنهي عنه كان قد فعل الشر والسوء، والرب - سبحانه - هو الذي جعله فاعلاً لذلك، وهذا الجعل منه عدل وحكمة وصواب، (فجعله فاعلاً) خير، و(المفعول) شر قبيح، فهو - سبحانه - بهذا الجعل قد وضع الشيء موضعه لماله في ذلك من الحكمة البالغة التي يحمد عليها، فهو خير وحكمة ومصلحة، ولإن كان وقوعه من العبد عيباً ونقصاً وشرّاً^(١)، وهذا مذهب أهل السنة^(٢) وقد اختاره عدد من المفسرين^(٣) وهو ما رجحه أبو حيان ~ راداً على الزمخشري ومبيناً مذهبه الاعتزالي^(٤)، المبني على أنه تعالى لا يفعل الشر ولا يريد.

القول الثاني:

أن المراد بالبعث هو أن الله أرسل إلى ملك تلك الأمة رسولاً يأمره بغزو بني إسرائيل فتكون البعثة بأمر، واختاره: (الماوردي، وابن عطية)^(٥).

-
- (١) شفاء العليل في الباب الحادي والعشرون في تنزيه القضاء الإلهي عن الشر ودخوله في المقضي (٥٠٩/٢).
- (٢) انظر شفاء العليل لابن القيم (٥٠٩/٢)، شرح العقيدة الطحاوية ص (٢٤٩)، مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٨/٩٤)، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص (٦٢٥).
- (٣) الواضح لابن وهب (١/٤٥٠)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/٣٠٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/٥)، مفاتيح الغيب للرازي (٢٠/١٢٥)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦١٦)، الباب لابن عادل (١٢/٢١٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٤١٩) روح المعاني للألوسي (٨/١٨).
- (٤) انظر الكشف (٣/٤٩٥)، يقول الزمخشري: (فإن قلت: كيف جاز أن يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم.....) يقول الإمام أحمد هذا السؤال إنما يتوجه على قدري يوجب على الله تعالى بزعمه رعاية ما يتوهمه بعقله مصلحة، وأما السني إذا سئل هذا السؤال أجاب عنه بقوله ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ والله الموفق، انظر الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشف لابن حجر العسقلاني، مطبوع بحاشية الكشف.
- (٥) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/٢٢٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٣٩).

القول الثالث:

إن معنى بعثنا أي: خلينا بينكم وبينهم خذلاناً لكم بظلمكم^(١)، والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك أولوا البعث: بالتخلية، وعدم المنع، بناءً على مسألة القبح العقلي فلا يسند مثله إلى الله فجعلوه مجازاً عن عدم المنع ولا قبح فيه وتارة قالوا: لا قبح في نفس البعث وإنما القبح في التخريب والتحريق المسند إليهم^(٢).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو أن معنى بعثنا: أرسلنا وسلطنا، ومذهب أهل السنة أن أفعاله - سبحانه - كلها خير، وإنما يكون الشر في مفعولاته المنفصلة، فإنه - سبحانه - خالق الخير والشر ثم لأن أسماء الله كلها حسنى ليس فيها اسم غير ذلك أصلاً، وإن من أسمائه ما يطلق عليه باعتبار الفعل، نحو الخالق والرازق والمحى والمميت وهذا يدل على أن أفعاله كلها خيرات محضة لا شر فيها، لأنه لو فعل الشر لاشتق له منه اسم ولم تكن أسماؤه كلها حسنى وهذا يدخل في أفعاله، فالشر ليس إليه، لا يضاف إليه فعلاً ولا وصفاً، وإنما يدخل في مفعولاته، وفرق بين الفعل والمفعول؛ فالشر قائم بمفعوله المبين له لا يفعله الذي هو فعله، فتأمل هذا فإنه خفي على كثير من المتكلمين، وزلت فيه أقدام، وضلت فيه أفهام، وهذا الله أهل الحق لما اختلفوا فيه بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ~ : «إن الشر لم يضاف إلى الله في الكتاب والسنة إلا على أحد وجوه ثلاث:

- (١) انظر النكت والعيون للهاوردي (٣/ ٢٢٩) ونسبه إلى الحسن، الوسيط للواحدى (٣/ ٩٧)، الكشف للزمخشري (٣/ ٤٩٥).
- (٢) حاشية الشهاب على البيضاوي (٣/ ٤٩٥).
- (٣) فائدة جلية في قواعد الأسماء والصفات في القاعدة الحادية عشر: أسماؤه كلها حسنى ليس فيها اسم غير ذلك (ص ١١٣) للدكتور عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر.

إما بطريق العموم كقوله - تعالى -: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(١)، وإما بطريقة إضافته إلى السبب كقوله - تعالى -: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾^(٢)، وإما بحذف فاعله كقوله عن الجن: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾^(٣) «^(٤)».



(١) سورة الرعد: آية ١٦.

(٢) سورة الفلق: آية ٢.

(٣) سورة الجن: آية ١٠.

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٨ / ٩٤).

قال - تعالى -: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُثِمَ غَدَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾^(١)
وفيها مسألة واحدة:

[٥/٢١] المسألة: معنى حصيراً.

رجح أبو حيان ~ أن معنى حصيراً: سجنًا ومحبسًا حيث قال أبو حيان ~ :
«ثم ذكر ما أعد لهم في الآخرة: وهو جعل جهنم لهم حصيرًا والحصير السجن، قال لبيد^(٢)»:

ومقامه غلبُ الرجال كأنهم جنٌ لدى بابِ الحصير قيام^(٣)
وقال الحسن: يعني فراشًا^(٤)، وعنه أيضًا مأخوذ من الحصر^(٥)، والذي يظهر أنها حاصرة لهم محيطة بهم من جميع جهاتهم^(٦)، فحصير معناه: ذات حصر، إذ لو كان للمبالغة

(١) سورة الإسراء: آية ٨.

(٢) لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن صعصعة الكلابي الجعفري، أبو عقيل، الشاعر المشهور، قال المرزباني في معجمه: كان فارسًا شجاعًا شاعرًا سخيًا، قال الشعر في الإسلام دهرًا. ثم أسلم، ولما كتب عمر إلى عامله بالكوفة سل لبيدًا والأغلب العجلي ما أحدثا من الشعر في الإسلام؟ فقال لبيد: أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران فزاد عمر في عطائه. توفي سنة ٤٠ هـ وكان عمره ١٤٥ سنة منها تسعون في الجاهلية والباقي في الإسلام، انظر الإصابة (٥/ ٦٧٥)، التاريخ الكبير (٧/ ٢٤٩).

(٣) انظر ديوان لبيد ص (١٦١)، التهذيب (٩/ ٣٦٢)، جامع البيان (١٥/ ٥٣)، اللسان (٤/ ١٩٣)، واستشهد به على أن المراد بالحصير الحصر.

(٤) جامع البيان للطبري (١٥/ ٥٣)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٢٦)، النكت والعيون للهاوردي (٣/ ٢٣١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٤٠)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢١٧).

(٥) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٠٢).

(٦) جوز أبو حيان أن تكون حصير بمعنى فاعل: أي حاصره، محيطة بهم وعلى هذا فكان ينبغي أن تؤنث بالتاء كجيرة، وأجيب بأنها على النسب أي ذات حصر كقوله ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ أي ذات انفطار، وقال أبو البقاء: لم يؤنثه لأن فعيل بمعنى فاعل. وهذا منه سهو، لأنه يؤدي إلى أن تكون الصفة التي على فعيل إذا كانت بمعنى جاز حذف التاء منها، وليس كذلك لما تقدم من أن فاعلاً بمعنى فاعل يلزم تأنيثه،
⇐=

لزمته التاء لجريانه على مؤنث، كما تقول: رحيمة وعليمة، ولكنه على معنى النسب كقوله: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾^(١)، أي: ذات انفطار^(٢).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في معنى كلمة حصيراً على قولين:

القول الأول:

إن معنى كلمة حصيراً: سجنًا، قاله: ابن عباس^(١)، والضحاك^(٢)، وقتادة^(٣)، وقال مجاهد: يحصرون فيها^(٤)، وقال أبو عبيدة^(٥) وابن قتيبة^(٦): محبسًا.

وقال الزجاج: ﴿حَصِيرًا﴾: حبسًا، أخذ من قولك: حصرت الرجل، إذا حبسته فهو محصور، وهذا حصيره، أي محبسه والحصير: المنسوج سمي حصيرًا، لأنه حصرت طاقاته

= وبمعنى مفعول يجب تذكره، وما جاء شاذًا من النوعين يؤول، وقيل: لم يؤنث لأن تأنيث جهنم مجازي، وقيل: لأنها في معنى السجن والمحبس، وقيل: لأنها بمعنى: فراش، انظر المصون للسمين الحلبي (٣١٩/٧).

(١) سورة المزمل: آية ١٨.

(٢) البحر المحيط (١١/٦)، وانظر النهر الماد (٩/٦).

(٣) انظر فتح الباري (٢٤٥/٨)، كتاب التفسير باب سورة بني إسرائيل، تفسير ابن أبي حاتم (٢٣١٩/٧)، جامع البيان للطبري (٥٣/١٥)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨/٣)، الدر المنثور (٢١٦/٥).

(٤) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٩/٥).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (٥٣/١٥)، معاني القرآن للنحاس (١٢٦/٤)، النكت والعيون للماوردي (٢٣١/٣).

(٦) انظر جامع البيان للطبري (٥٣/١٥)، تفسير ابن أبي حاتم (٢٣١٩/٧)، معاني القرآن للنحاس (١٢٦/٤).

(٧) انظر فتح الباري (٢٤٥/٨).

(٨) عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، محدث، مفسر، مؤرخ، أديب، توفي سنة ٢٧٦هـ، انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٩٦/١٣)، الوافي بالوفيات (٦٠٧/١٧).

(٩) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٩/٥).

بعضها مع بعض، ويقال للجنب: حصيرًا لأن بعض الأضلاع محصور مع بعض^(١) وقال ابن الأنباري: حصيرًا بمعنى حاصرة، فصرف من حاصرة إلى حصير كما صرف مؤلم إلى أليم^(٢) هذا ما رجحه أبو حيان ~ .

وقد اختاره: (الزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، وابن عطية، والرازي والنسفي، وابن كثير، والآلوسي، والطاهر بن عاشور)^(٣).

القول الثاني:

أن معنى حصير: فراشًا ومهادًا، قاله: الحسن^(٤)، قال أبو عبيدة: ويجوز أن تكون جهنم لهم مهادًا بمنزلة الحصير، والحصير البساط الصغير^(٥)، ورجحه الطبري^(٦)، وقال: أن الحصير بمعنى البساط في كلام العرب أشهر منه بمعنى الحبس، وقال الثعلبي^(٧): وهو وجه حسن^(٨).

(١) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/٢٢٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٩/٥).

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٩/٥).

(٣) انظر ذلك على الترتيب التالي: معاني القرآن للزجاج (٣/٢٢٨)، معاني القرآن للنحاس (٤/١٢٦)، بحر العلوم للسمرقندي (٤/٣٠٢)، الوسيط للواحدى (٣/٩٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٤٠)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/١٢٨)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦١٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٢٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/٢٢)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/٣٩).

(٤) سبق توثيقه انظر ص ٢٣٩ .

(٥) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٩/٥).

(٦) انظر جامع البيان للطبري (١٥/٥٥).

(٧) الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق النيسابوري، صاحب التفسير، كان أوحده زمانه في علم القرآن، وكان بارعًا في العربية، موثقًا أخذ عنه أبو الحسن الواحدى، وكان كثير الحديث، كثير الشيوخ، توفي سنة ٤٢٨ هـ. انظر الوافي بالوفيات للصفدي (١/٩٨٤)، طبقات المفسرين للسيوطي (١/١٧).

(٨) انظر الكشف والبيان للثعلبي (٦/٨٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/١٤٧).

﴿الترجيح﴾

والراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من أن معنى الحصار: السجن والمحبس وذلك لما يأتي:

- ١- لأن حصر جاءت في اللغة بمعنى: الحبس والمنع، قال ابن فارس^(١): الحاء والصاد والراء أصل واحد، وهو الجمع والحبس والمنع^(٢)، قال الجوهري^(٣): حصره يحصره حصراً: ضيق عليه وأحاط به، والمعنى أنهم محبوسون في جهنم لا يتخلصون منها أبداً^(٤).
- ٢- لاختيار جمهور المفسرين بأن معني حصاراً أي محبساً^(٥) وإن اختلفوا في اشتقاقه فهو إما محبساً، أي مكاناً للحبس المعروف فإن كان اسماً للمكان فهو جامد لا يلزم تذكره وتأنيثه، وإن كان بمعنى حاصراً أي محيطاً بهم وفعل بمعنى فاعل يلزم مطابقتها، فإما لأنه على النسب كلابن وتامر، أو لحملة على فاعل بمعنى مفعول، أو لأن تأنيث جهنم غير حقيقي أو لتأويلها بمذكر^(٦) وخلاصة ذلك أن لهم في الدنيا ما تقدم وصفه من العذاب، وفي الآخرة ما يكون محيطاً بهم من عذاب جهنم فلا يتخلصون منه أبداً^(٧).

(١) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، الرازي، أبو الحسن، من أئمة اللغة والأدب، توفي سنة ٣٩٥هـ. انظر نزهة الألباء لابن الأنباري ص (٢٣٥)، وإنباء الرواة عن أنباء النحاة للقفطي (١/ ١٢٧)، وبغية الوعاة للسيوطي (١/ ٣٥٢).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٧٢).

(٣) إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو النصر الفارابي، كان من أعاجيب الزمان ذكاءً وفطنةً وعلماً، إماماً في اللغة والأدب، توفي في حدود الأربعمئة على الأرجح انظر نزهة الألباء (٣٩٨)، بغية الوعاة (١/ ٤٤٦).

(٤) انظر الصحاح للجوهري، وتهذيب اللغة للأزهري مادة (حبس).

(٥) سبق توثيقه انظر ص ٢٤١.

(٦) انظر حاشية الشهاب (٦/ ٢٠-٢١).

(٧) انظر تفسير المراغي (٥/ ٢٩٠).

قال - تعالى -: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَتَمَّا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَأَزِرُ ۖ وَزَرَّ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٥) وفيها مسألة واحدة:

[٦/٢٢] المسألة الأولى: التعذيب المنفي هل هو عذاب استئصال أو عام في الدارين؟

رجح أبو حيان ~ أن العذاب المنفي في الآية عام في الدارين أي أن الله ﷻ لا يعذب عباده إلا بعد الإعذار إليهم؛ حيث قال ~ : « والمعنى حتى [نبعث] ^(١) رسولاً فيكذب ولا يؤمن بما جاء به من عند الله والتعذيب أعم من أن يكون في الدنيا بالهلاك وغيره من العذاب، أو في الآخرة بالنار فهو يشملها، ويدل على الشمول قوله: في الهلاك في الدنيا بعده هذه الآية ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا﴾ وفي آخره ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾، وآي كثيرة نص فيها على الهلاك في الدنيا بأنواع من العذاب حين كذبت الرسل، وقوله في عذاب الآخرة ﴿كَلَّمَآ أَلْقَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (٨) ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ ^(٢)، وكلما تدل على عموم أزمان الإلقاء فتعم الملقين، وقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ ^(٣) وذهب الجمهور ^(٤) إلى أن هذا في حكم الدنيا، أي إن الله لا يهلك أمة بعذاب إلا من بعد الرسالة إليهم والإنذار، وقال مقاتل ^(٥): المعنى وما كنا مستأصلين في الدنيا لما اقتضته الحكمة الإلهية حتى يبعث رسولاً إقامة الحجة عليهم وقطعاً للعدر عنهم كما فعلنا بعاد وثمود والمؤتفكات غيرها ^(٦) .

(١) سورة الإسراء: آية ١٥.

(٢) وفي المطبوع (يبعث).

(٣) سورة الملك: آية ٨.

(٤) سورة فاطر: آية ٢٤.

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥٢/١٠)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١١٨/٤)، روح المعاني للألوسي (٣٦/٨)، فتح القدير للشوكاني (٢٣٤/٣).

(٦) انظر النكت والعيون للهاوردي (٢٣٤/٣).

(٧) البحر المحيط (١٥/٦)، وانظر النهر الماد (١٣/٦).

♦ الدراسة والموازنة:

لما ذكر - سبحانه - اختصاص المهتدي بهدأيته والضال بضلاله، وعدم مؤاخذه الإنسان بجناية غيره، ذكر أنه لا يعذب عباده إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، فبين سبحانه أنه لم يتركهم سدى ولا يؤاخذهم قبل إقامة الحجة عليهم واختلف المفسرون في هذا العذاب المنفي في الآية هل هو في الدنيا؟ أو هو عام في الدنيا والآخرة، على قولين:

القول الأول:

إن هذا حكم في الدنيا، أي أن الله لا يهلك أمة بعذاب إلا من بعد الرسالة إليهم والإنذار أي عذاب استئصال وهو المناسب لما بعده، وهو قول الجمهور^(١).

القول الثاني:

أن العذاب المنفي في الآية عام في الدنيا والآخرة، أي الجنس الشامل للدنيوي والأخروي فيكون القول الأول داخل فيه، وهو بعض أفراد، واختاره من المفسرين: (ابن عطية، وابن كثير، والشوكاني، والقاسمي، والمراغي)^(٢) وهو ما رجحه أبو حيان.

(١) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٣٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٥٢)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١١٨)، روح المعاني للألوسي (٨/ ٣٦)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٥٢).

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٤٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٣١)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٦٥)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٨٠)، تفسير المراغي (٥/ ٢٩٦).

﴿الترجيح﴾

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ومن معه من المفسرين من العذاب المنفي هو العام للدنيا والآخرة وذلك لما يأتي:

١- لقوله - تعالى -: ﴿كَلَّمَآ أَلْفَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (٨) ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾ (١).

٢- لأن القول بالعموم أولى، فيكون القول الأول داخل فيه وهو بعض أفراد (١).

٣- قال ابن عطية ~ : « والذي يقتضيه النظر أن بعثة آدم - عليه السلام - بالتوحيد وبث المعتقدات في بنيه مع نصب الأدلة الدالة على الصانع مع سلامة الفطر توجب على كل أحد من العالم الإيمان وإتباع شريعة الله، ثم تجدد ذلك في زمن نوح - عليه السلام - بعد غرق الكفار وهذه الآية أيضاً يعطي احتمال ألفاظها نحو هذا في الذين لم تصلهم رسالة وهم أهل الفترات الذين قد وجودهم بعض أهل العلم. أهـ (١) ».

وروي عن أبي هريرة: أن الله ﷻ يبعث يوم القيامة رسولا إلى أهل الفترة والأبكم والأخرس والأصم، فيطيعه منهم من كان يريد أن يطيعه في الدنيا وتلا الآية (١).

(١) سورة الملك: آية ٨.

(٢) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١١٨/٤).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٤٤٤/٣).

(٤) تخريج الحديث: أخرجه الطبري (٥٤/١٥)، عن أبي هريرة موقوفاً، ورواه أحمد في المسند (٣٤/٤)، مرفوعاً إلى النبي ﷺ « أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة فأما الأصم فيقول: رب جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني - أي يرموني - بالبر، وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة يقول: رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواعيقهم ليطعنه، فيرسل إليهم أن أدخلوا النار، فوالذي نفس محمد بيده، لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً ». وانظر الدر المنثور (١٦٨/٤)، وتفسير ابن كثير (٥١/٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح (٢١٨/٧).

قال - تعالى -: ﴿كَلَّا نُمَدِّ هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾^(١)
وفيها مسألة واحدة:

[٧/٢٣] المسألة: المراد بالعطاء.

رجح ابو حيان ~ أن العطاء والإمداد يكون في الرزق، واستدل بسياق الآية حيث أن رزقه - سبحانه - لا يضيق عن مؤمن ولا كافر؛ حيث قال: «والظاهر أن هذا الإمداد هو في الرزق في الدنيا وهو تأويل الحسن^(١) وقتادة^(٢)، أي أن الله يرزق في الدنيا مريدي العاجلة الكافرين ومريدي الآخرة المؤمنين، ويمد الجميع بالرزق، وإنما يقع التفاوت في الآخرة، ويدل على هذا التأويل: ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾، أي: أن رزقه لا يضيق عن مؤمن ولا كافر. وعن ابن عباس^(٣): أن معنى من عطاء ربك من الطاعات لمريد الآخرة، والمعاصي لمريد العاجلة فيكون العطاء عبارة عما قسم الله للعبد من خير أو شر، وينبو لفظ العطاء على الإمداد بالمعاصي»^(٤).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بالعطاء على قولين:

القول الأول:

أن المراد بالعطاء: هو: رزق الدنيا، أي: أن الله - تعالى - يرزق في الدنيا مريدي

(١) سورة الإسراء: آية ٢٠.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (٧١ / ١٦)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢٣٢٢ / ٧)، بحر العلوم للسمرقندي (٣٠٦ / ٢)، الوسيط للواحدي (١٠١ / ٣)، الدر المنثور للسيوطي (٢٢٢ / ٥)، فتح القدير للشوكاني (٢٧٢ / ٣).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (٧١٩ / ١٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤٤٦ / ٣)، روح المعاني للألوسي (٤٧ / ٨).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (٧١ / ١٦)، الدر المنثور للسيوطي (٢٢٢ / ٥)، فتح القدير للشوكاني (٢٧٢ / ٣).

(٥) انظر البحر المحيط (١٩ / ٦)، والنهر الماد (١٧ / ٦).

الآخرة المؤمنين، ومريدي العاجلة من الكافرين ويمدحهم بعطاءه وإنما يقع التفاضل والتباين في الآخرة وهذا المعنى يناسب مع قوله: ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾، أي: رزقه في الدنيا لا يضيق عن مؤمن ولا كافر وقلما تصلح هذه العبارة لمن يمد بالمعاصي التي توبقه، وهو تأويل الحسن^(١) وقتادة^(٢) والسدي^(٣)، وقد اختاره: (الفراء، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزخشي، وابن عطية، وابن الجوزي والرازي والقرطبي، والنسفي، والشوكاني، والقاسمي، والمراغي)^(٤) وهذا القول الذي رجحه أبو حيان ~ .

القول الثاني:

إن المراد بالعطاء: ما قسمه الله للعبد من خير أو شر وعن ابن عباس^(٥) وابن زيد^(٦) أن معنى من عطاء ربك: من الطاعات لمريد الآخرة، والمعاصي لمريد العاجلة وقد اختار هذا القول: (الطبري، وابن كثير)^(٧).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين، وذلك لما يلي:

- (١) سبق توثيقه انظر ص ٢٤٦ .
- (٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢٣٢٢/٧)، الدر المنثور للسيوطي (٢٢٢/٥).
- (٣) انظر معاني القرآن للفراء (١٢٠/٢)، معاني القرآن للزجاج (٢٣٣/٣)، معاني القرآن للنحاس (١٣٩/٤)، بحر العلوم للسمرقندي (٣٠٦/٢)، الوسيط (١٠٢/٣)، معالم التنزيل للبغوي (١٢٦/٣)، الكشف للزخشي (٥٠٦/٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤٤٦/٣)، زاد المسير لابن الجوزي (١٦/٥)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١٤٥/٢٠)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥٤/١٠)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦١٩)، فتح القدير للشوكاني (٢٧٠/٣)، محاسن التأويل للقاسمي (٥٨٢/٤)، تفسير المراغي (٢٩٩/٥).
- (٤) سبق توثيقه انظر ص ٢٤٦ .
- (٥) انظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢٣٢٢/٧)، الدر المنثور للسيوطي (٢٢٢/٥).
- (٦) انظر جامع البيان للطبري (٧١/١٦)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٦/٣).

لدلالة السياق القرآني حيث قال - سبحانه - ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾^(١) أي: أن رزقه ﷻ لا يضيق في الدنيا عن مؤمن ولا كافر وقلما تصلح هذه العبارة لمن يمد بالمعاصي التي توبقه والمحظور الممنوع^(٢).

وكذلك قوله - تعالى -: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ﴾^(٣) يقول ابن عطية: «الآية تدل دلالة ما على أن العطاء في الآية التي قبلها: هو الرزق، وفي ذلك يترتب أن ينظر محمد ﷺ إلى تفضيل الله لبعض على بعض في الرزق ونحوه من الصور، والشرف، والجاه والحظوظ، وبين أن يكون التفضيل الذي ينظر إليه النبي ﷺ أن أعطى الله قومًا الطاعات المؤدية إلى الجنة، وأعطى آخرين الكفر المؤدي إلى النار، وهذا قول الطبري: وهذا إنما هو النظر في تفضيل فريق على فريق، وعلى التأويل الآخر فالنظر في تفضيل شخص على شخص من المؤمنين ومن الكافرين، كيفما قرنتهما، ثم أخبر ﷺ أن التفضيل الأكبر إنما يكون في الآخرة»^(٤)، يقول الفخر الرازي: «إنه تعالى يمد الفريقين بالأموال ويوسع عليهما في الرزق مثل الأموال والأولاد وغيرهما من أسباب العز والزينة في الدنيا، لأن عطاءنا ليس يضيق عن أحد مؤمنًا كان أو كافر لأن الكل مخلوقون في دار العمل، فوجب إزاحة الضرر وإزالة العلة عن الكل وإيصال متاع الدنيا إلى الكل على القدر الذي يقتضيه الصلاح فبين تعالى أن عطاءه ليس بمحظور أي غير ممنوع»^(٥).

(١) سورة الإسراء: آية ٢٠.

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٤٦).

(٣) سورة الإسراء: آية ٢١.

(٤) المحرر الوجيز (٣/٤٤٦).

(٥) مفاتيح الغيب (٢٠/١٤٥).

قال - تعالى -: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾^(١) وفيها مسألة واحدة:

[٨/٢٤] المسألة: المراد بالخطاب.

رجح أبو حيان ~ أن الخطاب في قوله - تعالى -: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ موجه لبني الإنسان، ولا يدخل فيه النبي محمد ﷺ؛ حيث قال ~ : «والخطاب في لا تجعل للسامع غير الرسول، وقال الطبري^(١) وغيره: الخطاب لمحمد ﷺ والمراد لجميع الخلق»^(٢).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بالخطاب في قوله - تعالى -: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ على قولين:
القول الأول:

أن الخطاب للنبي ﷺ والمعنى عام لجميع المكلفين على نحو ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ الْبُيُوتَ﴾^(٣) وهو مخاطب في النظر ولا داعي إلى تلوين الخطاب، إذ كون الخطاب له ﷺ والمراد به أمته شائع في القرآن^(٤)، وقد اختاره: (ابن وهب، والطبري، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، والنسفي، وأبو السعود والطاهر بن عاشور)^(٥).

(١) سورة الإسراء: آية ٢٢.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (٧٢/١٥)، الوسيط للواحدي (١٠٢/٣).

(٣) انظر لبحر المحيط (١٩/٦)، وانظر النهر الماد (١٧/٦).

(٤) سورة الطلاق: آية ١.

(٥) انظر حاشية القونوي (٤٧٥٨١).

(٦) انظر الواضح لابن وهب (٤٥٣/١)، جامع البيان للطبري (٧٢/١٥)، الوسيط للواحدي (١٠٢/٣)،

القول الثاني:

أن المراد بالخطاب الإنسان كأنه قيل: أيها الإنسان لا تجعل مع الله إلهًا آخر لأن ما بعده ليس مما يصف به نبيه وحبيه ﷺ ولو على طريق الفرض والتقدير^(١).
وهذا ما رجحه أبو حيان ~ . وقد اختاره: (الفخر الرازي، وابن كثير، وابن عادل الحنبلي، والمراغي)^(٢).

الترجيح:

-والله تعالى أعلم- هو ما رجحه أبو حيان ومن وافقه من العلماء والمفسرين من أن المراد بالخطاب هو الإنسان ولا يشمل النبي ﷺ وذلك لدلالة السياق القرآني فهو من أقوى المرجحات لهذا الاختيار، قال الفخر الرازي: « وهذا الاحتمال عندي أولى، لأنه تعالى عطف عليه قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(٣) إلى قوله: ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾^(٤) وهذا لا يليق بالنبي ﷺ، لأن أبويه ما بلغا الكبر عنده فعلمنا أن المخاطب بهذا هو نوع الإنسان »^(٥).

= معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٢٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٤٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٦)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٥٤)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦٢٠)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٢٢)، التحرير والتنوير (٦/ ٦٤).

(١) انظر حاشية الشهاب على البضاوي (٦/ ٣٥).

(٢) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ١٤٦)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي كثير (٣/ ٣٧)، الباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٢/ ٢٤٦)، تفسير المراغي (٥/ ٣٠٣).

(٣) سورة الإسراء: آية ٢٣.

(٤) سورة الإسراء: آية ٢٣.

(٥) مفاتيح الغيب (٢٠/ ١٤٦).

قال - تعالى -: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^(١) وفيها مسألة واحدة:

[٩/٢٥] **المسألة: معنى (من) في قوله تعالى: ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾.**

رجح أبو حيان: أن (من) جاءت للتعليل، أي: اخفض لهما جناحك من أجل الرحمة؛ حيث قال ~ : «ومن الظاهر أنها للسبب أي: الحامل لك على خفض الجناح هو رحمتك لهما؛ إذ صارا مفتقرين لك حالة الكبر، كما كنت مفتقرًا إليهما حالة الصغر، قال أبو البقاء^(٢)،^(٣): ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أي: من أجل الرحمة، أي من أجل رفقك بهما فـ(من) متعلقة بـ(اخفض) ويجوز أن يكون حالاً من ﴿جَنَاحَ﴾^(٤)، وقال ابن عطية^(٥): ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ هنا لبيان الجنس، أي: إن هذا الخفض يكون الرحمة المستكنة في النفس، لا بأن يكون ذلك استعمالاً، ويصح أن يكون ذلك لا ابتداء الغاية انتهى^(٦).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في معنى (من) في قوله تعالى: ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ على أقوال منها:

القول الأول:

أنها جاءت للتعليل، فتعلق بـ«اخفض» أي: اخفض من أجل من الرحمة، وهذا ما رجحه

(١) سورة الإسراء: آية ٢٤.

(٢) عبدالله بن الحسين العكبري، أبو البقاء النحوي الضرير، عالم بالقراءات، والأدب، واللغة، والفرائض والحساب، توفي سنة ٦١٦ هـ، انظر إنباه الرواة (١١٦/٢)، سير أعلام النبلاء (٩١/٢٢).

(٣) انظر الإملاء (٩٠/٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٣٤٤/٧).

(٤) انظر الدر المصون للسمين الحلبي (٢٤٤/٧).

(٥) انظر المحرر الوجيز (٤٤٩/٣).

(٦) البحر المحيط (٢٦/٦).

أبو حيان ~ ، وقد اختار هذا القول: (الزمخشري، الفخر الرازي، الشوكاني)^(١).

القول الثاني:

أنها لبيان الجنس، قال ابن عطية: أي: إن هذا الخفض يكون من الرحمة المستكنة في النفس، واختاره: (الواحدي، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي)^(٢).

القول الثالث:

أنها تكون في محل نصب على الحال من ﴿جَنَاحَ الذُّلِّ﴾^(٣).

القول الرابع:

أنها لا بتداء الغاية، وقد حكاها: (ابن عطية، القرطبي، الألوسي، الطاهر بن عاشور، القاسمي)^(٤).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - أن (من) في قوله تعالى: ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ ابتداءً على سبيل التعليل ولا تحتل البیان حتى يقال: لو كان كذا لرجعت الاستعارة إلى التشبيه التجريدي - كقوله - تعالى: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾^(٥) - إذ جناح الذل ليس من الرحمة أبدًا بل خفض جناح الذل جائز أن يقال: إنه رحمة وهذا بيّن، يعني: أنه لو كان بيانًا لكان استعارة، ثم إنه بعد التنزل لا مجال له هنا^(٦).

(١) انظر الكشف (٣/٥٠٨)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢/١٥٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/٢٧١).

(٢) انظر الوسيط للواحدي (٣/١٠٤)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٤٩)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/١٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/١٥٩).

(٣) حاشية القونوي (١١/٤٨٢).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٤٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/١٥٩)، روح المعاني للألوسي (٨/٥٦)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/٧١)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/٥٨٣).

(٥) سورة البقرة: آية ١٨٧.

(٦) حاشية الشهاب (٦/٤٠).

قال الطاهر بن عاشور: « ومن ابتدائية: أي الذل الناشئ عن الرحمة لا عن الخوف أو عن المداينة، والمقصود اعتياد النفس على التخلق بالرحمة باستحضار وجوب معاملته إياهما بها حتى يصير له خلقاً » (١).



(١) التحرير والتنوير (٦ / ٧١).

قال - تعالى -: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ (٢٥) وفيها مسألة واحدة: (١)

[١٠/٢٦] **المسألة: المراد بالخطاب في قوله - تعالى -: ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾.**

رجح أبو حيان أن الخطاب عام لكل المكلفين، ويندرج تحت هذا العموم ما في النفس من البر والعقوق اندراجاً أولياً؛ حيث قال: «ثم قال - تعالى -: ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ أي: ذوي صلاح، ثم فرط منكم تقصير في عبادة أو بر، وأبتم إلى الخير فإنه غفور لما فرط من هتاتكم، والظاهر أن هذا عام لكل من فرط منه جنايته ثم تاب منها، ويندرج فيه من جنى على أبويه ثم تاب من جنايته، وقال ابن جبير: وهي في المارزة (١) تكون من الرجال إلى أبيه، لا يريد بذلك إلا الخير» (٢).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بالخطاب في قوله - تعالى -: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ على قولين:

القول الأول:

أن الخطاب خاص لما يجب للأبوين من البر ويحرم على الأولاد من العقوق ومن بدرت منه بادرة وهو لا يضمم العقوق، غفر له ذلك مستدلين بدلالة السياق وقد اختار هذا القول: (الطبري)، وابن أبي حاتم، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزنجشري،

(١) سورة الإسراء: آية ٢٥.

(٢) وفي المطبوع (المبارزة)، الأثر الوارد عن سعيد بن جبير أنه قال: البادرة تكون من الرجل إلى أبويه لا يريد بذلك إلا الخير، انظر جامع البيان للطبري (٨٠ / ١٥)، تفسير ابن أبي حاتم (٢٣٢٥ / ٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٩ / ٣).

(٣) البحر المحيط (٢٧ / ٦)، وانظر النهر الماد (٢٥ / ٦).

وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، وأبو السعود، وابن عادل، والقاسمي^(١).

القول الثاني:

إن الخطاب عام أي: بما في ضمائرکم من الإخلاص وعدمه في كل الطاعات، ومن التوبة من الذنب الذي فرط منكم، والإصرار عليه ويندرج تحت هذا العموم ما في النفس من البر والعقوق اندراجاً أولياً، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الفخر الرازي، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور)^(١).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه حيث:

١. القول بالعموم أولى حيث أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^(١).

٢. لأن القول بالعموم يشمل القولين ويندرج القول الأول الخاص تحت العام اندراجاً أولياً^(١).

(١) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (٨٠ / ١٥)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢٣٢٥ / ٧)، وبحر العلوم للسمرقندي (٣٠٨ / ٢)، والوسيط للواحدي (١٠٤ / ٣)، ومعالم التنزيل للبخاري (١٢٩ / ٣)، والكشاف للزمخشري (٥١١ / ٣)، والمحزر الوجيز لابن عطية (٤٤٩ / ٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٠ / ٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦٠ / ١)، مدارك التنزيل للنسفي ص ٦٢١، وتفسير العظيم لابن كثير (٣٩ / ٣)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٢٤ / ٤)، الباب لابن عادل (٢٦١ / ١٢)، محاسن التأويل للقاسمي (٥٨٤ / ٤).

(٢) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١٥٤ / ٢٠)، فتح القدير للشوكاني (٢٧٣ / ٣)، روح المعاني للآلوسي (٦١ / ١٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧٥ / ٦).

(٣) قواعد الترجيح لحسين الحربي (٥٢٧ / ٢).

(٤) انظر فتح القدير للشوكاني (٢٧٣ / ٣).

٣. في قوله - سبحانه - (نفوسكم) إيراد لضمير الجمع، وفيه تنبيه على أن الخطاب فيما مر لواحد غير معين فيعم جميع المكلفين عمومًا شموليًا لا على سبيل البدل وصيغة التفضيل بالنسبة إلى المخاطبين^(١).



(١) انظر حاشية القونوي (١١/ ٤٨٥).

قال - تعالى -: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذُرْ بَذِيرًا﴾^(١)
وفيها مسألة واحدة:

[١١/٢٧] المسألة: المراد بالخطاب ومعنى القرابة والحق:

رجح أبو حيان ~ أن الخطاب للعموم وليس خاص بالنبي ﷺ، وذو القربى هم: عموم قرابة الإنسان، وحقهم مجمل تخصصه السنة؛ حيث قال ~ : «لما أمر تعالى ببر الوالدين، أمر بصلة القرابة، قال الحسن: نزلت في قرابة الرسول ﷺ^(٢)، والظاهر أنه خطاب لمن خوطب بقوله: ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾^(٣) والحق هنا: ما يتعين له من صلة الرحم وسد الخلّة، والمواساة عند الحاجة بالمال، والمعونة بكل وجه، قال نحوه: ابن عباس^(٤) وعكرمة^(٥) والحسن^(٦) وغيرهم، وقال علي بن الحسين^(٧) فيها: هم قرابة الرسول ﷺ أمر بإعطائهم حقوقهم من بيت المال^(٨)،

(١) سورة الإسراء: آية ٢٦.

(٢) الذي روي عن الحسن أنه قال: (إنه قرابة الرجل من قبل أبيه وأمه)، انظر زاد المسير لابن الجوزي (٢١/٥).

(٣) سورة الإسراء: آية ٢٣.

(٤) انظر جامع البيان للطبري (٨٤/١٥)، تفسير ابن أبي حاتم (٢٣٢٥/٧)، الدر المنثور للسيوطي (٢٣٦/٥).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (٨٤/١٥)، معاني القرآن للنحاس (١٤٤/٤).

(٦) انظر تفسير الحسن (٨٢/٢)، جامع البيان للطبري (٨٤/١٥)، زاد المسير لابن الجوزي (٢١/٥)، الوسيط للواحدي (١٠٤/٣)، الدر المنثور للسيوطي (٢٣٨/٥)، وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٧) علي بن الحسين زين العابدين بن علي بن أبي طالب القرشي، أبو عبد الله الهاشمي العلوي، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، كان ثقة عابداً، صاحب صدقة سر، توفي سنة ٩٤ هـ. انظر طبقات بن سعد (٢١١/٥)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٨٦/٤).

(٨) انظر معالم التنزيل للبغوي (١٣٠/٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤٥٠/٣)، الجامع للقرطبي (١٦١/١٠).

والظاهر أن الحق هنا مجمل، وأن ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ﴾ عام في ذي القرباة فيرجع في تعيين الحق، وفي تخصيص ذي القرباة إلى السنة^(١).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في معنى قوله - تعالى -: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ على قولين:

القول الأول:

أنه قرابة الرجل من قبل أبيه وأمه، قاله: ابن عباس^(٢)، والحسن^(٣) وعلى هذا فالخطاب للكل، وذكر المفسرون للحق عدة معاني منها: برهم وصلتهم أو النفقة الواجبة لهم وقت الحاجة أو الوصية لهم عند الوفاة، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ولكنه رجح أن الحق عام ويرجع في تعيينه إلى السنة، وقد اختار هذا المعنى: (الطبري، والنحاس، والواحدي، والبغوي، والزخشري، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، وابن كثير، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي)^(٤).

القول الثاني:

أنهم قرابة الرسول ﷺ، فعلى هذا يكون حقهم: إعطاؤهم من الخمس، ويكون الخطاب للنبي ﷺ وللولاة أو من قام مقامهم، وهو قول علي بن الحسين^(٥)، والسدي^(٦).

(١) البحر المحيط (٢٧/٦)، وانظر النهر الماد (٢٩/٦).

(٢) سبق توثيقه انظر ص ٢٥٧.

(٣) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (٨٤/١٥)، معاني القرآن للنحاس (١٤٤/٤)، الوسيط للواحدي (١٠٤/٣)، معالم التنزيل للبغوي (١٣٠/٣)، الكشف للزخشري (٥١٢/٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤٥٠/٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١٥٤/٢٠)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦١/١٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٩/٣)، اللباب لابن عادل (٢٦٢/٢)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٢٥/٤)، فتح القدير للشوكاني (٢٧٤/٣)، روح المعاني للآلوسي (٦١/٨)، محاسن التأويل للقاسمي (٥٨٤/٤).

(٤) سبق توثيقه انظر ص ٢٥٧.

(٥) انظر جامع البيان للطبري (٨٤/١٥)، تفسير ابن أبي حاتم (٢٣٢٥/٧).

﴿ الترجيح ﴾

الراجح - والله تعالى أعلم - هو قول أبي حيان ومن وافقه بأن المراد بالأقارب: هم أقارب الرجل من قبل أبيه وأمه، والخطاب للكل، وذلك لما يأتي:

١. لدلالة السياق القرآني، فهذا الخطاب معطوف على قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(١)، والمعنى: بعد فراغك من بر الوالدين، يجب أن تشتغل ببر سائر الأقارب، الأقرب فالأقرب، ثم إصلاح أحوال المساكين، وأبناء السبيل^(٢)، والعدول عن الخطاب بالجمع في قوله: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ إلى الخطاب بالإنفراد في قوله: ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ تفنن لتجنب كراهة إعادة الصيغة الواحدة عدة مرات، والمخاطب غير معين فهو في معنى الجمع، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ لأنها من جملة ما قضى الله به^(٣).

٢. لقول النبي ﷺ: «يد المعطي العليا أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك»^(٤).

٣. أن القول - بأن المراد به أقارب النبي ﷺ لا يصح، لعدم ملائمة لما قبله، وأيضاً تخصيص بلا مخصص، وحقهم: توقيرهم ومحبتهم وإعطائهم الخمس، وما قيل الخطاب قرينة على ذلك. فضعيف، لأن الخطاب عام لكل من يصلح أن يخاطب به^(٥)، قال الطاهر بن عاشور: وليس لها تعلق بحقوق قرابة النبي ﷺ لأن حقوقهم في المال تقررت بعد الهجرة لما فرضت الزكاة، وشرعت الغنائم، والأفياء، وقسمتها؛ ولذلك حمل جمهور العلماء هذه الآية على حقوق قرابة النسب بين الناس^(٦).

(١) سورة الإسراء: ٢٣.

(٢) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١٥٤/٢٠).

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧٦/٦).

(٤) المسند (١٣٦/٣)، وقال الهيثمي في الزوائد: رجاله رجال الصحيح (٦٦/٣).

(٥) حاشية القونوي (٤٨٦/١١).

(٦) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧٧/٦).

قال - تعالى -: ﴿وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ أَبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾^(١)، وفيها مسألة واحدة:

[١٢/٢٨] **المسألة: معنى قوله:** ﴿وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ أَبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى الآية: إذا أعرضت عمن سألك ممن تقدم ذكرهم من الأقارب والمساكين.. لتعذره عندك ولإعسارك، فعلة الإعراض: هي الإعسار، والرحمة هي: الرزق؛ حيث قال ~ : «قال ابن عطية ﴿وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ﴾، قيل: نزلت في ناس من مزينة استحملوا الرسول، فقال: ﴿لَا أَحَدٌ مَّا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ فبكوا^(١)، وقيل: في بلال^(٢) وصهيب^(٣) وسالم^(٤) وخباب سألوهم ما لا يجد فأعرض عنهم^(٥)، وروي أنه عَلَيْهِ السَّلَام كان بعد نزول هذه الآية إذا لم يكن عنده ما يعطي وسئل قال: رزقنا الله وإياكم من فضله^(٦).

(١) سورة الإسراء: آية ٢٨.

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٢٢/٥)، الجامع للقرطبي (١٠/١٦٢)، الدر المنثور للسيوطي (٥/٢٣٩).

(٣) بلال بن رباح القرشي التيمي أبو عبدالله ويقال عبدالرحمن، ويقال: أبو عبدالكريم ويقال أبو عمرو، المؤذن مولى أبي بكر، كان من السابقين الأولين للإسلام توفي سنة ٢٠ هـ بالشام، انظر الإصابة (١/٣٢٦)، الطبقات الكبرى (٧/٣٨٥).

(٤) صهيب بن سنان بن خالد بن عمرو [وقيل غير ذلك في نسبه]، أبو يحيى، وقيل: أبو غسان النمري المعروف بالرومي، صحابي، بدري من السابقين للإسلام توفي سنة ٣٨ هـ في خلافة علي، وقيل: قبل ذلك بالمدينة، انظر الإصابة (٣/٤٤٩)، الطبقات الكبرى (٣/٢٢٦).

(٥) سالم مولى أبي حذيفة وهو سالم بن معقل من أهل فارس من اصطرخر وقيل من عجم الفرس كان مولى لامرأة من الأنصار بنت يعار زوجة أبي حذيفة، وبعد أن أعتقه أبو حذيفة تبناه ثم بعد نسخ التبني تولى أبا حذيفة ولازمه فعرف به، قتل يوم اليمامة سنة ١٢ هـ في خلافة الصديق رضي الله عنه أجمعين، الطبقات الكبرى (٣/٨٥)، الاستيعاب لابن عبدالبر (٢/٥٦٧).

(٦) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/٣٠٨)، المحرر الوجيز (٣/٤٥٠)، اللباب لابن عادل (١٢/٢٣٩).

(٧) انظر معنى القرآن الزجاج (٣/٢٢٧)، وذكره ابن حجر في الكافي الشاف (٢/٢٧٠)، ونسبه لابن حبان والحاكم عن أنس وإسناده ضعيف.

فالرحمة على هذا: الرزق المنتظر، وهو قول ابن عباس^(١) ومجاهد^(٢) وعكرمة^(٣)، وقال ابن زيد: الرحمة (الأجر والثواب)، وإنما نزلت الآية في قوم كانوا يسألون رسول الله ﷺ فيأبى أن يعطيهم^(٤)، لأنه كان يعلم منهم نفقة المال في فساد، فكان يعرض عنهم، وعنه في الأجر في منعهم: لئلا يعينهم على فسادهم، فأمره الله - تعالى - أن يقول لهم: ﴿قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ يتضمن الدعاء في الفتح لهم، والإصلاح انتهى من كلام ابن عطية^(٥). وقال الزمخشري: وإن أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد، فقل لهم: ﴿قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ ولا تتركهم غير مجابين إذا سألوك، وكان رسول الله ﷺ، إذا سئل شيئاً وليس عنده، أعرض عن السائل، وسكت حياء^(٦)، ويجوز أن يكون معنى: ﴿وَأَمَّا تَعْرِضَنَّ عَنْهُمْ﴾ وإن لم تنفعهم، وتدفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة، ولا يريد الإعراض بالوجه كناية بالإعراض عن ذلك، لأن من أبى أن يعطي، أعرض بوجهه^(٧) انتهى. والذي يظهر أنه تعالى لما أمر بإيتاء ذي القربى حقه ومن ذكر معه، ونهاه عن التبذير قال: وإن لم يكن منك إعراض عنهم، فالضمير عائد عليهم، وعلل الإعراض بطلب الرحمة وهي كناية عن الرزق والتوسعة،

- (١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٥٠)، الجامع للقرطبي (١٠/ ١٦٢)، الدر المنثور (٥/ ٢٤٠).
- (٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٨٨)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٦)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٣٩)، الدر المنثور (٥/ ٢٤٠).
- (٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٨٨)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٤٥).
- (٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٨٩)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٣٩)، المحرر الوجيز (٣/ ٤٥٠)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٦٢).
- (٥) المحرر الوجيز (٣/ ٤٥٠).
- (٦) قال الزيلعي في تخريج الكشاف: غريب (٢/ ٢٧٠)، وقد أخرجه ابن حبان في (١١/ ١٦٦)، والحاكم في المستدرک (٢/ ١٣٠)، من طريق حماد بن سلمة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك - (رضي الله عنه) أن هوازن جاءت يوم حنين بالنساء والصبيان... الحديث، وفيه [وكان لا يسأل إلا أعطاه أو سكت]. وعند الطبراني في الأوسط (٨/ ٣٧٦ - ٣٧٧) من حديث علي قال: كان النبي ﷺ إذا سئل شيئاً فأراد أن يفعله قال: نعم، وإذا أراد ألا يفعل سكت... وفيه قصة طويلة قال الحافظ ابن حجر: وإسناده ضعيف، انظر الكاف الشاف لابن حجر، حاشية الكشاف (٣/ ٥١٣).
- (٧) الكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٣).

وطلب ذلك ناشئ عن فقدان ما يجود به، ويؤتيه من سألته، وكأن المعنى: وإن تعرض عنهم لإعسارك، فوضع المسبب وهو ابتغاء الرحمة موضع السبب وهو الإعسار.. وقال ابن جبير: الضمير في (عنهم) عائد على المشركين^(١)، والمعنى: ﴿وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ﴾ لتكذيبهم إياك ﴿أَبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ﴾ أي: نصر لك عليهم أو هداية من الله لهم، وعلى هذا القول الميسور: المداراة لهم باللسان قاله: أبو سليمان الدمشقي^(٢) «^(١)».

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في معنى قوله -تعالى-: ﴿وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ﴾ على عدة أقوال منها:

القول الأول:

إذا أعرضت عمن سألك ممن تقدم ذكرهم من الأقارب والمساكين وأبناء السبيل.. لتعذره عنك، ولإعسارك، و﴿أَبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ أي: انتظاراً لرزق منه ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّسُورًا﴾ أي: عدهم خيراً ورد عليهم ردّاً جميلاً، فعلة الإعراض: هي الإعسار والرحمة: الرزق، واختار هذا القول: (الطبري، والزجاج، والواحدي، وابن عطية، والقرطبي، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني)^(٣)، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ .

(١) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٢٢/٥).

(٢) عبد الرحمن بن ميسرة الكلبي، ويقال: الحضرمي، أبو سليمان الدمشقي، من كبار التابعين مقبول، من السابقة التقريب (٣٥١/١).

(٣) البحر المحيط (٢٧/٦-٢٨)، وانظر النهر (٢٩/٦).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (٨٩/١٥)، معاني القرآن للزجاج (٢٣٥/٣)، الوسيط للواحدي (١٠٥/٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤٥٠/٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦٢/١٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٠/٣)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٢٥/٤)، فتح القدير (٢٧٥/٣).

القول الثاني:

إذا أعرضت عمن سألك ممن تقدم ذكرهم حذراً أن ينفقه في معصية فمنعته ابتغاء رحمة له فقل لهم قولاً ميسوراً، أي: ليناً سهلاً، فعلة الإعراض: خوف إنفاقهم ذلك في معصية الله، والرحمة هي: الصلاح والتوبة، وهو قول ابن زيد^(١)، واختاره: المهايمي^(٢).

القول الثالث:

إن أعرضت عن القريب والمسكين وابن السبيل حياء من الرد، ورحمة لهم، فقل لهم قولاً ميسوراً، فوضع الابتغاء موضع الفقد لأن فاقد الرزق مبتغ له، فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء، مسبباً عنه، فوضع المسبب موضع السبب، وقد أختار هذا القول: (السمرقندي، والزنجشري، والرازي، والنسفي، وابن عادل، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي)^(٣).

القول الرابع:

إذا أعرضت عن المشركين لتكذيبهم، إذا الرحمة: انتظار النصر عليهم، والهداية لهم، قاله: سعيد بن جبير^(٤)، وعلى هذا فالقول الميسور هو: المداراة لهم باللسان، وقاله أبو سلمان الدمشقي^(٥).

(١) سبق توثيقه انظر ص ٢٦١ .

(٢) على بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل المهايمي، من كبار علماء الهند من قرية ميهام التي تبعد عن مدينة بومباي بثلاثة أميال عاش ومات فيها سنة ٨٣٥هـ، انظر الأعلام للزركلي (٤/ ٢٥٧).

(٣) انظر محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٨٤).

(٤) انظر بحر العلوم (٢/ ٣٠٨)، الكشاف للزنجشري (٣/ ٥١٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ١٥٠٥)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦٢١)، الباب لابن عادل (١٢/ ٢٦٤)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٦٢)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٨٣)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٨٤).

(٥) سبق توثيقه انظر ص ٢٦٢ .

القول الخامس:

أنهم أناس من مزينة جاؤوا يستحملون رسول الله ﷺ فقال: لا أجد ما أحملكم عليه، فبكوا فنزلت الآية، قاله الخرساني^(١) فالرحمة هنا بمعنى: الفيء^(٢).

القول السادس:

أنها نزلت: في خباب، وبلال، وعمار، ونحوهم، من الفقراء، كانوا يسألون رسول الله ﷺ فلا يجد ما يعطيهم، فيعرض عنهم ويسكت، قاله مقاتل^(٣)، فالرحمة هنا بمعنى: الرزق.

الترجيح:

والراجح - والله تعالى أعلم - هو رأي أبي حيان ومن وافقه من العلماء بأن معنى قوله - تعالى -: ﴿وَمَا تُعْرِضَنَّهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: إن أعرضت عن ذي القربى، والمسكين، وابن السبيل؛ لأمر اضطررك إلى ذلك الإعراض ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: لفقد رزق ربك، ولكنه أقام المسبب الذي هو ابتغاء رحمة الله مقام السبب الذي هو فقد الرزق؛ لأن فاقد الرزق مبتغ له، وإن أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح الله به عليك ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّسُورًا﴾ أي: قولاً سهلاً ليناً، كالوعد الجميل، أو الاعتذار المقبول، قال الكسائي^(٤): يسرت له القول أي: ليتته. قال الفراء: معنى الآية إن تعرض

(١) عطاء الله أبي مسلم: مسرة، وقيل: عبدالله، أبو عثمان أو أبو أيوب أو أبو محمد أو أبو صالح الخرساني البلخي، مولى المهلب، من صغار التابعين، صدوق، يهيم كثيراً ويرسل ويدلس، توفي سنة ١٣٥ هـ، انظر التاريخ الكبير (٦/ ٤٧٠).

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٢٢).

(٣) قال الألوسي: أن هذا غير ظاهر بناء على ما سمعت من أن هذه السورة مكية والآية المذكورة ليست من المستثنيات (روح المعاني ٨/ ٦٣).

(٤) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٠٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٢٢).

(٥) علي بن حمزة، أبو الحسن الكسائي، أحد القراء السبعة، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات، وهو إمام الكوفيين في النحو، توفي بالري سنة ١٨٩ هـ انظر معرفة القراء الكبار (٧٢)، وغاية النهاية (١/ ٥٣٥).

عن السائل إضافة وإعساراً فقل لهم قولاً ميسوراً، عدهم عدة حسنة^(١)، ويجوز أن يكون المعنى: وإن تعرض عنهم ولم تنفعهم لعدم استطاعتك فقل لهم قولاً ميسوراً^(٢)، قال الطبري: « وهذا القول الذي ذكرنا عن أبي زيد^(٣) مع خلافه لأقوال أهل التأويل في تأويل هذه الآية، بعيد المعنى، مما يدل عليه ظاهرها، وذلك أن الله - تعالى - قال لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا تُعْرِضَنَّهُمْ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ فأمره أن يقول إذا كان إعراضه عن القوم الذين ذكرهم انتظار رحمة منه يرجوها من ربه ﴿قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ وذلك الإعراض ابتغاء الرحمة، لن يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون إعراضاً منه ابتغاء رحمة من الله يرجوها لنفسه، فيكون معنى الكلام كما قلنا، وقاله أهل التأويل، وخلاف قوله أن يكون إعراضاً منه ابتغاء رحمة من الله يرجوها للسائلين الذين أمر نبي الله ﷺ بزعمه أن يمنعهم ما سألوه خشية عليهم من أن ينفقوه في معاصي الله، فمعلوم أن سخط الله على من كان غير مأمون منه صرف ما أُعطي من نفقة ليتعدى بها على طاعة الله في معاصيه، أخوف من رجاء رحمته له، وذلك أن رحمة الله إنما ترجى لأهل طاعته لا لأهل معاصيه، إلا أن يكون أراد توجيه ذلك إلى أن نبي الله ﷺ أمر بمنعهم ما سألوه، لينبوا عن معاصي الله، ويتوبوا بمنعه إياهم ما سألوه، فيكون ذلك وجهاً يحتمله تأويل الآية، وإن كان لقول أهل التأويل مخالفاً^(٤))).

(١) انظر معاني القرآن للفراء (١٢٢/٢).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٢٧٥/٣).

(٣) سبق توثيقه انظر ص ٢٦١.

(٤) انظر جامع البيان للطبري (٨٩/١٥).

قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾^(١) وفيها ثلاث مسائل:

[١٣/٢٩] المسألة الأولى: المراد بالإسراف في القتل:

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالإسراف في القتل هو: ما كانت تفعله الجاهلية من قتل الجماعة بالواحد، وقتل غير القاتل، والمثلة، ومكافأة الذي يقتل من قتله؛ حيث قال ~: «والإسراف المنهي عنه أن يقتل غير القاتل قاله: (ابن عباس والحسن)^(١)، أو يقتل اثنين بواحد قاله: ابن جبير^(٢)، أو أشرف من الذي قتل قاله: ابن زيد^(٣) أو يمثل، قاله: قتادة، أو يتولى هو قتل القاتل دون السلطان، ذكره الزجاج^(٤) وقال أبو عبد الله الرازي: (السلطنة مجملة يفسرها ﴿كُنِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ﴾^(٥) ويدل عليه أنه مخير بين القصاص والدية، وقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الَّذِينَ قَتَلُوا آبَاءَكُمْ﴾^(٦)، فمعنى (الإسراف في القتل) لا يقدم على استيفاء القتل، ويكتفي بأخذ الدية أو يميل إلى العفو، ولفظة (في) محمولة على الباء: أي فلا يصير مسرفاً بسبب

(١) سورة الإسراء: آية ٣٣.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (٩٦/١٥ - ٩٧)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢٣٢٩/٧)، معاني القرآن للنحاس (١٥/٤)، النكت والعيون للماوردي (٢٤١/٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٢٥/٥)، الجامع للقرطبي (١٦٦/١٠)، الدر المنثور للسيوطي (٢٤٨/٥).

(٣) وفي المطبوع (أبو زيد).

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج (٢٣٧/٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٢٥/٥).

(٥) سورة البقرة: آية ١٧٨.

(٦) أخرجه الترمذي كتاب الديات، باب ولي القتل في القصاص والعفو (٢١/٤)، وقال الترمذي: حسن صحيح، قال الألباني صحيح ولفظه (إنكم معشر خزاعة قتلتم هذا الرجل من هذيل وإني عاقله فمن قتل قتيل بعد اليوم فأهله بين خيرتين إما أن يقتلوا أو يأخذوا العقل)، وعند مسلم في كتاب الحج باب تحريم مكة، (٩٨٨/٢) ولفظه (من قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما أن يعطي وإما أن يفاد أهل القتل).

إقدامه على القتل ويكون معناه الترغيب في العفو، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(١) انتهى ملخصاً^(٢)، ولو سلم أن (في) بمعنى الباء لم يكن صحيح المعنى، لأن من قتل بحق قتل موليه لا يصير مسرفاً بقتله، وإنما الظاهر - والله أعلم - النهي عما كانت الجاهلية تفعله من قتل الجماعة بالواحد، وقتل غير القاتل والمثلة ومكافأة الذي يقتل (لمن)^(٣) قتله وقال مهلهل^(٤) حين قتل بجير بن الحارث بن عباد^(٥): بؤ بشسع نعل كليب^(٦) «^(٧)»^(٨).

♦ الدراسة والموازنة:

أختلف المفسرون في المراد بالإسراف في القتل على عدة أقوال منها:

- (١) سورة البقرة آية: ١٧٨.
- (٢) مفاتيح الغيب (١٦٢/٢٠).
- (٣) وفي المطبوع (من).
- (٤) مهلهل بن ربيعة التغلبي، واسمه عدي وإنما قيل له مهلهل لأنه أول من أرق الشعر وقصده فيما ذكروا، أنظر التمهيد لابن عبد البر (٤٨٢/٦) أخو كليب بن ربيعة التغلبي وهو كليب بن ربيعة التغلبي، وهو كليب وائل الذي يضرب به المثل في العز، فيقال أعز من كليب وائل، وكليب وأخوه مهلهل هما خالا امرئ القيس بن حجر الكندي، انظر معجم الشعراء (٧٨/١)، طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجهمي (٣٩/١).
- (٥) ذكر أبو عبيد أن مهلهلاً بن ربيعة لما قتل ابن أخيه بجيرا بن الحارث بن عباد في الحرب التي كانت بين بكر وتغلب ابني وائل وهي حرب البسوس وبلغ ذلك الحارث وكان قد تخلف عن حربهم قال: نعم القتل قتيلاً أصلح الله بين ابني وائل، فقيل له: إن مهلهلاً لما قتله قال: بؤ بشسع نعل كليب فعندها قال الحارث: الأمور مخلوجة وليست بسلكي، انظر فصل المثال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري (٣٠٥/١).
- (٦) قول (بؤ بشسع نعل كليب) في يقال بؤ به أي كن ممن يقتل به وفيه البواء: السواء، وفيه الشسع: واحد شسوع النعل التي تشد إلى زمامها، انظر لسان العرب (٣٦/١) وكانوا يقتلون غير القاتل إذا لم يكن به بواء.
- (٧) البحر المحيط (٣٠/٦)، وانظر النهر (٣٢/٦).

القول الأول:

أن يقتل غير القاتل، قاله: ابن عباس^(١) واختاره: (الفراء، والسمرقندي، الطاهر بن عاشور)^(٢).

القول الثاني:

أن يقتل اثنين بواحد، قاله: سعيد بن جبير^(٣).

القول الثالث:

أن يقتل أشرف من الذي قتل، قاله: ابن زيد^(٤).

القول الرابع:

أن يمثل بالمقتول، وهو قول قتادة^(٥).

القول الخامس:

أن يتولى هو قتل القاتل دون السلطان، اختاره الزجاج^(٦).

القول السادس:

النهي عما كانت الجاهلية تفعله من هذه الأمور جميعها أو بسطها مثل قتل الجماعة للواحد وقتل غير القاتل، والمثلة، ومكافأة الذي يقتل من قتله، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وهو ما اختاره: (الطبري، البغوي، وابن عطية والقرطبي، والنسفي، ابن عادل،

(١) سبق توثيقه أنظر ص ٢٦٦.

(٢) انظر معاني القرآن للفراء (١٢٣/٢)، بحر العلوم للسمرقندي (٣١٠/٢)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٩٤/٦).

(٣) سبق توثيقه أنظر ص ٢٦٦.

(٤) سبق توثيقه أنظر ص ٢٦٦.

(٥) سبق توثيقه أنظر ص ٢٦٦.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج (٢٣٧/٣).

أبو السعود، والآلوسي، والسعدي، والمراغي) (١).

القول السابع:

أن (في) بمعنى الباء أي لا يصير مسرفاً بسبب إقدامه على القتل، أي معناه الترغيب في العفو، وقد اختاره الفخر الرازي (٢)، وقد ضعف أبو حيان هذا القول، وقال: إن من قتل بحق قاتل موليه لا يصير مسرفاً بقتله (٣).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو قول أبي حيان ~ ومن وافقه من جمهور المفسرين بأن معنى الإسراف في القتل هو ما كانت تفعله الجاهلية، ويدخل فيها كل أوجه التأويل التي ذكرها السلف - رحمهم الله - وذلك:

١- لاحتمال الكلام ذلك، وإن في نهي الله - جل ثناؤه - بعض خلقه عن الإسراف في القتل، نهى منه جميعهم عنه (٤)، قال القفال (٥): ولا يبعد حمله على الكل، لأن جملة هذه المعاني مشتركة في كونها إسرافاً (٦)، والإسراف مجاوزة الحد، إما أن يمثل بالقاتل، أو يقتله بغير ما قتل به، أو يقتل غير القاتل (٧).

(١) انظر جامع البيان للطبري (٩٧/١٥)، معالم التنزيل للبغوي (١٣٢/٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤٥٣/٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦٦/١٠)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦٢٢)، اللباب لابن عادل (٢٧٥/١٢)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٢٨/٤)، روح المعاني للآلوسي (٦٨/٨)، تفسير الكريم الرحمن للسعدي (٧٩/٣)، تفسير المراغي (٣١٢/٥).

(٢) سبق توثيقه أنظر ص ٢٦٧.

(٣) جامع البيان للطبري (٩٧/١٥).

(٤) القفال: محمد بن علي بن إسماعيل أبو بكر الشاشي، الفقيه الأديب المعروف بالقفال، أحد أئمة الشافعية، انظر سير أعلام النبلاء (٢٨٣/١٦)، طبقات الشافعية (٢٠٠/٣).

(٥) انظر مفاتيح للفخر الرازي (١٦٢/٢٠).

(٦) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٧٩/٣).

٢- الحمل على العموم أولى؛ لأن القرآن حمال ذو وجوه ومعاني كثيرة، ولا ينبغي تفسير الإسراف في القتل بأحد الأوجه التي ذكرها السلف، بل يجب الجمع بينها، واعتبار أن هذا الاختلاف هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، فكلُّ فسر الإسراف: بأحد الأوجه الموجودة في الجاهلية.



[١٤/٣٠] المسألة الثانية: المشار إليه في قوله: ﴿فَلَا يُسْرِفَ فِي الْقَتْلِ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن المشار إليه في قوله ﴿فَلَا يُسْرِفَ فِي الْقَتْلِ﴾: هو ولي المقتول؛ حيث قال ~: «والظاهر عود الضمير (في يسرف) على الولي...، وأبعد من ذهب إلى أن الضمير في ﴿فَلَا يُسْرِفَ﴾ ليس عائداً على الولي، وإنما يعود على العامل الدال عليه ﴿وَمَنْ قُتِلَ﴾ أي: لا يسرف في القتل تعدياً وظلماً، فيقتل من ليس له قتله، وقرأ الجمهور^(١) (فلا يسرف) بياء الغيبة، وقرأ الأخوان^(٢)، وزيد بن علي^(٣)، وحذيفة^(٤) وابن وثاب^(٥)، والأعمش^(٦)، ومجاهد بخلاف، وجماعة، وفي نسخة: من تفسير ابن عطية، وابن عامر^(٧)، وهم بتاء الخطاب بخلاف، والظاهر أنه خطاب الولي، فالضمير له، وقال الطبري^(٨): الخطاب للرسول ﷺ والأئمة من بعده أي: لا تقتلوا غير القاتل انتهى»^(٩).

(١) قرأ: نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم ووافقهم ابن عامر بياء الغيبة، انظر الكنز ص (١٨٦)، والإرشاد ص (٤٠٩)، تقريب النشر ص (٢٨٨)، النشر (٢/٣٠٧)، الإتحاف (٢/١٩٧).

(٢) الأخوان هم: حمزة والكسائي.

(٣) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين المدني ثقة من الرابعة وهو الذي ينسب إليه الزيدية، خرج في خلافة هشام بن عبد الملك فقتل في الكوفة سنة ١٢٢ هـ، انظر التقريب (١/٢٢٤)، تهذيب التهذيب (٣/٣٦٢).

(٤) حذيفة بن حِسل بن جابر العبسي، والبيان لقب حِسل بن جابر، أبو عبدالله، صحابي، من الولاة الشجعان الفاتحين، صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين، لم يعلمهم أحد غيره، توفي سنة ٣٦ هـ. انظر أسد الغابة (١/٥٧٢)، الحلية (١/٣٣٨).

(٥) يحيى بن وثاب، تقدمت ترجمته ص ٨٥.

(٦) سليمان بن مهران الأعمش، أبو محمد الأسدي الكاحلي مولا هم الكوفي الإمام الجليل، أخذ القراءات عرضاً عن إبراهيم النخعي وزر بن حبيش وعاصم ويحيى بن وثاب وغيرهم، روى القراءات عنه عرضاً حمزة الزيات وابن أبي ليلى وجماعة، مات سنة ١٤٨ هـ، انظر الكاشف (١/٣٢٠)، غاية النهاية (١/٣١٥). (٣١٦).

(٧) لم يقرأ ابن عامر بالتاء فهو شاذ عنه وقراءته كما سبق بالياء انظر هامش رقم (١) في نفس الصفحة.

(٨) انظر جامع البيان للطبري (١٥/٩٥).

﴿الدراسة والموازنة﴾

اختلف المفسرون في المشار إليه في قوله - تعالى -: ﴿فَلَا يُسْرِفَ فِي الْقَتْلِ﴾ على أقوال منها:

القول الأول:

أنه ولي المقتول لا يتعدى أمر الله، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ واختاره: (الفراء، والنحاس، والواحدي، والبغوي، والزخشي، وابن عطية، وابن كثير، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والسعدي، والمراغي) ^(١).

القول الثاني:

أن الإشارة إلى القاتل الأول، والمعنى: فلا يسرف القاتل بالقتل تعدياً وظلماً، وهو قول مجاهد ^(٢).

القول الثالث:

أنه العامل الدال عليه أي: لا تقتل بالمقتول ظلماً غير قاتله، واختاره: الطبري ^(٣).

﴿الترجيح﴾

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ومن وافقه من المفسرين بأن المشار إليه بالنفي فلا قوله - تعالى -: ﴿فَلَا يُسْرِفَ فِي الْقَتْلِ﴾ هو ولي المقتول، وذلك لما يلي:

١. يعود الضمير على أقرب مذكور؛ حيث قال - تعالى -: ﴿وَلَا نَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي

(١) البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٣٠-٣١) باختصار يسير، وانظر النهر الماد (٦/ ٣٢).

(٢) انظر ترتيبه على النحو التالي: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٣٢)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٥٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٠٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٣١)، الكشاف للزخشي (٣/ ٥١٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٥٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤٢)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ٧٩)، تفسير المراغي (٥/ ٣١٢).

(٣) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٥١)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٢٥).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٩٥).

حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾^(١) وبذلك تتحد الضمائر في الآية وفق السياق القرآني.

٢. عود الضمير إلى الولي مظنة الإسراف في القتل بحسب ما تعودده أهل الجاهلية، وعلى ما ترجح في معنى الإسراف في القتل^(١)، فهو أيسر، وأقوى، وأظهر، ويؤيده قول ابن عباس } : (بَيِّنَةٌ مِنْ اللَّهِ وَكَجَلْ أَنْزَلَهَا، يَطْلُبُهَا وَلِي الْمَقْتُولِ الْعَقْلُ، أَوِ الْقَوْدُ، وَذَلِكَ السُّلْطَانُ)^(٢)، ولقد قرأ الجمهور (يسرف) بياء الغيبة فيعود الضمير على الولي، وأما على قراءة حمزة، والكسائي، وخلف، (تسرف) بقاء الخطاب، فهو للولي أيضاً، إلا أنه يحتاج فيه إلى تحويل المخاطبة فيكون في الآية التفات من الغيبة إلى الخطاب، اهتماماً بالأمر^(٣).



(١) سورة الإسراء: آية ٣٣.

(٢) انظر الراجح في معنى الإسراف في القتل في ص ٢٦٩

(٣) انظر جامع البيان للطبري (٩٤ / ١٥)، وابن أبي حاتم (٢٣٢٩ / ٧)، العقل: الدية، وعاقلة الرجل عصبته، والقود: القصاص. انظر أنيس الفقهاء في تعريف الألفاظ المتداولة بين الفقهاء ص (٢٩٢)، ص (٢٩٦).

(٤) انظر معاني النحاس (١٥٢ / ٤).

[١٥/٣١] المسألة الثالثة: مرجع الضمير في قوله - تعالى - : ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن مرجع الضمير في قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ عائذ على الولي لا على المقتول ولا على القاتل ولا القاتل؛ حيث قال ~ : «والضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ عائذ على الولي لتناسق الضمائر، ونصره إياه بأن أوجب له القصاص، فلا يستزاد على ذلك، أو نصره بمعونة السلطان، وبإظهار المؤمنين على استيفاء الحق، وقيل: يعود الضمير على المقتول، نصره الله حيث أوجب القصاص بقتله في الدنيا، ونصره بالثواب في الآخرة، قال ابن عطية: وهو أرجح؛ لأنه المظلوم، ولفظه النصر تقارن الظلم، - كقوله عليه السلام -، (ونصر المظلوم وإبرار القسم)^(١) وكقوله: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)^(٢) إلى كثير من الأمثلة، وقيل: على القاتل، وقال أبو عبيد: على القاتل، لأنه إذا قتل في الدنيا وخلص بذلك من عذاب الآخرة فقد نصر، وهذا ضعيف بعيد القصر^(٣). وقال الزمخشري: وإنما يعين أن يكون الضمير في أنه الذي يقتله الولي بغير حق، ويسرف في قتله، فإنه منصور بإيجاب القصاص على المسرف. انتهى^(٤)، وهذا بعيد جداً^(٥).

(١) تخريج الحديث: صحيح البخاري كتاب المظالم، باب نصر المظلوم (٢/٨٦٣) ونص الحديث: عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: (أمرنا النبي ﷺ بسبع ونهانا عن سبع فذكر (عيادة المريض وإتباع الجنائز وتشميت العاطس ورد السلام ونصر المظلوم وإجابة الداعي، وإبرار القسم).

(٢) تخريج الحديث: صحيح البخاري: كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً (٢/٨٦٣)، ونص الحديث: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) قالوا يا رسول الله هذا نصره مظلوماً فكيف نصره ظالماً قال: (تأخذ فوق يديه) وفي روايه قال: (تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره).

(٣) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٥٣).

(٤) انظر الكشف (٣/٥١٦).

(٥) البحر المحيط (٦/٣١). وانظر النهر الماد (٦/٣٢).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في هاء الكناية في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ على عدة أقوال منها:-

القول الأول:

أنها ترجع إلى الولي، فالمعنى: إنه كان منصورًا بتمكينه من القود، قاله قتادة^(١) والجمهور^(٢)، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ واختاره: (الطبري، والسمرقندي، والواحدي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، السعدي)^(٣).

القول الثاني:

أنها ترجع إلى المقتول، فالمعنى: إنه كان منصورًا بقتل قاتله، قاله مجاهد^(٤) واختاره: (الزجاج، والنحاس، والبغوي، وابن عطية)^(٥).

(١) انظر جامع البيان للطبري (٩٧/١٥)، النكت والعيون للماوردي (٣/٢٤١)، اللباب لابن عادل (٢٧٦/١٢).

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٢٥/٥).

(٣) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (٩٧/١٥)، بحر العلوم للسمرقندي (٣١٠/٢)، الوسيط للواحد (١٠٧/٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٦/١٠)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦٢٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٢/٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/٢٧٧)، روح المعاني للآلوسي (٦٨/٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٩٤/٦) محاسن التأويل للقاسمي (٤/٥٨٨)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/٧٨).

(٤) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٧/٢٣٢٩)، النكت والعيون للماوردي (٣/٢٤١)، اللباب لابن عادل (٢٧٦/١٢)، الدر المنثور (٥/٢٤٨).

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/٢٣٨)، معاني القرآن للنحاس (٤/١٥١)، مدارك التنزيل للبغوي (٣/١٣٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٥٣).

القول الثالث:

أنها ترجع إلى الدم، فالمعنى: إن دم المقتول كان منصورًا، أي: مطلوبًا به^(١).

القول الرابع:

أنها ترجع إلى القتل، وذكر القولين الفراء^(٢).

القول الخامس:

أنها ترجع للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله، فإنه منصور بإيجاب القصاص على المسرف، ذكر هذا القول الزمخشري^(٣) وقد ضعفه أبو حيان ~ .

القول السادس:

أنها ترجع على القاتل لأنه إذا قتل في الدنيا وخلص بذلك من عذاب الآخرة فقد نصر، قاله أبو عبيد^(٤)، وقد ضعف ابن عطية^(٥) وأبو حيان^(٦) هذا القول، لأنه بعيد المقصد.

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من العلماء بأن هاء الكناية ترجع إلى الولي وإليه تعود وذلك لما يلي:

- ١- لتناسب الضمائر كما ذكر أبو حيان؛ حيث أن معنى الآية ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانًا، فلا يسرف هذا الولي في القتل؛ لأن هذا الولي منصور من عند الله، قال الطاهر ابن عاشور: (وجملة ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ تعليل للكف عن الإسراف في القتل)^(٧).
- ٢- لأن هذا الولي هو المظلوم، ووليه المقتول وهو إلى ذكره أقرب من ذكر المقتول، وهو المنصور أيضًا، لأن الله - جل ثناؤه - قضى في كتابه المنزل، أن سلطه على قاتل وليه، وحكمه فيه، بأن جعل إليه قتله إن شاء، واستبقاه على الدية إن أحب، والعفو عنه إن رأى،

(١) انظر جامع البيان للطبري (٩٧/٧٥).

(٢) انظر معاني القرآن للفراء (١٢٣/٢).

(٣) سبق توثيقه انظر ص ٢٧٤

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٩٦/٦).

وكفى بذلك نصرة له من الله جل ثناؤه^(١).

٣- يؤيد هذا المعنى ما جاء في القراءة التفسيرية قراءة أبي بن كعب: (ولا تسرفوا في القتل إن ولي المقتول كان منصوراً)^(٢).

وأما من قال بأن هذه القراءة تعود على الولي أو المقتول لأن القاتل متعدد في النظم في قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا﴾ فإن الولي في الآية عام فهو في معنى الأولياء فيجوز جمع ضميره وبهذا الاعتبار يكون التفاتاً وتوافق القراءتين ليس بلازم^(٣).



(١) انظر جامع البيان للطبري (٩٨/١٥).

(٢) انظر معاني القرآن للنحاس (١٥١/٤)، مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ص (٨٠)، الدر المنثور للسيوطي (٢٤٨/٥).

(٣) روح المعاني للآلوسي (٦٨/٨).

قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦)، وفيه مسألتان:

[١٦/٣٢] المسألة الأولى: معنى قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى لا تقف أي: لا تتبع ما لا علم لك به من قول، أو فعل، فهو نهي عن الحكم بما لا يكون معلوماً؛ حيث قال:

«ومعنى ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ لا تتبع ما لا علم لك به من قول أو فعل، [يقول ما لا يعلم، وأن يعمل بما لا يعلم] (١) بما لا نعلم، ويدخل فيه النهي عن إتباع التقليد، لأنه إتباع بما لا يعلم صحته، وقال ابن عباس: معناه: لا ترم أحداً بما لا تعلم (٢)، وقال قتادة: لا تقل رأيت ولم تره، وسمعت ولم تسمعه، وعلمت ولم تعلمه (٣)، وقال محمد بن الحنفية (٤): لا تشهد بالزور (٥)، وقال ابن عطية: ولا تقل، لكنها [لفظة] (٦) تستعمل في القذف والعصاة انتهى (٧)، وفي الحديث (من قفا مؤمناً بما ليس فيه، حبسه الله في ردغة الخبال) (٨) حتى يأتي

(١) سورة الإسراء: آية ٣٦.

(٢) وفي المطبوع (نقول ما لا نعلم، وأن نعمل بما لا نعلم).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/١٠٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/٢٦)، الدر المنثور للسيوطي (٥/٢٥٠).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/١٠٠)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/٢٣٣١)، الدر المنثور للسيوطي (٥/٢٥٠).

(٥) محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب، والحنفية أمه، كنيته أبو القاسم ويقال أبو عبدالله، كان من أفاضل أهل البيت مات برضوى سنة ٧٣هـ، ويقال سنة ٨٠هـ وهو ابن خمس وستين سنة ودفن بالبقيع، انظر تهذيب التهذيب (٩/٣١٥)، التاريخ الكبير للبخاري (١/١٨٢).

(٦) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٧/٢٣٣١)، معاني القرآن للنحاس (٤/١٥٥)، الدر المنثور للسيوطي (٥/٢٥٠).

(٧) وفي المطبوع (كلمة).

(٨) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٥٥).

(٩) ردغة الخبال: الردغة بفتح الدال وبالهاء هي الماء والطين والوحل وجمعها رداغ، وأصل الخبال: الفساد ثم

بالمخرج^(١)، وقال في الحديث أيضاً:

(نحن بنو النضر بن كنانة لا [نقفو أمنا]^(٢)، ولا نتقي من أبينا)^(٣).

ومنه قول النابغة الجعدي^(٤):

وَمِثْلُ الدُّمَى شُمُّ الْعَرَانِينَ سَاكِنٌ بِهِنَ الْحَيَا لَا يَتْبَعَنَّ التَّقَايَا^(٥)

وقال الكميت^(٦):

= استعمل في النقصان والهلاك، والخبال: صديد أهل النار. انظر تاج العروس (٧٠١٨)، لسان العرب (٤٢٦/٨)، وردغة الخبال: الشيء المختلط من صديد وعصارة أهل النار، انظر غريب الحديث لابن الجوزي (٢٩٠/١)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٥١٥/٢).

(١) تخريج الحديث: أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأقضية باب فيمن يعين على خصرمة من غير أن يعلم أمرها (٣٠٥/٣)، والحاكم في المستدرک (٢٧/٢)، كلاهما من طريق عمارة بن غزية عن يحيى بن راشد عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ (من حالت شفاعته... وفيه، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه، حبس في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج مما قال)، وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) وفي المطبوع (لا تقفو منا).

(٣) تخريج الحديث: أخرجه رواه ابن ماجه (٢٦/٢)، وأحمد (٢١٢، ٢١١/٥)، والطيالسي (١٠٤٩) واللفظ الآتي له من حديث الأشعث بن قيس قال: قلت يا رسول الله إنا نزع منكم أو أنكم منا، قال رسول الله ﷺ: نحن بنو النضير ابن كنانة لا نتقي من أبينا ولا نقفر أمنا، فقال الأشعث: لا أجد أحداً أوتي بأحد نفى قريشاً من كنانة إلا جلدته الحد « قال العلامة البوصيري في الزوائد من إسناد ابن ماجه هذا: إسناد صحيح، رجاله رجال ثقات لأن عقيل بن طلحة وثقة ابن معين والنسائي وذكره ابن حبان في الثقات وباقي رجال الإسناد على شرط مسلم.

(٤) النابغة الجعدي هو قيس بن عبدالله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن عامر بن صعصعة وهو الشاعر يكنى أبا ليلى، قيل: كان يقول الشعر ثم تركه في الجاهلية ثم عاد إليه بعد أن أسلم، وكان طويل العمر في الجاهلية وفي الإسلام، مات بأصبهان زمن ابن الزبير وله مائتان وعشرون سنة انظر الإصابة (٣٩٣-٣٩٦/٦).

(٥) البيت للنابغة الجعدي وهو من شواهد أبي عبيدة مجاز القرآن (٣٧٩/١)، ولسان العرب (قفو) (١٩٢/١٥)، والطبري (١٠٠/١٥)، شاهد على أن معنى التقاضي: التقاذف.

(٦) الكميت بن معروف بن الكميت بن ثعلبة بن رباب بن الأشتر بن حجوان، شاعر من شعراء الإسلام وهو سليل أسرة من الشعراء، أبوه معروف شاعر وأمه سعدة شاعرة وأخوه خيثمة أعشى بني أسد شاعر وابنه معروف الكميت شاعر، انظر الأغاني (١٥١/٢٢)، معجم الشعراء (٧٥/١).

فَلَا أَرْمِي الْبَرِيَّ بَغَيْرِ ذَنْبٍ وَلَا أَفْقُوا [الْحَوَاصِنَ] ^(١) إِنْ قُفِينَا ^(٢)

وحاصل هذا: أنه نهى عن إتباع مالا يكون معلوماً، وهذه قضية كلية تندرج تحتها أنواع، فكل من القائلين حمل على واحد من تلك الأنواع ^(٣).

♦ الدراسة والموازنة:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ قال الفراء: أصل ﴿تَقْفُ﴾ من القيافة، وهي تتبع الأثر، وفيه لغتان: قَفَا يَقْفُو، وقاف يقوف، وأكثر القراء يجعلونها من (قفوت) فيحرك الفاء إلى الواو، ويجزم القاف كما تقول: لا تدع، والعرب تقول: قُفْتُ أثره، وقَفَوْتُ، ومثله: عاث وعثا من الفساد وهو كثير ^(٤)، قال الزجاج: «من قرأ بإسكان الفاء وضم القاف من قاف يقوف، فكأنه إذا تبعت أثره ^(٥)»، وقال ابن قتيبة: (لا تقف)، أي: لا تُتبعه الظنون والحدس، وهو من القفاء مأخوذ، كانك تقفوا الأمور أي: تكون في أقفائها وأواخرها تتعقبها، والقائف: الذي يعرف الآثار، فكأنه مقلوب عن القافي ^(٦)، وللمفسرين في المراد بقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أقوال منها:

القول الأول:

لا ترم أحداً بما ليس به علم، رواه العوفي عن ابن عباس ^(٧).

-
- (١) وفي المطبوع (الحواسن).
 - (٢) البيت من شواهد الفراء (١٢٣/٢)، على أن العرب تقول قفا الشيء إذا تتبعته كما تقول قافه وكما قال الشاعر: عاقي، يريد عائق.
 - (٣) البحر المحيط (٣٢/٦). وانظر النهر الماد (٣٥/٦).
 - (٤) معاني القرآن للفراء (١٢٣/٢-١٢٤).
 - (٥) انظر معاني القرآن للزجاج (٢٣٩/٣).
 - (٦) انظر مدارك التنزيل للبغوي (١٣٣/٣).
 - (٧) سبق توثيقه انظر ص ٢٧٨.

القول الثاني:

لا تقل: رأيت، ولم ترّ، ولا سمعت، ولم تسمع، رواه (عثمان بن عطاء)^(١) عن أبيه عن ابن عباس، وبه قال قتادة^(٢)، واختاره: (ابن جرير الطبري، والزجاج، والسمرقندي والواحدي، والنسفي)^(٣).

القول الثالث:

لا تشرك بالله شيئاً، رواه عطاء أيضاً عن ابن عباس^(٤).

القول الرابع:

لا تشهد الزور، قاله: محمد بن الحنفية^(٥).

القول الخامس:

أنه معنى الآية: لا تتبع الحدس والظنون، قاله القتيبي^(٦)، واختاره: (البغوي)^(٧).

القول السادس:

القول بالعموم أي لا تتبع ولا تقتف بالأعلم لك به من قول أو فعل وحاصله يرجع إلى النهي عن الحكم بما لا يكون معلوماً وهي قضية يندرج تحتها أنواع كثيرة، وكل واحد

(١) عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني أبو مسعود المقدسي ضعيف من الساسة مات سنة ١٥٥ هـ، انظر التقريب (١/ ٣٨٥).

(٢) سبق توثيقه انظر ص ٢٧٨.

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٠٢)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٢٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣١١)، الوسيط الواحدي (٣/ ١٠٧)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦٢٣).

(٤) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٢٦).

(٥) سبق توثيقه انظر ص ٢٧٨.

(٦) القتيبي هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد صاحب التصانيف صدوق قليل الرواية، قال الخطيب: كان ثقة ديناً فاضلاً، توفي سنة ٢٧٦ هـ، له من التصانيف غريب القرآن وغريب الحديث، ومشكل القرآن ومشكل الحديث، وغير ذلك انظر لسان الميزان (٣/ ٣٥٧).

(٧) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٣٢)، الجامع للقرطبي (١٠/ ١٦٧).

من المفسرين حملة على واحد من تلك الأنواع، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره هذا القول: (النحاس، والزمخشري، وابن عطية، والفخر الرازي، والقرطبي، وابن كثير، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي) ^(١).

♦ الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو قول أبي حيان ~ وجمهور المفسرين من أن معنى قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ هو لا تتبع ما لا علم لك به من قول أو فعل وحاصله يرجع إلى النهي عن الحكم بما لا يكون معلوماً، قال ابن فارس: «القاف والفاء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إتباع الشيء لشيء ومن ذلك القفو، يقال قفوت أثره وقفيت فلاناً بفلان، إذا أتبعته إياه وسميت قافية البيت قافية لأنها تقفو سائر الكلام، أي تتلوه وتتبعه، وقولهم: قفوت الرجل إذا قذفته بفجور هو من هذا، كأنه أتبعه كلاماً قبيحاً وفي الحديث: (لا نقفو أمناً) ^(١)»، ^(٢)، قال الرازي: (أي لا تتبع وتقتف ما لا علم لك به من قول أو فعل، وحاصله يرجع إلى النهي عن الحكم بما لا يكون معلوماً وهذه قضية كلية يندرج تحتها أنواع كثيرة، وكل واحد من المفسرين حملة على واحد من تلك الأنواع) ^(٣).

(١) انظر معاني القرآن للنحاس (١٥٦/٤)، الكشف (٥١٧/٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤٥٦/٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١٦٦/٢٠)، الجامع للقرطبي (١٦٧/١٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣/٣)، الباب في علوم الكتاب لابن عادل (٢٨٢/١٢)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٢٩/٤)، فتح القدير للشوكاني (٢٨١/٣)، روح المعاني للآلوسي (٧١/٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٠١/٦)، محاسن التأويل للقاسمي (٥٨٩/٤).

(٢) سبق تخريج الحديث انظر ص ٢٧٩.

(٣) انظر مقاييس اللغة (١١٣/٥).

(٤) انظر مفاتيح الغيب (١٦٦/٢٠)، وهذا المعنى قد ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٦٧/١)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤٣/٣)، والآلوسي في روح المعاني (٧١/٨).

[١٧/٣٣] المسألة الثانية: المراد بالمسئول في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

رجح أبو حيان أن الجوارح هي المسئولة في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(١)؛ حيث قال ~: «كل مبتدأ والجملة خبره، واسم كان عائد على كل، وكذا الضمير في مسئولاً والضمير في ﴿عَنْهُ﴾ عائد على ما من قوله: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ فيكون المعنى: إن كل واحد من السمع والبصر والفؤاد يسأل عما لا علم له به: أي عن [اقتفاء]^(٢) ما لا علم به وهذا الظاهر، وقال الزجاج^(٣): يستشهد بها كما قال ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾^(٤) وقال القرطبي في أحكامه: يسأل الفؤاد عما اعتقده والسمع عما سمع، والبصر عما رأى^(٥)، وقال ابن عطية: إن الله تعالى يسأل سمع الإنسان وبصره وفؤاده عما قال مما لا علم له به، فيقع تكذيبه من جوارحه وتلك غاية الخزي^(٦)، وقيل: الضمير في ﴿كَانَ﴾ و﴿مَسْئُولًا﴾ عائد على أن [القائف]^(٧) ما ليس له به علم والضمير في ﴿عَنْهُ﴾ عائد على ﴿كُلُّ﴾ فيكون ذلك من الالتفات، إذ لو كان على الخطاب لكان التركيب كل أولئك كنت عنه مسئولاً^(٨).

(١) سورة الإسراء: آية ٣٦.

(٢) وفي المطبوع (انتفاء).

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٣١).

(٤) سورة النور: آية ٣٤.

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٦٩).

(٦) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٥٦).

(٧) وفي المطبوع (القائل).

(٨) البحر المحيط (٦/ ٣٣). وانظر النهر الماد (٦/ ٣٥).

﴿ الدراسة والموازنة: ﴾

اختلف المفسرون في المراد بالمستول في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ على قولين:

القول الأول:

إن الإنسان هو المستول والمعنى أن الله ﷻ يسأل الإنسان عما حواه سمعه وبصره وفؤاده، فالإنسان راع على جوارحه، فكأنه قال: كل هذه كان الإنسان عنه مسئولا، فهو على حذف مضاف، واختاره: (الواحدي، والفخر الرازي، وابن كثير، وابن عادل والشوكاني، والقاسمي) ^(١).

القول الثاني:

أي يسأل كل واحد منهم عما اكتسب، فالفؤاد يسأل عما افتر فيه واعتقده، والسمع والبصر عما رأى من ذلك وسمع، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختار هذا المعنى كل من: (الطبري، والزجاج، والسمرقندي، والزنجشري، وابن عطية، والقرطبي، وأبو السعود، والطاهر بن عاشور) ^(١).

﴿ الترجيح: ﴾

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ومن وافقه من المفسرين بأن الجوارح هي المسئولة وذلك لما يلي:

١ - ظاهر الآية يدل على أن هذه الجوارح هي المسئولة.

(١) انظر الوسيط للواحدي (١٠٨/٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١٦٨/٢٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣/٣)، الباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (٢٨٦/١٢)، فتح القدير للشوكاني (٢٨٢/٣)، محاسن التأويل للقاسمي (٥٨٨/٤).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٠٢/١٥)، معاني القرآن للزجاج (٢٣٩/٣)، بحر العلوم للسمرقندي (٣١١/٢)، الكشف للزنجشري (٥١٩/٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤٥٦/٣)، الجامع للقرطبي (١٠١/١٠)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٢٩/٤)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٠٢/٦).

- ٢- ثبت بالقرآن أنه - تعالى - يخلق الحياة في الأعضاء ثم إنها تشهد على الإنسان والدليل عليه قوله - تعالى -: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾^(١)، ولذلك لا يبعد أن يخلق الحياة، والعقل والنطق في هذه الأعضاء، ثم إنه تعالى يوجه السؤال إليها.
- ٣- قال القرطبي: هذا المعنى أبلغ في الحجة، فإنه يقع تكذيبه من جوارحه، وتلك غاية الخزي والعار، كما قال - تعالى -: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢)، وقوله ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣).



(١) سورة النور: آية ٣٤.

(٢) سورة يس: آية ٦٥.

(٣) سورة فصلت: آية ٢٠.

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/١٦٩).

قال - تعالى -: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٤٤) ^(١)، وفيها مسألة واحدة:

[١٨/٣٤] المسألة: تسبيح المخلوقات.

رجح ~ أن تسبيح المخلوقات حقيقة، وليس مجازاً؛ حيث قال ~ : «ونسبة التسبيح للسموات والأرض ومن فيهن من ملك وإنس وجن، حملة بعضهم على النطق بالتسبيح حقيقة، وأن ما لا حياة فيه ولا نمو يحدث الله له نطقاً، وهذا هو ظاهر اللفظ، ولذلك جاء ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ وقال بعضهم: ما كان من نام حيوان وغيره يسبح حقيقة، وبه قال عكرمة قال: الشجرة تسبح، والاسطوانة لا تسبح ^(٢)، وسئل الحسن عن الخوان ^(٣) أيسبح؟ فقال: قد كان يسبح مرة يشير إلى أنه حين كان شجرة كان يسبح، وحين صار خواناً مدهوناً صار جماداً لا يسبح ^(٤)، وقيل: التسبيح المنسوب لما لا يعقل مجاز، ومعناه أنها تسبح بلسان الحال، حيث يدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته وكماله، فكأنها تنطق بذلك، وكأنها تنزه الله عما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها، ويكون قوله: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ خطاباً للمشركين، وهم وإن كانوا معترفين بالخالق أنه الله، لكنهم لما جعلوا معه آلهة لم ينظروا ولم يقرؤا، لأن نتيجة النظر الصحيح والإقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه، فإذا لم يفقهوا التسبيح، ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق، فيكون التسبيح المسند إلى السموات والأرض ومن فيهن على سبيل المجاز قدراً مشتركاً بين الجميع، وإن كان يصدر التسبيح حقيقة ممن فيهن من ملك وإنس وجان، ولا يحمل نسبته إلى السموات والأرض على المجاز، ونسبته إلى الملائكة والثقلين على الحقيقة لئلا يكون جمعاً بين المجاز

(١) سورة الإسراء: آية ٤٤.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/١٠٧)، الدر المنثور للسيوطي (٥/٢٥٤).

(٣) الخوان: مائدة الطعام من خشب، انظر لسان العرب (٣/٤١١).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/١٠٧)، النكت والعيون للهاوردي (٣/٢٤٥)، الدر المنثور للسيوطي (٥/٢٥٦).

والحقيقة بلفظ واحد»^(١).

﴿ الدراسة والموازنة: ﴾

يقول - تعالى - تقدسه السموات السبع والأرض ومن فيهن، أي: من المخلوقات، وتنزهه وتعظمه وتبجله وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون، وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلهيته. وقد اختلف المفسرون في قوله - تعالى -: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ هل هذا العموم مخصص أو لا؟ على أقوال:

القول الأول:

إنه ليس مخصوصاً، والمراد به تسبيح الدلالة وكل محدث يشهد على نفسه بأن الله عَلَّمَ خالق قادر، وأن هذا التسبيح من باب المجاز وأن المراد بقوله: (لا يفقهون) أي الكفار الذين يعرفون عن الاعتبار فلا يفقهون حكمة الله تعالى في الأشياء، وقد اختار هذا القول: (الواحدي، الزمخشري، والفخر الرازي، وابن عادل الحنبلي، وأبو السعود، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والمراغي)^(١).

القول الثاني:

هذا التسبيح حقيقة، و(كل شيء) على العموم يسبح تسبيحاً لا يسمعه البشر، ولا يفقه، ولو كان ما قاله الأولون من أنه: أثر الصنعة والدلالة لكان أمراً مفهوماً، والآية تنطق بأن هذا التسبيح لا يفقه، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختار هذا القول: (الطبري، الزجاج، والبغوي، والقرطبي، وابن كثير، والشوكاني، والقاسمي، والسعدي)^(١).

(١) البحر المحيط (٣٨/٦). وانظر النهر الماد (٣٩/٦).

(٢) انظر البحر المحيط للواحدي (١٩/٣)، الكشف للزمخشري (٥٢٢/٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١٧٤/٢٠)، اللباب لابن عادل (٣٩٨/١٢)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٣٤/٤)، روح المعاني للآلوسي (٨٠/٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١١٤/٦)، تفسير المراغي (٣١٩/٥).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٠٧/١٥)، معاني القرآن للزجاج (٢٤٢/٣)، معالم التنزيل للبغوي (١٣٦/٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧٤/١٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٦/٣)، فتح القدير للشوكاني (٢٨٦/٣)، (٥٩٢/٤)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٨٤/٣).

القول الثالث:

إن قوله (من شيء) عموم ومعناه الخصوص في كل حي ونام، ليس ذلك في الجمادات بدليل ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: (لعلهما لا يعذبان ما دامتا رطبتين)^(١) وقد اختاره: (النحاس، والسمرقندي)^(٢).

❖ الترجيح:

والراجع - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من العلماء من أن التسبيح على حقيقته والعموم على ظاهره وأن كل المخلوقات تسبح لله - سبحانه - هذا التسبيح الذي معناه التنزيه وإن كان البشر لا يسمعون ذلك ولا يفهمونه وذلك لما يلي:

١ - لقوله ﷻ: ﴿وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(٣) فإنه: لو كان المراد تسبيح الدلالة لكان أمراً مفهوماً لكل أحد، قال الراغب الأصفهاني: « إنه تسبيح على الحقيقة بدلالة قوله: ﴿وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ ودلالة قوله: ﴿وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ ، بعد ذكر السموات والأرض، لا يصح أن يكون تقديره (يسبح له من السموات ويسجد له من في الأرض) لأن هذا مما نفقه، ولأنه محال أن يكون ذلك تقديره، ثم يعطف عليه بقوله: ﴿وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ ، والأشياء كلها تسبح له وتسجد، بعضها بالتسخير، وبعضها بالاختيار، والآية تدل على أن المذكورات تسبح باختيار، لما ذكر من الدلالة »^(٤).

٢ - ويؤيد حمل الآية على العموم قوله - تعالى - : ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ

(١) تخريج الحديث: حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان في القبر، وما يعذبان بكبير، فأما أحدهما كان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتره عن البول»، ثم أخذ جريدتين من شجرة، وغرس أحدهما في قبر والأخرى في قبر الآخر، فقال: « لعلهما لا يعذبان ما دامتا رطبتين » والحديث أخرجه البخاري رقم (٢١٨)، (١٣٧٨) و(٦٠٥٢)، ومسلم رقم (٢٩٢) والترمذي رقم (٧٠) والنسائي رقم (٣٠٣٩).

(٢) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/١٥٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/٣١٣).

(٣) سورة الإسراء: آية ٤٤.

(٤) انظر مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص ١٩٣ مادة سبح.

بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ (١) وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (٢) وقوله: ﴿وَنَخْرُ الْجِبَالُ هَذَا﴾ (٣) وغير ذلك من الآيات.

٣- ولما ثبت في الصحيح أنهم كانوا يسمعون تسبيح الطعام (٤) وهم يأكلون مع رسول الله ﷺ، وهكذا حديث حنين الجذع (٥)، وحديث أن حجر بمكة كان يسلم على النبي ﷺ (٦)، وغير ذلك من الأحاديث.

٤- قال الشوكاني: (إن مدافعه عموم هذا الآية بمجرد الاستباعات ليس دأب من يؤمن بالله سبحانه ويؤمن بما جاء من عنده) (٧).



(١) سورة ص: آية ١٨.

(٢) سورة البقرة: آية ٧٤.

(٣) سورة مريم: آية ٩٠.

(٤) تخريج الحديث: صحيح البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام (٣/ ١٣١٤).

(٥) تخريج الحديث: صحيح البخاري وكتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام (٣/ ١٣١٤)، فعن جابر رضي الله عنه قال: (كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكت).

(٦) تخريج الحديث: أخرج الإمام مسلم في كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة (٤/ ١٧٨٢)، عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن.

(٧) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٨٦).

قال - تعالى -: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ (٤٥)، وفيها مسألة واحدة:

[١٩/٣٥] المسألة: المراد بالحجاب.

رجح أبو حيان ~ أن معنى قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ (٤٥) أي أن الله يستره من أعين الكفار فلا يرونه وحمل اللفظ على حقيقته كما في أسباب النزول الواردة؛ حيث قال: «والظاهر أن المعنى جعلنا بين رؤيتك وبين أبصار الذين لا يؤمنون بالآخرة، كما ورد في سبب النزول» (١). وقال قتادة (٢) والزجاج (٣) وجماعة ما معناه: جعلنا بين فهم ما تقرأ وبينهم حجاباً فلا يقرون بنبوتك ولا بالبعث، فالمعنى قريب من الآية بعدها « (٤) ».

(١) سورة الإسراء: آية ٤٥.

(٢) قال أبو حيان: نزلت ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ في أبي سفيان والنضر وأبي جهل وأم جميل امرأة أبي لهب، كانوا يؤذون الرسول إذا قرأ القرآن، فحجب الله أبصارهم إذا قرأ فكانوا يمرون به ولا يرونه قاله الكلبي: "وعن ابن عباس نزلت في امرأة أبي لهب، دخلت منزل أبي بكر وبيدها فهر والرسول ﷺ عنده، فقالت: هجاني صاحبك، قال: ما هو بشاعر، قالت: قال ﴿فِي جِدِّهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ﴾ (٥) وما يدرية ما في جيدي؟ فقال لأبي بكر: «سلها هل ترى غيرك فإن ملكاً لم يزل يسترنى عنها» فسألها فقالت: أتهزأ بي ما أرى غيرك؟ فأنصرفت ولم تر الرسول ﷺ «البحر (٣٨/٦) والحديث حسن بشواهد. أخرجه أبو يعلى (٢٥) وابن حبان (٦٥١١) والبزار (٢٢٩٤) من حديث ابن عباس، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٥٢٩) وقال: قال البزار: (إسناده حسن، مع أن فيه عطاء بن السائب اختلط)، وحسنه الحافظ في الفتح (٧٣٨/٨)، وأخرجه الحاكم (٥٢٦/٢) من حديث زيد بن أرقم، وأعله الحاكم بالإرسال ووافقه الذهبي وأخرجه الحميدي (٣٢٣)، والحاكم (٣٦١/٢)، والواحدي في الوسيط (١١٠/٣) من حديث أسماء وصححه ووافقه الذهبي مع أن في إسناده ابن تدرس وهو مجهول وللحديث شواهد ضعيفة لكن تتأيد بمجموعها، ويعلم أن للحديث أصلاً والله أعلم.

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٠٩/١٥)، تفسير ابن أبي حاتم (٢٣٣٢/٧)، بحر العلوم للسمرقندي (٣١٣/٣)، الدر المنثور للسيوطي (٣٦٠/٥).

(٤) معاني القرآن للزجاج (٢٤٢/٣).

(٥) البحر المحيط (٣٩/٦)، وانظر النهر الماد (٤١/٦).

﴿ الدراسة والموازنة: ﴾

اختلف المفسرون في معنى الحجاب المستور في قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ (٤٥) على قولين:

القول الأول:

أن معنى حجاباً مستوراً أي: حائلاً وساتراً، والمعنى: وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً، أي: حائلاً وساتراً يمنعهم من تفهم القرآن وإدراكه لئلا يفقهوه فينتفعوا به، وعلى هذا فالحجاب المستور هو ما حجب الله به قلوبهم عن الانتفاع بكتابه والآيات الشاهدة لهذا المعنى كثيرة. كقوله -تعالى-: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِيْءَآذَانِنَا وَقُرْءَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونُ﴾ (١) وقوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ (٢)، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِيْءَآذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ (٣) إلى غير ذلك من الآيات، وممن قال بهذا القول في معنى الآية: (قتادة والزجاج) (٤)، وقد اختاره من المفسرين: (الطبري، والنحاس، والبغوي، وابن كثير، وأبو السعود، والقاسمي) (٥).

القول الثاني:

أن المراد بالحجاب المستور أن الله يستره عن أعين الكفار فلا يرونه، واستدل بسبب نزول الآية (٦) على هذا المعنى، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره: (الواحدي،

(١) سورة الإسراء: آية ٤٥.

(٢) سورة فصلت: آية ٥.

(٣) سورة البقرة: آية ٧.

(٤) سورة الكهف: آية ٥٧.

(٥) سبق توثيقه انظر ص ٢٩٠.

(٦) انظر (جامع البيان للطبري (١٥/١٠٩)، معاني القرآن للنحاس (٤/١٦٠)، معالم التنزيل للبغوي

(٣/١٣٦)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٤٦)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/١٣٤)،

محاسن التأويل للقاسمي (٤/٥٩٣).

(٧) سبق توثيقه انظر ص ٢٩٠ هامش (٢).

والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي، وابن عادل، والشوكاني، والآلوسي (١).

♦ الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - أن المراد بالحجاب المستور هو ما حجب الله به قلوبهم عن الانتفاع بكتابه، وذلك لما يلي:

١- للنظائر القرآنية لهذه الآية كما مر بيانه في دراسة المسألة، فإن خير ما يفسر به القرآن هو القرآن (٢).

٢- إذا كان المعنى: (إنا جعلنا بينك وبين المشركين حجاباً حتى لا يرونك) فإنه ضعيف من عدة أوجه كما ذكره عدد من المفسرين.

أ - فإنه لا يفهم منه أنهم ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ (٣).

ب - إن هذا المعنى يختص بسبب معين بشرذمة قليلة مثل أم جميل بنت حرب. والظاهر عموم الموصول لكل من لا يؤمن بالله، فإن هذا المعنى لا يلائم ما قبله، فإنه عام، ولا يلائم ما بعده لأنه بيان له (٤).



(١) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١١٠)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ١٧٧)، الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ١٧٦)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦٢٥)، الباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٣٠٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٨٧)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٨٤).

(٢) انظر ص ٢٩١.

(٣) سورة البقرة: أية ٧.

(٤) حاشية القونوي (١١/ ٥١٧ - ٥١٨).

قال - تعالى -: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتِ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوْ عَلَىٰ أَذْبَرِهِمْ نُفُورًا ﴾ (٤٦) ^(١)، وفيها مسألة واحدة:

[٢٠/٣٦] **المسألة: مرجع الضمير في قوله - تعالى -: ﴿ وَلَوْ عَلَىٰ أَذْبَرِهِمْ ﴾.**

رجح أبو حيان ~ أن مرجع الضمير في قوله - تعالى -: ﴿ وَلَوْ عَلَىٰ أَذْبَرِهِمْ ﴾ على الكفار المتقدم ذكرهم في الآيات؛ حيث قال: « والظاهر عود الضمير في ﴿ وَلَوْ ﴾ على الكفار المتقدم ذكرهم، وقالت فرقة: هو ضمير الشياطين لأنهم يفرون من القرآن دل على ذلك المعنى، وإن لم يجز لهم ذكر، وقال أبو الجوزاء أوس بن عبدالله ^(٢): ليس شيء أطرده للشيطان من القلب من لا إله إلا الله ثم تلا ﴿ وَإِذَا ذُكِّرْتِ ﴾ الآية ^(٣) وقال علي بن الحسين هو: البسمة ^(٤) » ^(٥).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون فيما يرجع إليه الضمير في قوله: ﴿ وَلَوْ عَلَىٰ أَذْبَرِهِمْ ﴾ على قولين:

القول الأول:

إن الضمير يعود على المشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة وهو قول ابن زيد ^(٦) وهذا ما رجحه أبو حيان ~ لدلالة السياق، واختاره: (الطبري، والسمرقندي،

(١) سورة الإسراء: آية ٤٦.

(٢) أبو الجوزاء هو أوس بن عبدالله الربيعي البصري، قال ابن حبان في الثقات كان عابداً فاضلاً، وقال العجلي: بصري، ثقة، قتل سنة ٨٣ هـ في الجماجم، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب للحافظ بن حجر (٣٨٣/١).

(٣) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/١٦٠).

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/١٧٦)، الدر المنثور للسيوطي (٥/٢٦١).

(٥) البحر المحيط (٦/٤٠)، وانظر النهر الماد (٦/٤١).

(٦) انظر جامع البيان للطبري (١٥/١١٠)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/٢٣٣٣)، الدر المنثور للسيوطي (٥/٢٦١).

والفخر الرازي، وابن كثير، وابن عادل، وأبو السعود (١).

القول الثاني:

إن الضمير يعود على الشياطين، وهو قول ابن عباس (٢).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان وجمهور المفسرين من أن مرجع الضمير في قوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ أَعْلَىٰ أَدْبَرِهِمْ نُفُورًا﴾ فإنه يعود على المشركين وذلك لما يلي:

١- لسياق الآيات فإن ما قبل الآيات وما بعده يتحدث عن المشركين، فإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك (٣).

٢- يقول ابن كثير ~ عن القول بأن الضمير يعود على الشياطين: «وهذا غريب جداً في تفسيرها، وإلا فالشياطين إذا قرأ القرآن أو نودي بالآذان أو ذكر الله انصرفوا» (٤).

(١) انظر جامع البيان للطبري (١١٠ / ١٥)، بحر العلوم للسمرقندي (٣ / ٣١٤)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠ / ١٧٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣ / ٤٧)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢ / ٣٠١)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤ / ١٣٥).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١١٠ / ١٥)، تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢٣٣٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣ / ٤٧)، الدر المنثور للسيوطي (٥ / ٢٦١).

(٣) قواعد الترجيح لحسين الحربي (١ / ١٢٥).

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣ / ٤٧).

قال - تعالى -: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ (٤٧)، وفيها مسألة واحدة:

[٢١/٣٧] المسألة: معنى مسحورًا.

رجح أبو حيان أن معنى مسحورًا من السحر، أي: خبل عقله السحر؛ حيث قال: « والظاهر أن ﴿ مَسْحُورًا ﴾ من السحر أي: خبل عقله السحر، وقال مجاهد: مخدوعًا (١) نحو ﴿ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ (٢) أي: تخدعون، وقال أبو عبيدة: ﴿ مَسْحُورًا ﴾ معناه أن له سحرًا: أي رثة (٣) فهو لا يستغني عن الطعام والشراب، فهو مثلكم وليس بملك، وتقول العرب للجبان: قد انتفخ سحره، ولكل من أكل أو شرب من آدمي وغيره مسحور، قال:

أَرَأَنَا مُوَضِّعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ وَنُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ (٤)

أي نخذي ونعلل ونسحر، قال لبيد:

فَإِنْ تَسْأَلِنَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسْحَرِ (٥)

قال ابن قتيبة: لا أدري ما الذي حمل أبا عبيدة على هذا التفسير المستكره مع أن السلف فسروه بالوجوه الواضحة، وقال ابن عطية (٦): الآية التي بعد هذا تقوي أن اللفظة

(١) سورة الإسراء: آية ٤٧.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١١١ / ١٥)، معاني القرآن للنحاس (١٦١ / ٤)، النكت والعيون للماوردي (٢٤٧ / ٣).

(٣) سورة المؤمنون: آية ٨٩.

(٤) انظر معاني القرآن للنحاس (١٦١ / ٤)، بحر العلوم للسمرقندي (٣١٤ / ٢)، النكت والعيون (٢٤٧ / ٣).

(٥) البيت لامرئ القيس انظر ديوانه ص (٩٧)، ومجاز القرآن (٣٨٢ / ١)، والطبري (١١١ / ١٥) واللسان: مادة (سحر)، وأرانا موضعين، والإيضاع: ضرب من السير السريعة.

(٦) انظر ديوان لبيد (٥٦)، ومجاز القرآن (٣٨١ / ١)، والطبري (١١١ / ١٥) واللسان: (سحر) وفي شرحه: عصافير: صغار ضعاف أي نحن أولاد قوم قد ذهبوا ومسحور معلل بالطعام والشراب.

(٧) انظر المحرر الوجيز (٤٦١ / ٣).

من السحر بكسر السين لأن في قولهم ضرب مثل، وأما على أنها من السحر الذي هو الرئة ومن التغذي وأن تكون الإشارة إلى أنه بشر فلم يضرب له في ذلك مثل بل هي صفة حقيقة له « (١).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في معنى كلمة ﴿مَسْحُورًا﴾ على ثلاثة أقوال:

القول الأول:

إن معنى مسحورًا: الذي سُحر فذهب بعقله، وهو قول ابن عباس (٢)، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ واختاره: (البغوي، والزمخشري، ابن عطية، والفخر الرازي، والنسفي ابن كثير، والسمين الحلبي، ابن عادل، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي) (٣).

القول الثاني:

إن معنى مسحورًا، أي: مخدوعًا، قاله: مجاهد (٤)، واختاره: (النحاس، والسمرقندي، والواحدي) (٥).

القول الثالث:

إن معنى مسحورًا، أي: له سحر، أي رئة، وكل دابة أو طائر أو بشر يأكل فهو مسحور أو مسحور، لأن له سحرًا وهو الرئة ومنه قول عائشة > : توفي رسول الله ﷺ بين

(١) البحر المحيط (٤١/٦)، وانظر النهر الماد (٤١/٦).

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٣٢/٥).

(٣) انظر ذلك على الترتيب التالي: معالم التنزيل للبغوي (١٣٧/٣)، الكشف للزمخشري (٥٢٣/٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤٦١/٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١٧٩/٢٠)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦٢٥)، تفسير القرآن العظيم (٤٧/٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٣٦٦/٧)، اللباب لابن عادل الحنبلي (٣٠٣/١٢)، فتح القدير للشوكاني (٢٨٧/٣)، روح المعاني للآلوسي (٨٦/٨)، محاسن التأويل للقاسمي (٥٩٤/٤).

(٤) سبق توثيقه أنظر ص ٢٩٥.

(٥) انظر معاني القرآن للنحاس (١٦١/٤)، بحر العلوم للسمرقندي (٣١٤/٢)، الوسيط للواحدي (١١/٣).

سحري ونحري^(١). فكان مقصد الكفار بهذا التنبيه على أنه بشر أي ذا رئة وليس ملكاً، وهو قول أبي عبيدة^(٢)، واختاره: (ابن جرير الطبري، والزجاج)^(٣).

﴿الترجيح﴾

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ من أن معنى (مسحوراً) أي: سحر فاختلط عقله وزال عن حد الاعتدال، وذلك لما يلي:

١- قال ابن الأعرابي: المسحور الذاهب العقل الذي أفسد، من قولهم طعام مسحور إذا أفسد عمله، وأرضى مسحورة أصابها من المطر أكثر مما ينبغي فأفسدها^(٤).

٢- من فسر السحر بالرئة بعيد لفظاً ومعنى، قال ابن عادل الحنبلي: (وقد رد الناس على أبي عبيدة قوله، لبعده لفظاً ومعنى، وقال ابن قتيبة: لا أدري ما الذي حمل أبا عبيدة على هذا التفسير المستنكر، مع ما فسره السلف بالوجوه الواضحة)^(٥).

٣ - قال السمين الحلبي: (إن السحر الذي هو الرئة لم يضرب له فيه مثلاً بخلاف السحر فإنهم ضربوا له فيه المثل، فما بعد الآية من قوله: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ لا يناسب إلا السحر بالكسر^(٦).

(١) تخريج الحديث: صحيح البخاري كتاب الجنائز باب ما جاء في قبر النبي ﷺ (١/٤٦٨)، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضل عائشة (٤/١٨٩٣).

(٢) سبق توثيقه أنظر ص ٢٩٥.

(٣) انظر جامع البيان لابن جرير الطبري (١٥/١١٢)، معاني القرآن للزجاج (٣/٢٤٣).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٣/٢٨٧).

(٥) انظر اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/٣٠٣)، وانظر قول ابن قتيبة في زاد المسير لابن الجوزي (٥/٢٥) (٥/٣٢ - ٣٣)، البحر المحيط لأبي حيان (٦/٤١).

(٦) الدر المصون للسمين الحلبي (٧/٣٦٦) وهذا معنى قول ابن عطية رحمه الله، انظر المحرر الوجيز (٣/١٧٩)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٣/٤٧).

قال - تعالى -: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَتْ قَرِيبًا ۝٥١﴾^(١)، وفيها مسألة واحدة:

[٢٢/٣٨] **المسألة الأولى معنى قوله - تعالى -: ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾.**

رجح أبو حيان ~ أن الذي يكبر في قوله - تعالى -: ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ عامًّا ولم يُعيَّن، بل ترك ذلك إلى أفكار القوم وجولاتها فيما هو أصلب من الحديد؛ حيث قال ~ : ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ صلابته وزيادته على قوة الحديد وصلابته، ولم يعينه، ترك ذلك إلى أفكارهم وجولاتها فيما هو أصلب من الحديد، فبدأ أولاً بالصلب، ثم ذكر على سبيل الترقى الأصلب منه، ثم الأصلب من الحديد، أي افرضوا ذواتكم شيئاً من هذه فإنه لا بد لكم من البعث على أي حال كنتم، وقال: ابن عمر، وابن عباس، وعبد الله بن عمر، والحسن، وابن جبير، والضحاك، الذي يكبر: الموت^(٢): أي لو كنتم الموت لأماتكم ثم أحياكم، وهذا التفسير لا يتم إلا إذا أريد المبالغة، لا نفس الأمر، لأن البدن جسم والموت عرض ولا ينقلب الجسم عرضاً ولو فرض انقلابه عرضاً لم يكن ليقبل الحياة لأجل الضدية، وقال مجاهد^(٣): الذي يكبر السموات والأرض والجبال^(٤)، ولما ذكر أنهم لو كانوا أصلب شيء وأبعده من حلول الحياة به كان خلق الحياة فيه ممكناً^(٥).

(١) سورة الإسراء: آية ٥٠-٥١.

(٢) انظر أقوالهم: جامع البيان للطبري (١٥/١١٤)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/٢٣٣٣)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/٣١٥) النكت والعيون للهاوردي (٣/٢٤٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/٣٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٤٨) الدر المنثور للسيوطي (٥/٢٦٢)، فتح القدير للشوكاني (٣/٢٩٣).

(٣) هذا القول ثابت عن قتادة، والذي ثبت عن مجاهد هو قوله: (كونوا ما شئتم)، انظر جامع البيان للطبري (١٥/١١٥).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/١١٥)، النكت والعيون للهاوردي (٣/٢٤٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٤٨).

(٥) البحر المحيط (٦/٤٥)، وانظر النهر الماد (٦/٤٦).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في معنى الذي يكبر في قوله - تعالى -: ﴿أَوْ خَلَقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ على أقوال:

القول الأول:

أنه: الموت^(١)، قاله: ابن عمر، وابن عباس، والحسن، وابن جبير، والضحاك، قال الحافظ ابن كثير: {والمعنى على هذا القول: لو فرض أنكم صرتم الموت الذي هو ضد الحياة، لأحياكم الله إذا شاء، فإنه لا يمتنع عليه إذا أراد} ^(٢)، واختاره: (الفراء، والزجاج، والنحاس، والقرطبي، وابن كثير)^(٣).

القول الثاني:

أنه: السماء والأرض والجبال، قاله قتادة^(٤) واختاره: (النسفي)^(٥).

القول الثالث:

أنه ما يكبر في صدوركم من كل ما استعظموه من خلق الله تعالى، قاله: مجاهد^(٦)، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختاره: (الطبري، والسمرقندي، والزنجشري، وابن عطية، والرازي، وابن القيم، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي، والسعدي)^(٧).

(١) سبق توثيقه انظر ص ٢٩٨ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٨ / ٣).

(٣) انظر معاني القرآن للفراء (١٢٥ / ٢)، معان القرآن للزجاج (٢٤٤ / ٣)، معاني القرآن للنحاس (١٦٤ / ٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧٨ / ١٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٨ / ٣).

(٤) سبق توثيقه انظر ص ٢٩٨ .

(٥) النظر مدارك التنزيل للنسفي (ص ٦٢٦).

(٦) جامع البيان للطبري (١١٥ / ١٥)، بحر العلوم للسمرقندي (٣١٥ / ٢)، النكت والعيون للماوردي (٢٤٨ / ٣).

(٧) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١١٥ / ١٥)، بحر العلوم للسمرقندي (٣١٥ / ٢)، الكشاف للزنجشري (٥٢٤ / ٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤٦٢ / ٣)، مفاتيح الغيب للرازي (١٨٠ / ٢٠)، بدائع التفسير لابن القيم (٨٣ / ٣)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٣٠٧ / ١٢)،

القول الرابع:

أنه أراد البعث لأنه كان أكبر شيء في صدورهم، قاله: الكلبي^(١).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من معنى ﴿يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾: هو عدم تعيين ذلك الشيء وذلك لو فرضتم شيئاً آخر أبعد من قبول الحبر والحديد للحياة، بحيث يستبعد عقلكم قبوله للحياة، ولا حاجة إلى تعيين ذلك الشيء؛ لأنَّ المراد أنَّ أبدان النَّاسِ، وإن انتهت بعد موتها إلى أيِّ صفة فرضت، وإن كانت في غاية البعد عن قبول الحياة، فإنَّ الله قادرٌ على إعادة الحياة إليها^(٢).

١ - جاءت كلمة ﴿خَلَقًا﴾ نكرة وهي تفيد العموم، فلا مجال للتخصيص، قال ابن عطية ~ : (لا وجه لتخصيص شيء دون شيء)^(٣).

٢ - أن الكبر في الأصل للمحسوسات ويوصف به المعاني كما العظيم ثم شاع فيما يستبعد وقوعه وهو المراد في قوله ﴿أَوْ خَلَقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾^(٤).

٣ - قال الشوكاني: [لو كان المعنى: لو كنتم الموت لأماتكم الله ثم بعثكم، ولا يخفى ما في هذا من البعد، فإن معنى الآية: الترقى من الحجارة إلى الحديد، ثم من الحديد إلى ما هو أكبر في صدور القوم منه، والموت نفسه ليس بشيء يعقل ويحس حتى يقع الترقى من الحديد إليه^(٥).

= الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٣٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٩٠)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٨٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ١٢٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٩٤)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ٨٦).

(١) انظر الباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٣٠٦).

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٦٢).

(٣) انظر حاشية الشهاب على البيضاوي (٦/ ٦٦).

(٤) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٩٠).

قال - تعالى -: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجُدُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١)، وفيها مسألتان:

[٢٣/٣٩] المسألة الأولى: معنى الدعاء في الآية، حقيقة أو مجاز.

رجح أبو حيان ~ أن معنى الدعاء في الآية حقيقة، خلافا للزنجشري وغيره الذين قالوا بأن الدعاء والاستجابة كلاهما مجاز؛ حيث قال أبو حيان ~ : «والظاهر أن الدعاء حقيقة أي: ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ بالنداء الذي يسمعكم، وهو النفخة الأخيرة، كما قال: ﴿يَوْمَ يَنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾^(٢)، ويقال: إن إسرأفيل عليه السلام ينادي: أيتها الأجسام البالية والعظام النخرة، والأجزاء المتفرقة عودي كما كنت^(٣)، وروي في الحديث أنه قال ﷺ: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم»^(٤). ومعنى ﴿فَتَسْجُدُونَ﴾ توافقون الداعي فيما دعاكم إليه، وقال الزنجشري: الدعاء والاستجابة كلاهما مجاز، والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون انتهى^(٥)»^(٦).

(١) سورة الإسراء: آية ٥٢.

(٢) سورة ق: آية ٤١.

(٣) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٨٩).

(٤) تخريج الحديث: سنن أبي داود كتاب الأدب باب في تغيير الأسماء. (٢/ ٧٠٥)، قال الحافظ ابن حجر: أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان من حديث أبي الدرداء رفعه "إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم" ورجاله ثقات، إلا أن في سنده انقطاعا بين عبدالله بن أبي زكريا راويه عن أبي الدرداء [وأبي الدرداء] فإنه لم يدركه، فتح الباري (٧/ ٥٧٧)، قال الألباني: ضعيف انظر ضعيف الجامع (١/ ٤٨٥) رقم [٢٠٣٦]، والسلسلة الضعيفة (١١/ ٤٦٢) رقم [٥٤٦٠].

(٥) الكشف للزنجشري (٣/ ٢٥٤).

(٦) البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٥)، وانظر النهر الماد (٦/ ٤٦).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في الدعاء المذكور في الآية هل هو دعاء حقيقي يسمعه الناس، أو يحمل على الأمر التكويني بإحيائهم ومجاز في الأحياء والتسخير لحضور الحساب؟ على قولين:

القول الأول:

أنه دعاء حقيقي يسمعه جميع الناس سواء كان الداعي هو الله ﷻ، أو الملائكة الذين يسوقون الناس إلى أرض المحشر، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختار هذا القول: (السمرقندي، والماوردي، والواحدي، وابن عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والقرطبي، وابن كثير، وابن عادل، والشوكاني)^(١).

القول الثاني:

أنه الدعاء والنداء يحمل على الأمر التكويني بإحيائهم، فأطلق عليه الدعاء لأن الدعاء يستلزم إحياء المدعو وحصول حضوره، فهو مجاز في الأحياء والتسخير لحضور الحساب، قال البيضاوي: (أي: يوم يبعثكم فتنبعثون، استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر أمرهما)^(٢)، قال الألوسي: (إن فيه إشارة إلى امتناع الحمل على الحقيقة لما يلزم من الحمل عليها، خطاب الجهاد، وهو الأجزاء المتفرقة، ولو لم تمتنع إرادة الحقيقة لكان ذلك كناية عن البعث والانبعاث لا مجازاً، والمجوز لإرادتها يقول إن الدعوة بالأمر التكويني وهو مما يوجه إلى المعدوم)^(٣)، وقد اختاره: (الزمخشري، وأبو السعود، والبيضاوي، والألوسي)^(٤).

(١) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣١٥)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٤٩)، الوسيط للواحدي (٣/ ١١١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٦٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٣٣)، مفاتيح الغيب للرازي (٢٠/ ١٨١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٧٩)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤٩)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٢/ ٣٠٨)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٩٠).

(٢) حاشية القونوي على البيضاوي (١١/ ٥٢٧).

(٣) روح المعاني للألوسي (٨/ ٨٩).

(٤) انظر الكشف للزمخشري (٣/ ٥٢٤)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٣٧)، حاشية الشهاب على البيضاوي (٦/ ٦٧) حاشية القونوي على البيضاوي (١١/ ٥٢٧)، روح المعاني للألوسي (٨/ ٨٩).

﴿الترجيح:﴾

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ وجهور المفسرين من أن الدعاء حقيقي يسمعه الجميع، وليس بمجاز وذلك لما يلي:

١ - قد ثبت الدعاء بنص القرآن والسنة كما قال - تعالى -: ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ ^(١) وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكْرٍ﴾ ^(٢) وقال ﷺ: «إن الله لينادي يوم القيامة: أين جبراني، أين جبراني؟ قال: فتقول الملائكة: ربنا! ومن ينبغي أن يجاورك؟ فيقول: أين عمار المساجد؟» ^(٣).

٢ - قال القرطبي: «وقال علماؤنا: وهو الصحيح، فإن النفخ في الصور إنما هو سبب لخروج أهل القبور، بالحقيقة إنما هو خروج الخلق بدعوة الحق، قال الله - تعالى -: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجُدُونَ بِحَمْدِهِ﴾ فيقومون يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، قال: فيوم القيامة يوم يبدأ بالحمد ويختتم به، قال الله - تعالى -: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجُدُونَ بِحَمْدِهِ﴾ وقال في آية أخرى ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ^(٤)» ^(٥).



(١) سورة ق: آية ٤١.

(٢) سورة القمر: آية ٦.

(٣) تخريج الحديث: مسند الحارث كتاب الصلاة، باب في عمار المساجد (٢٥١/١)، قال الألباني: صحيح، انظر السلسلة الصحيحة (٢٣١/٦) رقم (٢٧٢٨).

(٤) سورة الزمر: آية ٧٥.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧٩/١٠).

[٢٤/٤٠] المسألة الثانية: المراد بالخطاب في الآية :

رجح أبو حيان ~ بأن الخطاب للكفار لأن ذلك موافق لسياق الآية؛ حيث قال ~ : ((والظاهر أن الخطاب للكفار إذ الكلام قبل ذلك معهم فالضمير لهم ...))، وقيل تم الكلام عند قوله: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾^(١)، و﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ خطاب مع المؤمنين لا مع الكافرين لأنهم يستجيبون لله ﴿بِحَمْدِهِ﴾ يمدونه على إحسانه إليهم فلا يليق هذا إلا بهم، وقيل: يحمده المؤمن اختياراً والكافر اضطراراً، وهذا يدل على أن الخطاب للكفار والمؤمن وهو الذي يدل عليه ما روي عن ابن جبير^(٢)، وإذا كان الخطاب للكفار وهو الظاهر [فيحتمل]^(٣) أن يكون الظن على بابه: فيكون لما رجعوا إلى حالة الحياة وقع لهم [ظن]^(٤) أنهم لم يفصلوا عن الدنيا إلا في زمن قليل إذ كانوا في ظنهم نائمين، ويحتمل أن يكون بمعنى اليقين من حيث علموا أن ذلك منقضى متصرم^(٥) «^(٦)».

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بالخطاب في قوله - تعالى - : ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن المراد بالخطاب الكفار بدليل أن قبل هذه الآية كله خطاب مع الكفار وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختار هذا القول: (الواحدي، والبغوي، وابن عطية، والفخر

(١) سورة الإسراء: آية ٥١.

(٢) المراد بقوله: [ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون، سبحانه اللهم وبحمدك] انظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢٣٣٤ / ٧)، البحر المحيط لأبي حيان (٤٥ / ٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤٦٣ / ٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٣٥ / ٥)، روح المعاني للآلوسي (٩٠ / ٨).

(٣) وفي المطبوع (فيحمل).

(٤) وفي المطبوع (الظن).

(٥) الصرم: القطع البائن صرمة يصرمه صرماً، انظر اللسان (٣٣٤ / ١٢).

(٦) البحر المحيط لأبي حيان (٤٥ / ٦-٤٦) باختصار يسير، وانظر النهر الماد (٤٦ / ٦).

الرازي، والقرطبي، وابن عادل، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور^(١).

القول الثاني:

أن المراد بالخطاب المؤمنون لا الكفار، وأن الكلام مع الكفار تم عند قوله: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ وأما قوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ فهو خطاب مع المؤمنين لأن هذا الكلام هو اللائق بالمؤمنين لأنهم يستجيبون لله بحمده، ويحمدونه على إحسانه إليهم، وقد ذكر هذا القول أغلب المفسرين^(٢) دون ترجيحه، أو اختياره.

القول الثالث:

أن الخطاب للمؤمنين والكافرين، وجميع العالمين يقومون وهم يحمدون الله لما يظهر لهم من قدرته، قاله: سعيد بن جبير^(٣).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ وجهور المفسرين من أن الخطاب للكافرين وذلك:

١ - موافقة للسياق القرآني فالآيات السابقة كلها تتحدث عن الكفار وإدخال الكلام في معاني ما قبله أولى من الخروج به عن ذلك^(٤).

٢ - قال الآلوسي: «ضمير المخاطبين - وهم الكفار - كما هو الظاهر، والباء للملابسة أي: فتستجيبون ملتبسين بحمده، أي: حامدين له - تعالى - على كمال قدرته،

(١) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١١٢)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٣٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٦٣)، مفاتيح الغيب للرازي (٢٠/ ١٨٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٧٩)، الباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٢/ ٣٠٩)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٩١)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٨٩)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ١٣٠).

(٢) انظر المراجع السابقة.

(٣) سبق توثيقه ص ٣٠٤.

(٤) قواعد الترجيح لحسين الحربي (١/ ١٢٥).

وقيل معترفين بأن الحمد له على النعم لا تنكرون ذلك، لأن المعارف هناك ضرورية، ولا
بُعد في صدور الحمد من الكافر يوم القيامة وإن لم ينفعه»^(١).



(١) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٨٩-٩٠).

قال - تعالى -: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ٥٣ ﴾^(١)، وفيها مسألة واحدة:

[٢٥/٤١] المسألة: المراد بالخطاب في قوله - تعالى -: ﴿لِعِبَادِي﴾.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالخطاب في قوله - تعالى -: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي ﴾ يعود على المؤمنين؛ حيث قال ~ : « فأمر الله - تعالى - نبيه أن يوصي المؤمنين بالرفق بالكفار، واللطف بهم في القول وأن لا يعاملوهم بمثل أفعالهم وأقوالهم، فعلى هذا يكون المعنى ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي ﴾ المؤمنين ﴿ يَقُولُوا ﴾ للمشركين الكلم ﴿ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾، وقيل: المعنى ﴿ يَقُولُوا ﴾ أي: يقول بعض المؤمنين لبعض الكلام التي هي أحسن، أي: يجلب بعضهم بعضاً ويعظمه، ولا يصدر منه إلا الكلام الطيب والقول الجميل، فلا يكونوا مثل المشركين في معاملة بعضهم بعضاً بالتهاجي والسباب والحروب والنهب للأموال والسبي للنساء والذراري، وقيل: عبادي هنا المشركون إذ المقصود هنا: الدعاء إلى الإسلام، فخطبوا بالخطاب الحسن ليكون ذلك سبباً إلى قبول الدين؛ فكأنه قيل: قل للذين أقروا أنهم عبادي يقولوا: ﴿ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن الولد واتخاذ الملائكة بنات فإن ذلك من نزغ الشيطان ووسوسته وتحسينه، وقيل: ﴿ عِبَادِي ﴾ شامل للفريقين المؤمنين والكافرين على ما يأتي تفسير ﴿ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ والذي يظهر أن لفظة ﴿ عِبَادِي ﴾ مضافة إليه - تعالى - كثر استعمالها في المؤمنين في القرآن كقوله: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادَ ١٧ ﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ^(٢) وقوله: ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبْدِي ﴾^(٣) وقوله: ﴿ عِنَّا يَشْرُبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾^(٤).

(١) سورة الإسراء: آية ٥٣.

(٢) سورة الزمر: آية ١٧-١٨.

(٣) سورة الفجر: آية ٢٩.

(٤) سورة الإنسان: آية ٦.

(٥) البحر المحيط لأبي حيان (٤٧/٦)، وانظر النهر الماد (٤٨/٦).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بالخطاب في الآية على أقوال منها:

القول الأول:

أن المراد بهم: المؤمنون، ويمكن أن يكون خطابهم للمشركين، والمعنى: أي: قل لعبادي المؤمنين، إنهم يقولون عند محاورتهم للمشركين: الكلمة التي هي أحسن من غيرها من الكلام الحسن كقوله - سبحانه - ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١) وهذا المعنى الذي رجحه أبو حيان ~ ، واختار هذا القول: (السمر قندي، والواحدي، والبغوي والزخشي، وابن عطية، والنسفي، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي والمراغي)^(٢).

القول الثاني:

أن المراد بهم: المؤمنون ولكن يكون خطابهم للمؤمنين أيضاً، أي: فيما بينهم خاصة، بحسن الأدب وليانة القول، وخفض الجناح واطراح نزغات الشيطان، وقد اختار هذا القول: (الطبري، والقرطبي، وابن كثير)^(٣).

القول الثالث:

أن المراد بهم: المشركون، وذلك لأن المقصود من هذه الآيات الدعوة فلا يجد في مثل هذا الموضع أن يخاطبوا بالخطاب الحسن، ليصير ذلك سبباً لجذب قلوبهم، وميل طباعهم، إلى قبول الدين الحق، والمعنى قل لعبادي الذين اعترفوا بأني خالقهم وهم يعبدون الأصنام:

(١) سورة العنكبوت: آية ٤٦.

(٢) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣١٥)، الوسيط للواحدى (٣/ ١١٢)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٣٨)، الكشف للزخشي (٣/ ٥٢٤)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٦٤)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦٢٦)، الباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٣١٠)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٣٧)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٩١)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٩٠).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١١٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٨٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤٩).

يقولوا التي هي أحسن: من كلمة التوحيد والإقرار بالنبوة^(١).

القول الرابع:

أن المراد بهم جميع الخلق، أي: كلا الفريقين المؤمنين والكافرين.

القول الخامس:

أي: خطاب للمؤمنين، ويكون خطابهم عاماً للناس عامة، فهو أمر بكل كلام يقرب إلى الله مع الخلق على اختلاف مراتبهم ومنازلهم، واختاره: (ابن الجوزي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والسعدي)^(١).

♦ الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ وجمهور المفسرين من أن المراد بالخطاب في قوله - تعالى -: ﴿لِعِبَادِي﴾ هو المؤمنون، وأمرهم بأن يقولوا الكلمة الحسنة للمشركين؛ وذلك لما يأتي:

١ - لأن الإضافة لتشريف المضاف، والكلمة تقال للمشركين لأن المخاشنة لهم ربما تنفرهم عن الإجابة أو تؤدي إلى ما قال الله - سبحانه - ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(١) قال الشوكاني: وهذا أولى، كما يشهد به السبب^(١).

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠ / ١٨٠).

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥ / ٣٦)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦ / ١٣٢)، محاسن التأويل للقاسمي (٤ / ٥٩٥)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣ / ٨٧).

(٣) سورة الأنعام: آية ١٨٠.

(٤) سبب نزول الآية كما أخرج ابن جرير (٥ / ٣٠٤)، عن قتادة قال: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيسبب الكفار الله عدواً بغير علم فأنزل الله ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام: ١٠٨).

٢- لسياق الآيات فيما بعد، حيث قال - سبحانه - ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ
 إِنْ يَشَأْ يُرَحِّمَكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾^(١) وجاء في معناه: أي إن يشأ يرحمكم بأن يحفظكم
 من الكفار، أو إن يشأ يعذبكم بتسليطهم عليكم^(٢).



(١) سورة الإسراء: آية ٥٤.

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٩٢).

قال - تعالى -: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (٦٠) (١)، وفيها مسألتان:

[٢٦/٤٢] المسألة الأولى: معنى الإحاطة.

رجح أبو حيان ~ أن معنى قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ أي: أن حكمته وقدرته محيطة بالناس فهم في قبضته، فهم لا يقدرّون على أمر من الأمور إلا بقضائه وقدره؛ حيث قال ~ : «لما طالبوا الرسول بالآيات المقترحة وأخبر الله بالمصلحة في عدم المجيء بها طعن الكفار فيه، وقالوا: لو كان رسولا حقاً لأتى بالآيات المقترحة فبين الله أنه ينصره ويؤيده وأنه ﴿أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾، ف قيل: بعلمه فلا يخرج شيء عن علمه، وقيل: بقدرته فقدرته غالبه كل شيء، وقيل: الإحاطة هنا: الإهلاك، كقوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ والظاهر أن الناس عام، وقيل: أهل مكة بشره الله - تعالى - أنه يغلبهم ويظهر عليهم، و﴿أَحَاطَ﴾ بمعنى يحيط: عبر عن المستقبل بالماضي لأنه واقع لا محالة، والوقت الذي وقعت فيه الإحاطة بهم قيل يوم بدر، وقال العسكري: هذا خبر غيب قدمه قبل وقته، ويجوز أن يكون ذلك في أمر الخندق ومجيء الأحزاب يطلبون ثأرهم ببدر فصرّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً، وقيل: يوم بدر، ويوم الفتح، وقيل: الأشبه أنه يوم الفتح فإنه اليوم الذي أحاط أمر الله بإهلاك أهل مكة فيه وأمكن منهم، وقال الطبري: ﴿﴿أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾﴾ في منعك يا محمد وحياطتك وحفظك فالآية إخبار له أنه محفوظ من الكفرة من أن يقتل وينال بمكره عظيم، أي فلتبلغ رسالة ربك ولا تتهيب أحداً من المخلوقين» (١)، قال ابن عطية: «وهذا تأويل بين جار مع اللفظ، وقد روي نحوه عن الحسن (٢) والسدي (٣) إلا أنه

(١) سورة الإسراء: آية ٦٠.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٢٧/١٥).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٢٧/١٥)، تفسير ابن أبي حاتم (٢٣٣٥/٧)، الدر المنثور للسيوطي (٢٧٠/٥).

(٤) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٣١٨/٢).

لا يناسب ما بعده مناسبة شديدة، ويحتمل أن يجعل الكلام مناسباً لما بعده توطئة له ^(١)، فأقول: اختلف الناس في [زمان الرؤيا] ^(٢)، فقال الجمهور: هي رؤيا عين ويقظة، وهي ما رأى في ليلة الإسراء من العجائب، قال الكفار: إن هذا لعجب نخب إلى بيت المقدس شهرين إقبالاً وإدباراً ويقول محمد جاءه من ليلته وانصرف منه، فافتتن بهذا التلبيس قوم من ضعفاء المسلمين فارتدوا وشق ذلك على رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية، فعلى هذا يحسن أن يكون معنى قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ أي: في [ضلالتهم] ^(٣) وهدايتهم، وإن كل واحد ميسر لما خلق له أي فلا تهتم أنت بكفر من كفر ولا تحزن عليهم، فقد قيل لك: إن الله محيط بهم مالك لأمرهم، وهو جعل رؤياك هذه فتنة ليكفر من سبق عليه الكفر ^(٤).

♦ الدراسة والموازنة:

الإحاطة في الأصل: هي الاستيلاء على الشيء من كل جهاته، كأنه أحيط من كل جهاته بحيطان منيعة، واستولى عليه، ولكن تستعمل بمعنى الإتيان على الشيء من كل جهاته، أحطت بهذا، يعني وصلت إلى نهايته؛ أي: أتيت عليه حتى استوليت عليه، وعرفته، وصارت معلوماته، أو تفاصيله ظاهرة عندي، والله ﷻ وصف نفسه بالإحاطة قال - تعالى -: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ ^(٥) يعني محيط بالخلق، أي مستول عليهم، وكذلك محيط بعلومهم، ومحيط بجميع المخلوقات، وما يحصل منها، قال - تعالى -: ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ^(٦) وأما المخلوقون فعاجزون إلا بما فتحه الله عليهم، قال - تعالى -: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ ^(٧) أي لا يقدرُونَ على أن يحيطوا

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٤٦٨).

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) وفي المطبوع (إضلالهم).

(٤) انظر البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٥٢)، وانظر النهر الماد (٦/ ٥٤).

(٥) سورة البروج: آية ٢٠.

(٦) سورة الطلاق: آية ١٢.

(٧) سورة البقرة: آية ٢٥٥.

بشيء من العلوم التي يعلمها أو التي يمكن تعليمها إلا بما يشاؤه. من صفات الكمال أن الله أحاط بكل شيء علماً^(١)، ولكن اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾، على أقوال منها:

القول الأول:

أن الإحاطة بمعنى القدرة، أي: أن حكمته وقدرته محيطة بالناس، فهم في قبضته وقدرته، ومتى كان الأمر كذلك فهم لا يقدرّون على أمر من الأمور إلا بقضائه وقدره، والمقصود كانه - تعالى - يقول: نصرك ونقويك حتى تبلغ رسالتنا وتظهر ديننا، قال الحسن: حال بينهم وبين أن يقتلوه كما قال - تعالى -: ﴿وَاللَّهُ يَعَصْمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢)، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الطبري، والزجاج، والنحاس، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، وابن كثير، وابن عادل، والشوكاني، والسعدي، والشنقيطي)^(٣).

القول الثاني:

أن الإحاطة بمعنى: العلم، أي أحاط علمه بالناس، قاله الكلبي^(٤)، وقال مقاتل: أحاط علمه بالناس يعني أهل مكة أن يفتحها الرسول ﷺ^(٥)، واختاره: (السمرقندي، وأبو السعود، والآلوسي، والقاسمي)^(٦).

(١) انظر شرح لمعة الاعتقاد لسباحة الشيخ عبدالله بن جبرين ص (٤٠)، وانظر فتح المجيد ص (٤٦٣)، معارج القبول (٣/ ٩٢٠).

(٢) سورة المائدة: آية ٦٧.

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٢٧)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ١٤٧)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٦٨)، الوسيط للواحدي (٣/ ١١٤)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٤٦٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٥٢)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٢/ ٣٢٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٩٦)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ٩٠)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣١٥).

(٤) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣١٨).

(٥) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٠).

(٦) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣١٨)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٤١)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٠٠)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٩٧).

القول الثالث:

أن الإحاطة وهي: الهلاك وذكره بلفظ الماضي لتحقيق وقوعه، وعنى بهذا الإهلاك الموعود ما جرى يوم بدر ويوم الفتح، وقد اختاره: (الزمخشري، والقرطبي، والطاهر بن عاشور) ^(١).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - أن معنى قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ أي: إن الله قد أحاط بكل شيء علماً وقهراً، كل مخلوق عزة وحكمة، ووسع كل شيء رحمة وعلماً، وذلك لما يلي:

- لأن صفة الإحاطة تأتي بمعنيين:

أولاً: صفة الإحاطة بمعنى كمال العلم والإدراك، وهذه هي المعنى العامة.
ثانياً: بمعنى القهر والجبروت، وهذه الإحاطة التي بمعنى القهر تنقسم إلى قسمين: ناجز ومتأخر، فالناجز منها هو أخذ الله الوبيل الذي يأخذ به المكذبين، فأخذه الوبيل الذي يأخذهم به هو من إحاطته بمعنى قهره، وجبروته، فهو قهر ناجز، وأما المتأخر فهو أخذهم يوم القيامة، ففي قوله - تعالى -: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ ^(٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ^(٤٤) سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ^(٤٥) ^(١) هذا كله من الناجز ثم قال: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ ^(٤٦) ^(٢) فهذا هو المتأخر، والناجز مقتض للمتأخر، فإذا جاء أخذه الشديد فأهلك قوماً في الدنيا بكفرهم، فذلك متضمن لعذابهم يوم القيامة، لأن من مات على الكفر فلا بد أن يعذب يوم القيامة، ولهذا قال ﷺ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ ^(٣) والإحاطة في هذه الآية المقصود بها: القهر الناجز، لأن

(١) انظر الكشاف للزمخشري (٣/٥٢٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/١٨٣)، التحرير والتنوير

للطاهر بن عاشور (٦/١٤٦).

(٢) سورة القمر: آية ٤٣-٤٥.

(٣) سورة القمر: آية ٤٦.

(٤) سورة الإسراء: آية ٦٠.

ذلك نزل في أصحاب بدر فقد أحاط الله بهم، فساقهم إلى حتوفهم، وقدمهم إلى تعجيل العذاب لهم نسأل الله السلامة والعافية، ولهذا أوحى إلى رسول الله ﷺ أماكن مصارعهم، وهذا تجلي الإحاطة الناجزة بالعباد: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾^(١) لكن الناس هنا لها وجهان: فإما أن يكون المقصود بها الناس عموماً، أي: جميع الخلائق من البشر، فهذه إحاطة قهر، فهو سبحانه وتعالى غالب على أمر الجميع، وإما أن يكون المقصود بالناس المهلكين منهم بالخصوص، فتكون الآية مثلاً نازلاً في أصحاب بدر، وتختص بأهل القلب، ويكون هذا من العام المراد به الخصوص^(٢).



(١) سورة الإسراء: آية ٦٠.

(٢) شرح صفة الإحاطة في سلسلة الأسماء والصفات للشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي ص (١٠)، وانظر الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لسماحة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، باب من صفات الكمال أن الله قد أحاط بكل شيء علماً ص (٤٠).

[٢٧/٤٣] المسألة الثانية: المراد بالشجرة الملعونة.

رجح أبو حيان ~ رأي جمهور المفسرين، بأن المراد بالشجرة الملعونة هي: شجرة الزقوم، كما نزل ذلك في سورة الصافات؛ حيق قال أبو حيان ~ : «والظاهر أنه أريد بالشجرة حقيقتها، فقال ابن عباس: هي الكشوث^(١) المذكورة في قوله: ﴿كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ اجْتَنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾^(٢) وعنه أيضاً: هي ﴿شَجَرَةٍ﴾ التي تلتوي على الشجرة فتفسدها^(٣)، قال: والفتنة قولهم: ما بال الحشائش تذكر في القرآن، وقال الجمهور: هي شجرة الزقوم لما نزل أمرها في الصافات وغيرها، قال أبو جهل وغيره: (هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنها تنبت الشجر والنار تأكل الشجر وما نعرف الزقوم إلا التمر بالزبد، ثم أمر أبو جهل جارية له فأحضرت تمرًا وزبدًا وقال لأصحابه: تزقموا)^(٤) فافتتن أيضاً بهذه المقالة بعض الضعفاء... وقال قوم ﴿شَجَرَةٍ﴾ هنا: مجاز عن واحد وهو أبو جهل، وقيل: هو الشيطان، وقيل: مجاز عن جماعة وهم اليهود الذين تظاهروا على رسول الله ﷺ ولعنهم الله - تعالى - وفتنتهم أنهم كانوا ينتظرون بعثة الرسول ﷺ، فلما بعثه الله كفروا به وقالوا: ليس هو الذي كنا ننتظره فثبطوا كثيراً من الناس بمقالتهم عن الإسلام، وقيل: بنو أمية، حتى إن من المفسرين من لا يعبر عنهم إلا بالشجرة الملعونة لما صدر منهم من استباحة الدماء المعصومة وأخذ الأموال من غير حلها وتغيير قواعد الدين وتبديل الأحكام، ولعنها في القرآن ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى

(١) قال الجوهري: الكشوث: نبت يتعلّق بأغصان الشجر، من غير أن يضرب بعرق في الأرض قال الشاعر: هو الكشوث فلا أصل ولا ورق... ولا نسيماً ولا ظل ولا ثمر، انظر لسان العرب (٢/ ١٨١)، تاج العروس ص (١٢٩٧).

(٢) سورة إبراهيم: آية ٢٦.

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٣٣)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٦)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٥٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤١).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٣١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤١).

الظَّالِمِينَ ﴿١﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ ﴿٢﴾....
 وقيل للملوك بني أمية بعد الخلافة التي قال النبي ﷺ: «الخلافة بعدي ثلاثون ثم تكون ملكاً
 عضوضاً»^(١) والأول أصوب^(٢).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بالشجرة الملعونة الوارد ذكرها في الآية على أقوال، منها:

القول الأول:

أنها شجرة الرُّقُوم، وهو قول ابن عباس^(١)، وبه قال مجاهد^(٢)، وسعيد بن جبير^(٣)،
 وعكرمة^(٤)، ومسروق^(٥)، والنخعي^(٦)، والجمهور^(٧)، وهذا ما رجحه أبو حيان

(١) سورة هود: آية ١٨.

(٢) سورة الأحزاب: آية ٥٧.

(٣) تخريج الحديث:، شرح مسلم للنووي كتاب الإمارة باب الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش
 (٣/١٤٥٢)، سنن الترمذي كتاب الفتن باب ما جاء في الخلافة حديث رقم (٢٢٢٦)، وقال أبو عيسى
 هذا حديث حسن صحيح، قال الألباني: صحيح، انظر حديث رقم ٣٣٤١ صحيح الجامع (١/٥٦٦).

(٤) البحر المحيط لأبي حيان (٦/٥٣-٥٤) باختصار يسير.

(٥) انظر تفسير عبدالرزاق (٢/٣٠٣)، جامع البيان للطبري (١٤/١٣١).

(٦) انظر جامع البيان للطبري (١٥/١٣١)، معاني القرآن للنحاس (٤/١٦٩).

(٧) انظر تفسير عبدالرزاق (٢/٣٠٣)، جامع البيان للطبري (١٤/١٣١)، معاني القرآن للنحاس
 (٤/١٦٩).

(٨) انظر جامع البيان للطبري (١٥/١٣١)، معاني القرآن للنحاس (٤/١٦٩).

(٩) انظر جامع البيان للطبري (١٥/١٣١)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/٤١).

(١٠) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/٤١).

(١١) انظر قول الجمهور على الترتيب التالي: معاني القرآن للفرآء (٢/١٢٦)، جامع البيان للطبري
 (١٥/١٣٣)، معاني القرآن للزجاج (٣/٢٤٨)، معاني القرآن للنحاس (٤/١٦٩)، بحر العلوم
 للسمرقندي (٢/٣١٨)، الوسيط للواحدي (٣/١٤٤)، معالم التنزيل للبغوي (٣/١٤١)، الكشف
 للزمخشري (٣/٥٢٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٦٨)، مفاتيح الغيب للرازي (٢٠/١٨٩)،
 الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/١٨٥)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦٢٨)، تفسير القرآن العظيم
 ⇐=

~ ، وقال مقاتل: لما ذكر الله - تعالى - شجرة الزقوم قال أبو جهل: يا معشر قريش إن محمداً يخوفكم بشجرة الزقوم، أستم تعلمون أن النار تحرق الشجر؟ ومحمد يزعم أن النار تنبت الشجر، فهل تدرون ما الزقوم؟ فقال عبدالله بن الزبعرى^(١): إن الزقوم بلسان بربر: التمر والزبد، فقال أبو جهل: يا جارية أبغينا تمراً وزبداً، فجاءته به، فقال لمن حوله: تزقّموا من هذا الذي يخوفكم به محمد، فأنزل الله - تعالى -: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾^(٢) قال ابن قتية: كانت فتنهم بالرويا قولهم: كيف يذهب إلى بيت المقدس، ويرجع في ليلة؟! وبالشجرة قولهم: كيف يكون في النار شجرة؟!^(٣)

القول الثاني:

أن الشجرة الملعونة هي: الشجرة التي تلتوي على الشجر، يعني الكشوثي، وهذا مروي عن ابن عباس^(٤).

القول الثالث:

أنهم اليهود، تظاهروا على رسول الله ﷺ مع الأحزاب، ذكره الماوردي^(٥).

القول الرابع:

إن الشجرة كناية عن الرجال، وأن النبي ﷺ أرى بني أمية على المنابر، فساء ذلك، فقليل له: إنها الدنيا يُعطونها، فسرى عنه، فالفتنه هاهنا: البلاء، قال ابن الجوزي: [روي

= لابن كثير (٣/ ٥٢)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٩٦)، روح المعاني للألوسي (٨/ ١٠٠)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٩٨).

(١) عبد الله الزبعرى بن قيس السهمي القرشي أبو سعد: شاعر قريش في الجاهلية كان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة فهرب إلى نجران فقال فيه حسان أبيتاً فلما بلغته عاد إلى مكة فأسلم واعتذر ومدح النبي ﷺ فأمر له بحلة، انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/ ٨٧).

(٢) سورة الإسراء: آية ٦٠.

(٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤١).

(٤) سبق توثيقه انظر ص ٣١٧.

(٥) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٥٤).

عن سعيد بن المسيب، وإن كان مثل هذا لا يصح، ولكن قد ذكره عامة المفسرين^(١).

قال القرطبي: وقال ابن عباس: هذه الشجرة بنو أمية، وأن النبي ﷺ نفى الحكم، وهذا قول ضعيف محدث والسورة مكية، فيبعد هذا التأويل، إلا أن تكون هذه الآية مدنية^(٢).

قال ابن كثير: وهذا القول غريب ضعيف، وبعد أن ذكر السند عن ابن عباس قال: وهذا السند ضعيف جداً، فإن "محمد بن الحسن بن زبالة" متروك، وشيخه ضعيف بالكلية^(٣).

وعده شيخ الإسلام ابن تيمية من أحاديث الرافضة وقال: (لا يقول مثله من يرجو الله وقاراً، ولا من يؤمن بالله وكتابه)^(٤).

♦ الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان وجههور المفسرين من أن المراد بالشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم، وذلك كما قال الطبري: (لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك)^(٥)، وأما القول بأن المراد بها بني أمية فلا يصح لأن تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ^(٦).

(١) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٠)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٥٤).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٨٥).

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٥٢).

(٤) منهاج السنة (٧/ ٢٤٦)، ونسبه في مجموع الفتاوى إلى الباطنية (١٣/ ٢٣٧-٢٣٨)، والمتقى من منهاج الاعتدال للذهبي (١/ ١٥٦-٤٥٦).

(٥) جامع البيان للطبري (١٥/ ١٣٢).

(٦) قواعد الترجيح (١/ ٢٨٨).

قال - تعالى -: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (٦٤) وفيها أربع مسائل:

[٢٨/٤٤] المسألة الأولى: معنى قوله - تعالى -: ﴿بِصَوْتِكَ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى قوله - تعالى -: ﴿بِصَوْتِكَ﴾ في الآية هو دعاء الشيطان للإنسان إلى معصية الله ﷻ؛ حيث قال أبو حيان ~ : « والصوت هنا الدعاء إلى معصية الله، وقال مجاهد: الغناء والمزامير واللهو^(١)، وقال الضحاك: صوت المزمار^(٢) وذكر الغزنوي^(٣): أن آدم أسكن ولد هابيل أعلى الجبل، وولد قابيل أسفله، وفيهم بنات حسان، فزمر الشيطان فلم يتما لكوا أن انحدروا واقتربوا^(٤)، وقيل: الصوت هنا الوسوسة^(٥) ».

◀ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في معنى صوت الشيطان في الآية: على عدة أقوال:

القول الأول:

أن معنى الصوت هو: الدعاء إلى معصية الله، وهو قول ابن عباس^(١)، قال ابن عطية:

- (١) سورة الإسراء: آية ٦٤.
- (٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/١٤٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/٢٣٣٧)، معاني القرآن للنحاس (٤/١٧٢).
- (٣) تفسير الضحاك (١/٥٣١).
- (٤) أحمد بن إسماعيل بن عيسى أبو بكر الغزنوي الجوهري المفسر، أحد أئمة غزّة وفضلائهم، سافر إلى خراسان والحجاز والعراق، ولقي أبا القاسم القشيري وسمع منه، وعاش بعد العشرين وخمسمائة، انظر طبقات المفسرين للسيوطي (١/٢٤) طبقات المفسرين للأدنه وي (١/١٦١).
- (٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/١٨٧).
- (٦) البحر المحيط لأبي حيان (٦/٥٥)، وانظر النهر الماد (٦/٥٦).
- (٧) انظر جامع البيان للطبري (١٥/١٣٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/٢٣٣٧)، النكت والعيون للهاوردي (٣/٢٥٥).

(وهو الصواب، لأنه يعم جميع ذلك)^(١)، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره:
(الفراء، والزجاج، والسمرقندي، والبغوي، والزخشي، وابن عطية، والفخر الرازي،
والقرطبي، وابن القيم، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي، والسعدي،
والمراغي)^(٢).

القول الثاني:

أن معنى الصوت: الغناء، والمزامير، واللهو، وهو قول: مجاهد، والضحاك^(٣).

القول الثالث:

أن معنى الصوت: الوسوسة، قال الطاهر بن عاشور: والصوت: يطلق على الكلام كثيراً، لأن الكلام صوت من الفهم، واستعير هنا للإلقاء الوسوسة في نفوس الناس^(٤).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان وجمهور المفسرين من أن معنى ﴿بَصَوْتِكَ﴾ أي: دعائك إلى المعصية. قال الطبري: « وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إن الله -تبارك وتعالى- قال لإبليس: واستفز من ذرية آدم من استطعت أن تستفزه بصوتك، ولم يخص من ذلك صوتاً دون صوت، فكل صوت كان دعاء إليه وإلى عمله وطاعته، وخلافاً للدعاء إلى طاعة الله، فهو داخل في معنى صوته الذي قال الله -تبارك

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٧٠).

(٢) انظر ذلك على النحو التالي: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٢٧)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٥٠)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣١٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٢)، الكشف للزخشي (٣/ ٥٣١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٧٠)، مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ٦)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٨٧)، بدائع التفسير لابن القيم (٣/ ٨٩)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٤٤)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٠١)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٠٥)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٩٩)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ٩٢)، تفسير المراغي (٥/ ٣٣٤).

(٣) سبق توثيقه انظر ص ٣٢٠.

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ١٥٣).

وتعالى - اسمه ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مَنْ أُسْطَظَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾^(١)، قال ابن القيم ~ :
 «الصوت الشيطاني يستفز بني آدم، وصوت الشيطان كل صوت في غير طاعة الله نسب إلى
 الشيطان لأمره به ورضاه به، وإلا فليس هو الصوت نفسه، فصوت الغناء، وصوت النوح،
 وصوت المعازف، والأوتار، وغيرها، كلها من أصوات الشيطان التي يستفز بها بني آدم
 فيسخرهم ويزعجهم»^(٢).



(١) سورة الإسراء: آية ٦٤.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/١٣٧).

(٣) بدائع التفسير لابن القيم (٣/١٩).

[٢٩/٤٥] المسألة الثانية: معنى قوله - تعالى - : ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ﴾^(١).

رجح أبو حيان ~ أن لإبليس خيلاً ورجلاً من [جنسه الجن]^(٢) حقيقة؛ حيث قال ~ : «والظاهر أن إبليس له خيل ورجالة من الجن من جنسه، قاله قتادة^(٣)، والخيل تطلق على الأفراس حقيقة وعلى أصحابها مجازاً وهم الفرسان، ومنه: [يا خيل الله اركبي]^(٤)، والباء في ﴿بِخَيْلِكَ﴾ قيل: زائدة، وقيل: من الآدميين، أضيفوا إليه لانخراطهم في طاعته، وكونهم أعوانهم على غيرهم قاله مجاهد^(٥)، وقال ابن عطية: وقوله: ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ﴾ وقيل: هذا مجاز واستعارة بمعنى اسع سعيك، وابلغ جهدك. انتهى^(٦)، وقال أبو علي^(٧): ليس للشيطان خيل، ولا رجل، ولا هو مأمور، إنما هذا زجر، واستخفاف به، كما تقول لمن تهدده: (اذهب فاصنع ما شئت واستعن بما شئت)، وقال الزمخشري: (فإن قلت): ما معنى استفزاز إبليس بصوته وإجلابه بخيله ورجله؟ (قلت): هو كلام وارد مورد التمثيل، مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتاً يستفزهم من أماكنهم، ويقلقهم عن مراكزهم، واجلب عليهم بجنده: من خيالة، ورجالة،

(١) سورة الإسراء: آية ٦٤.

(٢) وفي المطبوع (ورجاله من الجن).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/١٣٧)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/٢٣٣٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/١٤٢).

(٤) تخریج الحديث: سنن أبي داود كتاب الجهاد باب في النداء عند النفير يا خيل الله اركبي (٢/٣٠)، وساق في الباب حديث سمرة بن جندب أن النبي ﷺ سمى خيلنا بخيل الله، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤/١٨٦-١٨٧)، وأخرجه الحاكم في المستدرک (٢/٣٦٥-٣٦٦) موقوفاً على علي بن أبي طالب، وقال: صحيح على شرط البخاري مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/١٣٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/١٤٢).

(٦) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٧٠).

(٧) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، أبو علي، أحد الأئمة في علم العربية توفي سنة ٣٧٧هـ، انظر نزهة الألباء ص (٢٣٣)، والوافي بالوفيات (١١/٣٧٦).

حتى استأصلهم انتهى^(١) «^(٢)».

﴿الدراسة والموازنة﴾

قال -تعالى-: ﴿وَأَجْلَبْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أجمع عليهم الجموع من جندك، يقال أجلب عليه وجلب، أي: جمع عليه الجموع، قال الفراء: هو من الجلبة وهو الصياح^(١)، وقال أبو عبيدة: أجلبوا وجلبوا: من الصياح^(٢)، وقال الزجاج في (فعل وأفعل): أجلب على العدو وجلب إذا جمع عليه الخيل^(٣)، وقال ابن السكيت: يقال: هم يجلبون عليه، بمعنى: أنهم يعينون عليه^(٤)، وروى ثعلب عن ابن الأعرابي: أجلب الرجل على الرجل، إذا توعده بالشر وجمع عليه الجمع^(٥)، فعلى قول الفراء معنى الآية: صح عليهم بخيلك ورجلك، وعلى قول الزجاج: اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكائذك، وعلى هذا تكون الباء في قوله ﴿بِخَيْلِكَ﴾ زائدة، وعلى قول ابن السكيت معناه: أعن عليهم بخيلك ورجلك ومفعول الإجلاب على هذا القول محذوف تقديره: استعن على إغوائهم بخيلك ورجلك، وهو يقرب من قول ابن الأعرابي، ولكن اختلف المفسرون في المراد بقوله -تعالى-: ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ﴾ على أقوال منها:

القول الأول:

أن إبليس جنداً دخيلاً من الشياطين من جنسه، وهذا ظاهر الآية، وقاله: قتادة^(٦)، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (السمرقندي)^(٧).

القول الثاني:

كل راكب أو راجل في معصية الله فهو من خيل إبليس وجنوده، وهذا قول:

(١) الكشف للزمخشري (٣/ ٥٣١).

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٥٥-٥٦)، وانظر النهر (٦/ ٥٧).

(٣) انظر مفاتيح الغيب للرازي (٦/ ٢١)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٤٦).

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٥)، ومفاتيح الغيب للرازي (٦/ ٢١).

(٥) سبق توثيقه انظر ص ٣٢٣.

(٦) انظر تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٣).

ابن عباس^(١)، ومجاهد^(٢)، واختاره: (الزجاج، والنحاس، والماوردي، والواحدي، والبغوي، والقرطبي، والنسفي وأبو السعود، والسعدي)^(٣).

القول الثالث:

أن المراد ضرب المثل، كما يقال للرجل المجد في الأمر: جئت بالخيول والرجل، واختاره: (الزخشري، وابن عطية، والفخر الرازي، وابن عادل، والآلوسي، والطاهر بن عاشور)^(٤).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - أن معنى قوله - تعالى - : ﴿وَأَجَلِبْ عَلَيْهِمْ بِخِيَلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ أي: كل راكب وماش في معصية الله - تعالى - من الانس والجن، فهو من جند إبليس، ومنه قوله - تعالى - : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْزُّهُمْ أَزْأًا﴾^(٥)، ولا يضر أن يكون في الكلام استعارة تمثيلية، أو كناية عن الاتباع، وجميع مكائد الشيطان وأما قول أبي حيان: بأن للشيطان خيلاً ورجلاً فيحتاج إلى دليل ينص على ذلك^(٦).

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٣٧)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٧)، الدر المنثور (٥/ ٢٧٣).

(٢) سبق توثيقه انظر ص ٣٢٣.

(٣) انظر ترتيبه على النحو التالي: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٥٠)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٧٣)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٥٥)، الوسيط للواحدي (٣/ ١١٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٨٧)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦٣٠)، ارشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٤٤)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ٩٢).

(٤) انظر الكشف للزخشري (٣/ ٥٣١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٧٠)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٦)، روح المعاني للفخر الرازي (٨/ ١٠٦)، اللباب في علوم الكتاب (١٢/ ٣٣٠)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ١٥٤).

(٥) سورة مريم: آية ٨٣.

(٦) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ١٥٤).

[٣٠/٤٦] المسألة الثالثة: معنى المشاركة في الأموال.

رجح أبو حيان ~ أن مشاركة إبليس لبني آدم في الأموال، هي ما أخذ من غير حقه، وما وضع في غير حقه؛ حيث قال ~ : « والمشاركة في الأموال، قال الضحاك: ما يذبحون لألهتهم^(١)، وقال قتادة: البحيرة^(٢) والسائبة^(٣)، وقيل: ما أصيب من مال وحرام، وقيل: ما جعلوه من أموالهم لغير الله، وقيل: ما صرف في الزنا، والأولى: ما أخذ من غير حقه وما وضع في غير حقه »^(٤).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المشاركة التي عنيت بقوله - تعالى -: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ على عدة أقوال:

القول الأول:

هو أمر الشيطان لبني آدم بأن ينفقوا أموالهم في غير طاعة الله واكتسابها من غير حلها وهو ما رجحه أبو حيان ~ وعبر عنه بقوله: (ما أخذ من غير حقه وما وضع في غير

(١) انظر تفسير الضحاك (١/ ٥٣١)، جامع البيان للطبري (١٥/ ١٣٩)، النكت والعيون للهاوردي (٣/ ٢٥٥)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٤).

(٢) البحيرة: الناقة التي تُبحرُ أذنبا، أي تُشقُّ، قال الفراء وحكمها حكم السائبة وهي أمها، والسائبة الناقة التي ولدت عشرة أبطن كلها إناث سويت فلم تركب ولم يشرب لبنها إلا ولدها والضيف حتى تموت وإذا ماتت أكلها الرجال والنساء، وبحرت أذن ابتتها انظر الترجمان عن غريب القرآن لأبي المحاسن اليماني ص (١٠٨).

(٣) السائبة: هي بنت البحيرة وهي التي تُسبَّبُ في المرعى، فلا تُردُّ عن حوض، ولا علف، وذلك إذا ولدت خمسة أبطن، انظر مفردات القرآن للراغب ص (٤٣١).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٣٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٦)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٥٣).

(٥) انظر البحر المحيط (٦/ ٥٦)، وانظر النهر (٦/ ٥٧).

حقه)، وهو قول: مجاهد^(١)، والحسن^(٢)، وابن عباس^(٣)، وابن زيد^(٤)، وغيرهم، وقد اختاره من المفسرين: (الفراء، والطبري، والزجاج، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، ابن عطية، الفخر الرازي، القرطبي، والنسفي، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي)^(٥).

القول الثاني:

إن المراد به ما كان من تحريم المشركين ما كانوا يجرمون من الأنعام كالبحائر والسوائب وغير ذلك وهو قول: لابن عباس^(٦) وقتادة.

القول الثالث:

أن المراد ما كان المشركون يذبحونه لألهتهم، وهو قول الضحاك^(٧).

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٣٩/١٥)، النكت والعيون للماوردي (٢٥٥/٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٤٤/٥)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٣/٣).

(٢) انظر ذلك على الترتيب التالي: معاني القرآن للفراء (١٢٧/٢)، جامع البيان للطبري (١٣٩/١٥)، معاني القرآن للزجاج (٢٥٠/٣)، بحر العلوم للسمرقندي (٣٢٠/٢)، الوسيط للواحدي (١١٦/٣)، معالم التنزيل للبغوي (١٤٣/٣)، الكشف للزمخشري (٥٣١/٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤٧٠/٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٦/٢١)، الجامع للقرطبي (١٨٧/١٠)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦٣٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٣/٣)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٤٤/٤)، فتح القدير للشوكاني (٣٠٠/٣)، روح المعاني للآلوسي (١٠٦/٨)، محاسن التأويل للقاسمي (٥٩٨/٤).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٣٨-١٣٩/١٥)، النكت والعيون للماوردي (٢٥٥/٣)، معالم التنزيل للبغوي (١٤٣/٣)، مفاتيح الغيب للرازي (٦/٢١)، الجامع للقرطبي (٨٧/١٠).

(٤) سبق توثيقه انظر ص ٣٢٦.

﴿ الترجيح: ﴾

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من أن معنى المشاركة في الأموال هي: عبارة عن كل تصرف قبيح في المال سواء كان ذلك القبيح بسبب أخذه من غير حقه، أو وضعه في غير حقه ويدخل فيه الربا والغصب والسرقة والمعاملات الفاسدة، قال الطبري: «عني بذلك كل مال عصى الله فيه بإنفاق في حرام أو اكتساب من حرام، أو ذبح للآلهة، أو تسييب، أو بحر للشيطان، وغير ذلك مما كان معصياً به أو فيه وذلك أن الله قال: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ فكل ما أطيع الشيطان فيه من مال وعصى الله فيه فقد شارك فاعل ذلك فيه إبليس، فلا لخصوص بعض ذلك دون بعض» ^(١) قال الألوسي: «والتعميم أولى» ^(٢).

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/١٤٠).

(٢) انظر روح المعاني للألوسي (٨/١٠٦).

[٣١/٤٧] المسألة الرابعة: معنى المشاركة في الأولاد.

رجح أبو حيان ~ أن مشاركة إبليس عليه من الله ما يستحق لبني آدم في الأولاد؛ بأنه كل تصرف في الولد يؤدي إلى ارتكاب منكر وقبيح؛ حيث قال ~ : « والمشاركة في الأولاد، قال ابن عباس: تسميتهم عبد العزى وعبد اللات وعبد الشمس وعبد الحارث^(١)، وعنه أيضاً ترغيبهم في الأديان الباطلة كاليهودية والنصرانية^(٢) وعنه أيضاً إقدامهم على قتل الأولاد^(٣)، قال الحسن وقتادة: ما مجسوه وهودوه ونصروه وصبغوه غير صبغة الإسلام^(٤) وقال مجاهد: عدم التسمية عند الجماع فالجان ينطوي إذ ذاك على إحليله فيجامعه معه^(٥). وقيل: ترغيبهم في القتال والقتل وحفظ الشعر المشتمل على الفحش، والأولى أنه كل تصرف في الولد يؤدي إلى ارتكاب منكر وقبيح^(٦) ».

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في صفة شركة إبليس لبني آدم في أولادهم على أقوال منها:

القول الأول:

أنه أولاد الزنا وهو قول: ابن عباس^(١)، وسعيد بن جبير، ومجاهد^(٢)، والضحاك^(٣)، واختاره: (الواحدي، وابن الجوزي)^(٤).

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٤٠)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٥٥)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٤)، الجامع للقرطبي (١٠/ ١٨٧).

(٢) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٣)، الجامع للقرطبي (١٠/ ١٨٧).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٤٠)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٥٥)، الوسيط للواحدي (٣/ ١١٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٤).

(٤) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٣)، الجامع للقرطبي (١٠/ ١٨٧).

(٥) انظر البحر المحيط (٦/ ٥٦)، وانظر النهر الماد (٦/ ٥٧).

(٦) انظر جامع البيان للطبري (٥/ ١٣٩-١٤٠)، تفسير الضحاك (١/ ٥٣١)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٢٠)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٥٥)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٤)، ابن كثير (٣/ ٥٣).

(٧) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١١٦)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٤).

القول الثاني:

أنه الموءودة من أولادهم، وهو قول آخر عن ابن عباس^(١).

القول الثالث:

أنه تسمية أولادهم عبيداً لأوثانهم، كعبد شمس، وعبد العزى، وعبد مناف، وهو قول آخر عن ابن عباس^(٢).

القول الرابع:

أنه ما مجسوا وهودوا ونصروا وصبغوا من أولادهم غير صبغة الإسلام، قاله: الحسن وقتادة^(٣).

القول الخامس:

أنه كل تصرف في الولد يؤدي إلى ارتكاب منكر وقبيح أي كل ما عصي الله فيه أو به وهذا الذي رجحه أبو حيان ~ ، واختاره: (الطبري، والزجاج، والزخشي، وابن عطية، والفخر الرازي، والنسفي، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي والقاسمي)^(٤).

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٤٠)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٥٥)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٥٣).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٤٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٤)، الجامع للقرطبي (١٠/ ١٨٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٥٣).

(٣) سبق توثيقه انظر ص ٣٢٩.

(٤) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٥/ ١٤٠)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٥٠)، الكشف للزخشي (٣/ ٥٣١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٧١)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٦)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦٣٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٥٤)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٤٤)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٠٠)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٠٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٩٨).

القول السادس:

أن هذا الكلام مجاز لا على وجه الحقيقة، إنما يراد به المثل، وهذا ما اختاره: أبو الليث السمرقندي^(١).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من أن معنى المشاركة في الأولاد: أن كل تصرف من المرء في ولده على وجه يؤدي إلى ارتكاب منكر، أو قبيح فهو داخل فيه، قال الطبري: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال لا كل ولد ولده أنثى عصى الله بتسميته ما يكرهه الله، أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله، أو بالزنا بأمه، أو قتله ووأده، أو غير ذلك من الأمور التي يعصى الله بها بفعله به أو فيه، فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك المولود له أو منه، لأن الله لم يخص بقوله: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى، فكل ما عصى الله فيه أو به، وأطيع به الشيطان أو فيه، فهو مشاركة من عصى الله فيه أو به إبليس فيه»^(٢)، قال ابن كثير: «وهذا الذي قاله الطبري: متجه، وكل السلف - رحمهم الله - فسر بعض المشاركة، فقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله ﷻ إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم»^(٣)،^(٤).

(١) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٢٠).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٤٠).

(٣) انظر صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٤/ ٢١٩٧)، صحيح ابن حبان كتاب الرقائق باب الخوف والتقوى (٢/ ٤٢٢).

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٥٤).

قال - تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾^(١) وفيها مسألة واحدة:

[٣٢ / ٤٨] المسألة : معنى التكريم والتفضيل في الآية.

رجح أبو حيان ~ أن تكريم بني آدم لا ينحصر في صورة معينة، بل جعلهم الله ذوي كرم أي شرف ومحاسن جمّة لا يحيط بها نطاق الحصر، وما ذكر المفسرون إنما هو على سبيل التمثيل لا على الحصر؛ حيث قال ~ : « ولما ذكر - تعالى - ما امتن به عليهم من إزجاء الفلك في البحر ومن تنجيتهم من الغرق، تم ذكر المنّة بذكر تكريمهم ورزقهم وتفضيلهم، أو لما هدهم بما هدد من الخسف والغرق وأنهم كفروا نعمته، ذكر ما أنعم به عليهم ليتذكروا ويشكروا ونعمه ويقلقعوا عن ما كانوا فيه من الكفر ويطيعوه - تعالى -، وفي ذكر النعم وتعدددها هز لشكرها، وكرّم معدى بالتضعيف من كرم: أي جعلناهم ذوي كرم، بمعنى الشرف والمحاسن الجمّة كما تقول «ثوب كريم»، «فرس كريم»: أي جامع للمحاسن وليس من كرم المال، وما جاء عن أهل التفسير من تكريمهم وتفضيلهم بأشياء ذكرها هو على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر في ذلك، كما روي عن ابن عباس: أن التفضيل بالعقل^(١) وعن الضحاك: بالنطق^(٢)، وعن عطاء: بتعديل القامة وامتدادها^(٣)، وعن زيد بن أسلم: بالمطاعم وال لذات^(٤)، وعن يمان^(٥): بحسن الصورة^(٦)، وعن محمد بن كعب: بجعل محمد

(١) سورة الإسراء: آية ٧٠.

(٢) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٥).

(٣) انظر تفسير الضحاك (١/ ٥٣٢)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٢١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٥).

(٤) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١١٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٥).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٤٥)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٧).

(٦) يمان بن رثاب الخرساني، قال الدارقطني: ضعيف، يرى رأي الخوارج، انظر الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٣/ ٢١٨).

(٧) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٧).

عَلَى الصَّلَاةِ عَلَيْهِمُ (١)، وعن ابن جرير: بالتسليط على غيره من الخلق وتسخير له (٢)، وقيل: بالخط، وقيل: باللحية للرجل والذؤابة للمرأة، وعن ابن عباس: بأكله بيده وغيره بفمه (٣)، وقيل: بتدبير المعاش والمعاد، وقيل: بخلق الله آدم بيده، قال ابن عطية: (وقد ذكر أن من الحيوان ما يفضل بنوع ما ابن آدم كجري الفرس وسمعه وإبصاره وقوة الفيل وشجاعة الأسد وكرم الديك، وقال: وإنما التكريم والتفضيل بالعقل الذي يملك به الحيوان كله وبه يعرف الله ويفهم كلامه ويوصل إلى نعيمه). انتهى (٤) « (٥).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في تكريم بني آدم فيما يكون على عدة أقوال:
القول الأول:

إن التكريم بالإيمان، وهو قول أبي صالح عن ابن عباس (٦).

القول الثاني:

إن سائر الحيوان يأكل بفيه، إلا ابن آدم فإنه يأكل بيده، ورواه ميمون بن مهران عن ابن عباس (٧).

(١) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٤٧/٥).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٤٥/١٥).

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢٣٣٩/٧)، معاني القرآن للنحاس (١٧٦/٤)، الوسيط للواحدي (١١٨/٣)، معالم التنزيل للبغوي (١٤٥/٣)، الدر المنثور للسيوطي (٢٧٦/٥).

(٤) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٤٧٣/٣).

(٥) انظر البحر المحيط (٥٨/٦)، وانظر النهر الماد (٦١/٦).

(٦) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٤٧/٥).

(٧) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٤٧/٥).

القول الثالث:

أن التكريم بالعقل، وروي عن ابن عباس^(١)، واختاره: (الزجاج، والواحدي، وابن عطية، والقرطبي، والشوكاني، والقاسمي)^(٢).

القول الرابع:

أن التكريم بالنطق والتمييز قاله: الضحاك^(٣).

القول الخامس:

أن التكريم بتعديل القامة وامتدادها، قاله: عطاء^(٤).

القول السادس:

أن التكريم بأن جعل محمد ﷺ منهم، قاله: محمد بن كعب^(٥).

القول السابع:

أن التكريم بالمطاعم واللذات في الدنيا قاله زيد بن أسلم^(٦).

القول الثامن:

أن التكريم بحسن الصورة، قاله: يمان^(٧)، واختاره: (ابن كثير)^(٨).

(١) سبق توثيقه انظر ص ٣٣٢ .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٥٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ١١٧)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٧٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٩٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٠٣)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦٠١).

(٣) سبق توثيقه انظر ص ٣٣٢ .

(٤) سبق توثيقه انظر ص ٣٣٢ .

(٥) سبق توثيقه انظر ص ٣٣٢ .

(٦) سبق توثيقه انظر ص ٣٣٢ .

(٧) سبق توثيقه انظر ص ٣٣٢ .

(٨) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٥٥).

القول التاسع:

أن التكريم بتسليطهم على غيرهم من الخلق، وتسخير سائر الخلق لهم قاله: ابن جرير الطبري^(١).

القول العاشر:

أن التكريم بالأمر والنهي، ذكره الماوردي^(٢).

القول الحادي عشر:

أن التكريم بأن جعلت اللحى للرجال والذوائب للنساء، ذكره الثعلبي^(٣).

القول الثاني عشر:

إن تكريم بني آدم لا ينحصر في صورة معينة، بل جعلهم الله ذوي كرم، أي: شرف ومحاسن جمّة لا يحيط بها نطاق الحصر وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره من المفسرين: (أبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والسعدي)^(٤).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ من أن تكريم بني آدم وتفضيلهم لا ينحصر في صورة معينة وذلك لأن الله - تعالى - عندما كرم بني آدم فقد كرمهم بجميع وجوه الإكرام وليس بوجه واحد، فقد كرمهم بالعلم والعقل وإرسال الرسل وإنزال الكتب وجعل منهم الأولياء والأصفياء، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة، وما ذكره المفسرون فهو على سبيل التمثيل لا الحصر كما قال أبو حيان ~ ، قال الآلوسي: «والكل في الحقيقة على سبيل التمثيل، ومن ادعى الحصر في واحد كابن

(١) سبق توثيقه انظر ص ٣٣٣ .

(٢) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٥٧).

(٣) انظر الكشف والبيان (٦/ ١١٥).

(٤) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٤٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٠٣)، وروح المعاني للآلوسي (٨/ ١١٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٩/ ١٦٥)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ٩٥).

عطية حيث قال: إنما التكريم بالعقل لا غير، فقد ادعى غلطاً، ورام شططاً، وخالف صريح العقل، وصحيح النقل، ولذا استدل الشافعي بالآية على عدم نجاسة الأدمي بالموت^(١)، والقول بالعموم أولى، فيجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد الدليل بالتخصيص^(٢).



(١) روح المعاني للآلوسي (٨/١١٢).

(٢) انظر قواعد الترجيح (٢/٥٢٧).

قال - تعالى -: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (٧٨)، وفيها مسألة واحدة:

[٣٣/٤٩] المسألة: معنى مشهوداً.

رجح أبو حيان ~ أن معنى مشهوداً: تشهد الملائكة حفظة الليل، وحفظة النهار؛ حيث قال ~ : « ومعنى مشهوداً تشهده الملائكة حفظة الليل وحفظة النهار، كما جاء في الحديث [أنهم يتعاقبون ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر] ^(١) وهذا قول الجمهور، وقيل: يشهده الكثير من المصلين في العادة، وقيل: من حقه أن تشهده الجماعة الكثيرة...، وقال محمد بن سهل بن عسكر ^(٢) مشهوداً: يشهده الله وملائكته، وذكر حديث أبي الدرداء أنه - تعالى - ينزل في آخر الليل، ولأبي عبد الله الرازي كلام في قوله مشهوداً: على عادته في تفسير كلام كتاب الله [على] ^(٣) ما لا تفهمه العرب ^(٤)، والذي ينبغي بل لا يعدل عنه ما فسره به الرسول ﷺ من قوله فيه يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار وقال فيه الترمذي: حديث حسن صحيح ^(٥) ».

(١) سورة الإسراء: آية ٧٨.

(٢) تخريج الحديث: أخرجه الطبري واللفظ له، انظر جامع البيان (١٥/١٣٩)، وأحمد في مسنده (١٣٨/٢٣٨)، وابن ماجه في سننه (١/٢٢٠)، والنسائي في سننه (١/٢٤١) والترمذي في سننه (١/٤٥٠)، وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح، وبلغظ آخر قريب رواه البخاري كتاب الأذان باب فضل الجماعة (٢/١٣١)، ومسلم في كتاب المساجد باب فضل صلاة الجماعة (١/٤٥٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً ولفظه [تفضل صلاة الجمع على صلاة الرجل وحده خمساً وعشرين درجة... قال وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر، قال أبو هريرة اقرؤوا إن شئتم ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾] وقد روى ابن جرير (١٥/١٦١) الجزء الأخير من حديث البخاري.

(٣) محمد بن سهل بن عسكر التميمي مولا هم أبو بكر البخاري نزل بغداد، ثقة من الحادية عشر مات سنة ٢٥١ هـ، انظر التقريب لابن حجر (١/٤٨٢).

(٤) سقط من المطبوع.

(٥) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/٢٤).

(٦) انظر البحر المحيط (٦/٦٩)، وانظر النهر (٦/٦٩).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بكلمة [مَشْهُودًا]: في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ على عدة أقوال منها:

القول الأول:

أن قرآن الفجر تشهد: ملائكة الليل وملائكة النهار الحفظة الكتبة؛ لما ثبت عن النبي ﷺ (إنهم يتعاقبون ويجمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر) ^(١)، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختار هذا القول من المفسرين: (الفراء، والطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والماوردي، والواحدي، والبغوي، والزنجشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي) ^(٢).

القول الثاني:

أنه يشهده الله وملائكته، وهو قول محمد بن سهل بن عسكر، قال ابن عطية: (وذكر في ذلك الحديث أن الله -تعالى- ينزل في آخر الليل، ونحو هذا مما ليس بالقوي) ^(٣)، ورجحه ابن القيم ^(٤).

القول الثالث:

أنه تشهد الجماعة الكثيرة، قاله: ابن بحر ^(٥).

(١) سبق تخريجه انظر الصفحة السابقة. ص ٣٣٧.

(٢) انظر ذلك على الترتيب التالي: معاني القرآن للفراء (١٢٩/٢)، جامع البيان للطبري (١٥/١٦١)، معاني القرآن للزجاج (٣/٢٥٦)، معاني القرآن للنحاس (٤/١٨٣)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/٣٢٥)، النكت والعيون للماوردي (٣/٢٦٤)، الوسيط للواحدي (٣/١٢١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/١٤٨)، الكشف للزنجشري (٣/٥٤٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٧٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/٥٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/١٩٩)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦٣٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٥٨)، فتح القدير (٣/٣١١)، روح المعاني للآلوسي (٨/١٣١)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/٦٠٦).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٧٨).

(٤) بدائع التفسير لابن القيم (٣/٩٣).

(٥) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/٢٦٢)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/٢٤).

القول الرابع:

أنه يشهد قرآن الفجر الكثير من المصلين.

القول الخامس:

أنه تشهده وتحضر فيه شواهد القدرة من تبدل الضياء بالظلمة، والانتباه بالنوم الذي هو أخو الموت، وهذا ما رجحه الفخر الرازي^(١)، وقد انتقده أبو حيان في ذلك وقال: «ولأبي عبد الله الرازي كلام في قوله: [مَشْهُودًا] على عادته في تفسير كلام الله ما لا تفهمه العرب»^(٢).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان وجمهور المفسرين من معنى مشهودا في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ أي تشهد ملائكة الليل والنهار الحفظة الكتبة؛ وذلك:

١ - لورود النص الثابت عن النبي ﷺ^(٣)، وإذا ثبت الحديث، وكان في معنى أحد الأقوال فهو مُرَّجَح له على ما خالفه^(٤)، قال الآلوسي بعدما ذكر أقوال الرازي في تفسير قوله تعالى ﴿مَشْهُودًا﴾ في الآية: «وأنت تعلم أنه لا يوجد للحصر المدلول عليه بقوله: وهذا هو المراد، ثم إبداء ذلك الاحتمال مع أنه بعدما صح تفسير النبي ﷺ له بما سمعت لا ينبغي أن يقال في غيره هذا هو المراد، ولا يخفى ما في هذه الجملة من الترغيب والحث على الاعتناء بأمر صلاة الفجر؛ لأن العبد في ذلك الوقت مشيع كراماً ومتلقي كراماً، فينبغي أن يكون على أحسن حال يتحدث به الراحل ويرتاح له النازل»^(٥).

٢ - اختيار الجمهور من أقوى المرجحات، فتفسير الجمهور السلف مقدم على غيره.

(١) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٤/٢١).

(٢) انظر البحر المحيط لأبي حيان (٦٩/٦).

(٣) سبق توثيقه انظر ص ٣٣٧.

(٤) انظر قواعد الترجيح (٢٠٦/١).

(٥) روح المعاني (١٣١/٨).

قال - تعالى -: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾^(١)، وفيها مسألتان:

[٣٤/٥٠] المسألة الأولى: مرجع الضمير في قوله - تعالى -: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن مرجع الضمير في قوله: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ يعود على القرآن أي: فتهجد بالقرآن في الصلاة؛ حيث قال ~ : «والظاهر أن الضمير في ﴿بِهِ﴾ يعود على القرآن لتقدمه في الذكر، ولا تلحظ الإضافة فيه والتقدير فتهجد بالقرآن في الصلاة، وقال ابن عطية: والضمير ﴿بِهِ﴾ عائد على وقت المقدّر في وقته من الليل^(٢). انتهى»^(٣).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله - تعالى -: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ على قولين:
القول الأول:

أن مرجع الضمير في ﴿بِهِ﴾ يعود على القرآن، أي: فتهجد بالقرآن في الصلاة، واستدل بذلك على تطويل القراءة في صلاة التهجد وهو قول ابن عباس^(٤)، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الطبري، والواحدي، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والنسفي، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي)^(٥).

(١) سورة الإسراء: آية ٧٩.

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٧٨).

(٣) انظر البحر المحيط (٦/٦٩)، وانظر النهر (٦/٦٩).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/١٦٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/٥٤)، مفاتيح الغيب للرازي (٢١/٢٥) بلا نسبة.

(٥) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٥/١٦٤)، الوسيط للواحدي (٣/١٢١)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/٥٤)، مفاتيح الغيب للرازي (٢١/٢٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/١٩٩)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦٣٣) فتح القدير للشوكاني (٣/٣١١)، روح المعاني للآلوسي (٨/١٣٢)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/١٨٤)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/٦١٢).

القول الثاني:

أن مرجع الضمير في ﴿يَهْءَ﴾ يعود على الوقت المقدر في النظم الكريم، أي: قم وقتاً من الليل فتعبد فيه فتكون الباء بمعنى (في)، وقد اختاره: (السمرقندي، وابن عطية) (١).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان وجمهور المفسرين من أن مرجع الضمير في [الجار والمجرور] في قوله - تعالى -: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ يعود على القرآن، قال الشوكاني: «والضمير المجرور راجع إلى القرآن، وما قيل من أنه منتصب على الإغراء، والتقدير عليك بعض الليل فبعيد جداً» (٢)، قال الألوسي: «وبه للقرآن من حيث هو لا بقيد إضافته إلى الفجر، واستدل بذلك على تطويل القراءة في صلاة التهجد، وقد صرح العلماء بنذب ذلك، وفي صحيح مسلم من حديث (٣) حذيفة: «صليت وراء النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة، ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة، فمضى فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مسترسلاً إذا مر بآية تسبيح سبح» (٤).

(١) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٢٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٧٨).

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣١١).

(٣) انظر صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل (١/ ٥٣٦).

(٤) انظر روح المعاني للألوسي (٨/ ١٣٢).

[٣٥/٥١] المسألة الثانية: المراد بالمقام المحمود.

رجح أبو حيان ~ من أن معنى المقام المحمود هو: المقام الذي يشفع فيه الرسول ﷺ، حيث قال أبو حيان ~ : « وفي تفسير المقام المحمود أقوال: أحدهما: أنه أمر الشفاعة التي يتدافعها الأنبياء حتى تنتهي إليه ﷺ والحديث في الصحيح وهي عدة من الله تعالى له ﷺ، وفي هذه الشفاعة يحمده أهل الجمع كلهم، وفي دعائه المشهور « وابعثه المقام المحمود الذي وعدته »^(١) واتفقوا على أن المراد منه: الشفاعة.

والثاني: أنه في أمر شفاعته لأمته في إخراجهم من النار، وهذه الشفاعة لا تكون إلا بعد الحساب ودخول الجنة ودخول النار، وهذه لا يتدافعها الأنبياء بل يشفعون ويشفع العلماء، وقد روى حديث هذه الشفاعة وفي آخره حتى لا يبقى في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود، قال ثم تلا هذه الآية ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾^(٢) وعن أبي هريرة أنه ﷺ قال: [المقام المحمود هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي]^(٣) فظاهر الكلام تخصيص شفاعته لأمته، وقد تأوله من حمل ذلك على الشفاعة العظمى التي يحمده بسببها الخلق كلهم على أن المراد لأمته وغيرهم، أو يقال إن كل مقام فيها محمود.

الثالث: عن حذيفة: يجمع الله الناس في صعيد فلا تتكلم نفس فأول مدعو محمد

(١) تخريج الحديث: صحيح البخاري في تفسير سورة بني إسرائيل باب عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً (٤/١٧٤٨)، وفي كتاب التوحيد باب وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة (٦/٢٠٧٨)، سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن باب سورة بني إسرائيل (٥/٣٠٨).

(٢) سورة الإسراء: آية ٧٩.

(٣) تخريج الحديث: أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/١٦٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٧/٢٣٤٢)، والترمذي: كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة بني إسرائيل (٥/٣٠٣) وقال الترمذي « حديث حسن »، وأحمد في المسند (٢/٤٤٤-٤٧٨)، وقال الألباني حديث حسن انظر السلسلة الصحيحة (٥/٤٨٤) حديث رقم (٢٣٦٩).

ﷺ، فيقول: [لبيك وسعديك، والشر ليس إليك، والمهدي من هديت، وعبدك بين يديك، وبك وإليك، لا منجى ولا ملجأ إلا إليك، تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت]، قال: فهذا [معنى]^(١) قوله ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [(١)].

الرابع: قال الزمخشري: معنى المقام المحمود المقام الذي يحمد القائم فيه، وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات . انتهى^(٢). وهذا قول حسن ولذلك نكر ﴿مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ فلم يتناول مقاماً مخصوصاً بل كل مقام محمود صدق عليه إطلاق اللفظ.

الخامس: ما قالتها فرقة، منها: مجاهد، وقد روي أيضاً عن ابن عباس، أن المقام المحمود هو: أن يجلسه الله معه على العرش، وذكر الطبري في ذلك حديثاً^(٣) وذكر النقاش^(٤) عن أبي داود السجستاني^(٥) أنه قال: من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متهم ما زال أهل العلم يحدثون بهذا^(٦).

(١) سقط من المطبوع .

(٢) تخريج الحديث: أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/١٦٦)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٧/٢٣٤٣)، والنسائي في السنن الكبرى كتاب التفسير (٦/٣٨١)، والحاكم في المستدرک (٢/٣٦٣-٣٦٤)، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٣) انظر الكشف للزمخشري (٣/٥٤٢).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/١٦٨).

(٥) محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر بن سند أبو بكر المقرئ النقاش، موصلی الأصل، كان عالماً بحروف القرآن حافظاً للتفسير صنف فيه كتاباً سماه شفاء الصدور، وله تصانيف في القراءات وغيرها، توفي سنة ٣٥١ هـ انظر تاريخ بغداد (٢/٢٠١)، تذكرة الحفاظ للسيوطي (٣/٩٠٨).

(٦) سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السجستاني، أبو داود ثقة حافظ مصنف السنن وغيرها من كبار العلماء، توفي سنة ٢٧٥ هـ، انظر تاريخ بغداد (٩/٥٥)، تذكرة الحفاظ للسيوطي (٢/٥٩١).

(٧) ورد هذا الحديث عن مجاهد مرفوعاً وموقوفاً، فمرفوعاً من حديث ابن مسعود ﷺ أورده الذهبي في "العلو" ص ٥٥ من طريق سلمة بن الأحمر عن أشعث بن طليق عن ابن مسعود قال الذهبي: [وهذا حديث منكر لا يُفْرَحُ به، وسلمة هذا متروك الحديث، وأشعث لم يلحق ابن مسعود] أ.هـ، قال الألباني ⇨ =

قال ابن عطية: يعني من أنكر جوازه على تأويله^(١)...، قال الواحدي: « هذا القول مروى عن ابن عباس، وهو قول رذل موحش فظيع لا يصح مثله عن ابن عباس، ونص الكتاب ينادي بفساده من وجوه:

الأول: أن البعث ضد الإجلال، بعثت [البعير المبارك]^(٢)، وبعث الله الميت أقامه من قبره، فتفسيره البعث بالإجلال تفسير الضد بالضد.

= عن هذا الخبر: باطل، انظر " السلسلة الضعيفة " ٨٦٥ ثم أشار إلى أن الحديث موصولا من طريق آخر عن ابن مسعود، ولا يصح أيضا ثم أحال عليه برقم (٥١٦٠). ورواه الديلمي من حديث ابن عمر مرفوعاً، كما في الدرر (٢٨٧/٥)، ورواه الطبراني عن ابن عباس موقوفاً كما في المجمع (٥١/٤)، وقال الهيثمي: فيه ابن لهيعة وهو ضعيف إذا لم يتابع، وعطاء بن دينار قيل لم يسمع من سعيد بن جبير، وله طريق آخر عن ابن عباس أشار إليه الذهبي في العلو، وفي سنده عمرو بن مدرك الرازي وهو متروك وجويز المفسر وهو متروك ولذلك قال الذهبي: إسناده ساقط ويروى مرفوعاً، وهو باطل، وورد من قول عبدالله بن سلام، وقال الذهبي عن أثر ابن سلام: " موقوف ولا يثبت إسناده " إنما هذا شيء قاله مجاهد، وأما أثر مجاهد فقال الذهبي في العلو ص (٧٣): " هذا القول طرق خمسة، وأخرجه ابن جرير (١٦٨/١٥) في " تفسيره "، وعمل فيه المروزي مصنفاً، وفي سنده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف مختلط قال الحافظ الذهبي في ترجمة مجاهد في الميزان (٤٢٩/٣): « ومن أنكر ما جاء عن مجاهد في التفسير في قوله ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ قال: يجلسه معه على العرش أ.هـ وقد نُسبَ إلى الإمام الدار قطني أنه قال: حديث الشفاعة في أحمد إلى أحمد المصطفى نسنده، فأما حديث أتى بإقاعده على العرش فلا نجده أقول: لم يصح نسبة القول إلى الدار قطني كما أشار إلى ذلك العلامة الألباني (٢٥٦/٢)، وأما قول أبي داود السجستاني أنه قال: [من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متهم ما زال أهل العلم يحدثون بهذا الحديث]. فإن هذا الحديث لم يثبت ولذا فلا داعي للتمسك به فضلاً عن اتهام منكره في دينه، ومن الغلو الفاحش قول بعض المحدثين: " لو أن حالفاً حلف بالطلاق أن الله يقعد محمداً ﷺ على العرش واستفتاني، لقلت له: صدقت وبررت "، قال الذهبي رحمه الله متعقباً هذا القول: فأبصر حفظك الله من الهوى كيف آل الغلو بهذا المحدث إلى وجوب الأخذ بأثر منكر، واليوم يردون الأحاديث الصريحة في العلو، بل يحاول بعض الطغام أن يرد قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ أ.هـ وقول الذهبي في العلو أي الذي يليق بكمال الله من غير مكان ولا جهة.

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٤٧٩/٣).

(٢) وفي المطبوع (التارك) .

الثاني: لو كان جالساً - تعالى - على العرش لكان محدوداً متناهيّاً فكان يكون محدثاً.

الثالث: أنه قال: ﴿مَقَامًا﴾ ولم يقل مقعداً ﴿مَحْمُودًا﴾، والمقام موضع القيام لا موضع القعود.

الرابع: أن الحمقى والجَهَّال يقولون إن أهل الجنة يجلسون كلهم معه - تعالى - ويسألهم عن أحوالهم الدنيوية فلا مزية له بإجلالته معه.

الخامس: أنه إذا قيل "بعث السلطان فلاناً لا يفهم منه أجلسه مع نفس" (١). انتهى (٢).

وقال في النهر: « والمقام المحمود: قال أبو هريرة: أنه ﷺ قال: المقام هو الذي أشفع فيه لأمتي » (١)، (٢).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في تعيين هذا المقام المحمود الوارد في الآية على أقوال منها:

القول الأول:

أنه المقام الذي هو يقومه النبي ﷺ يوم القيامة للشفاعة يوم القيامة للناس ليرحمهم ربهم من عظيم ما هم فيه، وهذا القول هو الذي دلت عليه الأدلة الصحيحة في تفسير الآية، وحكاها ابن جرير عن أكثر أهل التأويل (١) قال الواحدي: وإجماع المفسرين على أن المقام المحمود، هو مقام الشَّفاعة (٢)، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره من المفسرين: (الطبري، والنحاس والواحدي، والبغوي، وابن عطية، والفخر الرازي،

(١) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٢٢).

(٢) انظر البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٧٠ - ٧١) باختصار يسير.

(٣) سبق تخريجه انظر ص ٣٤٢.

(٤) انظر النهر (٦/ ٦٩).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٦٦ - ١٧٠).

(٦) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٢٢).

والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، وابن عادل الحنبلي، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والسعدي والمراغي^(١).

القول الثاني:

أن المقام المحمود إعطاء النبيّ لواء الحمد يوم القيامة، قال الشوكاني: «ويمكن أن يقال: إن هذا لا ينافي القول الأوّل، إذ لا منافاة بين كونه قائماً مقام الشفاعة وبيده لواء الحمد»^(٢).

القول الثالث:

أن المقام المحمود: هو أن الله - سبحانه - يجلس محمداً ﷺ معه على كرسيه، قاله: مجاهد^(٣).

القول الرابع:

أنه مطلق في كل مقام يجلب الحمد من أنواع الكرامات، ذكره الزمخشري وقد استحسّنه أبو حيان ~ حيث قال: «وهذا قول حسن، ولذلك نكر ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ فلم يتناول مقاماً مخصوصاً بل كل مقام محمود صدق عليه إطلاق اللفظ»، ويجاب عنه بأن الأحاديث الصحيحة الواردة في تعيين هذا المقام المحمود متواترة، فالمصير إليها متعين، قال الشوكاني: «وليس في الآية عموم في اللفظ حتى يقال: الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومعنى قوله: (وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد) أنه عام في كل ما هو كذلك،

(١) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٥/١٦٨)، معاني القرآن للنحاس (٤/١٨٥)، معالم التنزيل للبغوي (٣/١٥٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٧٩)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/٢٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/٢٠١)، مدارك التنزيل ص (٦٣٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٥٨)، فتح القدير (٣/٣١٢)، روح المعاني للآلوسي (٨/١٣٤)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/١٨٤)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/٦١٣)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/٩٩)، تفسير المراغي (٥/٣٤٦).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/٣١٢).

(٣) سبقت دراسة القول في أصل المسألة فلا داعي لإعادته انظر ص ٣٤٣-٣٤٤ هامش.

ولكنه يعبر عن العام بلفظ المطلق، كما ذكره في ذبح البقرة، ولهذا قال هنا، وقيل: المراد: الشفاعة، وهي نوع واحد مما يتناوله، يعني: لفظ المقام، والفرق بين العموم البدلي والعموم الشمولي معروف^(١).

﴿ الترجيح ﴾

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ، وجمهور المفسرين من أن المراد بالمقام المحمود هو: مقام الشفاعة، وذلك لما يلي:

١ - لما أخرجه البخاري^(٢) في حديث الشفاعة عن ابن عمر: أن المقام المحمود في تفسير سورة بني إسرائيل، باب عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، في حديث الشفاعة عن ابن عمر: أن المقام المحمود هو: مقام الشفاعة، قال الشوكاني: « وقال الواحدي: أجمع المفسرون على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة وهو القول الذي دلت عليه الأدلة الصحيحة في تفسير الآية »^(٣)، وإذا ثبت الحديث، وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه^(٤).

٢ - قال الرازي: « القول الأول أولى، لأن سعيه في الشفاعة يفيد إقدام الناس على حمده فيصير محموداً، ولما ثبت أن لفظ الآية مشعر بهذا المعنى إشعاراً قوياً، ثم وردت الأخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى، وجب حل اللفظ عليه، ومما يؤكد هذا الوجه الدعاء المشهور وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، يغبطه به الأولون والآخرون، واتفق الناس على أن المراد منه: الشفاعة »^(٥).

(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣١٢).

(٢) سبق تخريجه انظر ص ٣٤٢.

(٣) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣١٢).

(٤) انظر قواعد الترجيح (١/ ٢٠٦).

(٥) انظر مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ٢٧).

قال - تعالى -: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ﴾^(١)، وفيها مسألتان:

[٣٦/٥٢] المسألة الأولى: المراد بـ (مدخل الصدق ومخرجه).

رجح أبو حيان ~ أن معنى مدخل الصدق ومخرج الصدق عام يشمل جميع الموارد والمصادر الدنيوية والأخروية وأن جميع ما ورد عن المفسرين إنما هو من باب التمثيل لا التعيين؛ حيث قال ~ : « ولما أمره - تعالى - بإقامة الصلاة، والتهجد، ووعد به بعهه ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ وذلك في الآخرة، أمره بأن يدعو به بما يشمل أموره الدنيوية والأخروية، فقال: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ﴾^(٨٠) والظاهر أنه عام في جميع موارده ومصادره دنيوية وأخروية، والصدق هنا لفظ يقتضي رفع المذام واستيعاب المدح؛ كما تقول: رجل صدق، إذ هو مقابل رجل سوء، وقال ابن عباس والحسن وقتادة: هو إدخال خاص وهو في المدينة، وإخراج خاص وهو من مكة^(١)، فيكون المقدم في الذكر هو المؤخر في الوقوع، ومكان الواو هو الأهم فبدئ به. وقال مجاهد وأبو صالح: ما معناه إدخاله فيما حمله من أعباء النبوة وأداء الشرع وإخراجه منه مؤدياً لما كلفه من غير تفريط^(٢)، وقال الزمخشري: أدخلني القبر ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ إدخالاً مرضياً على طهارة وطيب من السيئات، وأخرجني منه عند البعث إخراجاً مرضياً ملقى بالكرامة آمناً من السخط، يدل عليه ذكره على ذكر البعث^(٣)، وقيل: إدخاله مكة ظاهراً عليها بالفتح، وإخراجه منها آمناً من المشركين، وقال محمد بن

(١) سورة الإسراء: آية ٨٠.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥ / ١٧١)، معاني القرآن للنحاس (٤ / ١٨٥)، سنن الترمذي كتاب التفسير، باب ومن سورة بني إسرائيل (٥ / ٣٠٤)، وقال الألباني: ضعيف الإسناد، مسند أحمد (١ / ٢٢٣)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف مستدرک الحاكم (٣ / ٤)، وقال: هو: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥ / ١٧٢).

(٤) انظر الكشف للزمخشري (٣ / ٥٤٥).

المنكدر^(١): إدخاله الغار وإخراجه منه سالماً^(٢)، وقيل: الإخراج من المدينة والإدخال مكة بالفتح، وقيل: الإدخال في الصلاة والإخراج منها، وقيل: الإدخال في الجنة والإخراج من مكة، وقيل: الإدخال فيما أمر به والإخراج مما نهاه عنه، وقيل: ﴿أَدْخَلْنِي﴾ في بحار دلائل التوحيد والتنزيه، ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾ من الاشتغال بالدليل إلى معرفة المدلول والتأمل في آثار محدثاته إلى الاستغراق في معرفة الأحد الفرد، وقال أبو سهل: حين رجع من تبوك وقد قال المنافقون: ﴿لِيُخْرِجَك الْأَعْرَضُ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ يعني إدخال عز وإخراج نصر إلى مكة، والأحسن في هذه الأقوال أن تكون على سبيل التمثيل لا التعيين، ويكون اللفظ كما ذكرناه يتناول جميع الموارد والمصادر^(٣).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في معنى مُدخل الصدق الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يرغب إليه في أن يدخله إياه، وفي مخرج الصدق الذي أمره أن يرغب إليه في أن يخرج به إياه على أقوال:

القول الأول:

مدخل الصدق هو: مُدخل رسول الله ﷺ المدينة، حين هاجر إليها، ومُخرج الصدق: مُخرجه من مكة، حين خرج منها مهاجراً إلى المدينة، وعلله من رجحه بأن هذه الآية جاءت عقيب قوله -تعالى-: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خَلْقَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٤)، وقد اختاره عدد من المفسرين منهم: (الطبري والواحدي، والفخر الرازي، وابن كثير)^(٥).

(١) محمد بن المنكدر بن عبدالله بن الهدير بالتصغير التيمي المدني، ثقة فاضل من الثالثة مات سنة ١٣٠ هـ انظر التقريب (٥٠٨/١)، والثقات لابن حبان (٣٥٠/٥).

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥٧/٥).

(٣) انظر البحر المحيط (٧١/٦)، وانظر النهر الماد (٦٩/٦).

(٤) سورة الإسراء: آية ٧٦.

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٧٣/١٥)، الوسيط للواحدي (١٢٢/٣)، مفاتيح الغيب للرازي (٢٧/٢١)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦٢/٣).

القول الثاني:

أن مدخل الصدق هو دخوله المدينة لما رجع من معسكره في الشام ومخرج الصدق إلى مكة، وقد اختاره الفراء^(١).

القول الثالث:

أدخلني في الدين وأخرجني من الدنيا وأنا على الحق، واختاره الزجاج^(٢).

القول الرابع:

هو خروجه من مكة ودخوله مكة يوم الفتح آمناً، وهو قول: الضحاك^(٣).

القول الخامس:

أدخلني القبر، مدخل صدق وأخرجني منه عند البعث مخرج صدق، واختاره: (الزمخشري^(٤)، والنسفي^(٥)).

القول السادس:

إدخاله مكة ظاهراً عليه بالفتح، وإخراجه منها آمناً من المشركين.

القول السابع:

إدخاله الغار، وإخراجه منه سالماً.

القول الثامن:

إدخاله فيما حمله من أعباء النبوة وأراء الشرع، وإخراجه منه مؤدياً لما كلفه من غير تفريط.

(١) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٢٩).

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٥٧).

(٣) تفسير الضحاك (٢/ ٥٣٥)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٨٥).

(٤) سبق توثيقه انظر ص ٣٤٨.

(٥) انظر مدارك التنزيل للنسفي ص ٦٣٤.

القول التاسع:

الإدخال في الصلاة، والإخراج في الجنة.

القول العاشر:

الإدخال فيما أمر به، والإخراج عما نهاه عنه.

القول الحادي عشر:

أن معنى مدخل الصدق ومخرج الصدق عام يشمل جميع الموارد والمصادر الدنيوية الأخروية، أن ما ذكره المفسرون إنما هو من التمثيل لا التعين، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (ابن عطية، وابن القيم والآلوسي، والطاهر ابن عاشور، والقاسمي، والسعدي، والمراغي) ^(١).

♦ الترجيح:

الراجع - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ من أن المراد إدخاله **بِالصَّلَاةِ** في كل ما يدخل فيه ويلبسه من مكان أو أمر وإخراجه منه فيكون عاماً في جميع الموارد والمصادر وذلك لما يلي:

١ - لأنه الوجه الموافق لظاهر اللفظ والمطابق لمقتضى النظم فسابقه ولاحقه لا يختصان بمكان دون آخر ^(١)، يقول ابن القيم: «هناك خمسة أشياء: مدخل الصدق، ومخرج الصدق، ولسان الصدق، وقدم الصدق، ومقعد الصدق، وحقيقة الصدق في هذه الأشياء وهو الحق الثابت المتصل بالله، الموصل إلى الله، وهو ما كان به وله، من الأقوال والأعمال، وجزاء ذلك في الدنيا والآخرة، فمدخل الصدق، ومخرج الصدق: أن يكون دخوله

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٧٩)، بدائع التفسير لابن القيم (٣/ ٩٨)، انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٣٧)، انظر التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (٦/ ١٨٦)، انظر محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦١٦)، انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ٩٩)، انظر تفسير المراغي (٥/ ٣٤٧).

(٢) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٣٧).

وخروجه حقاً ثابتاً بالله، وفي مرضاته، بالظفر بالبقية وحصول المطلوب ضد مخرج الكذب ومدخله الذي لا غاية له يوصل إليها، فكل مدخل ومخرج كان بالله والله، فصاحبه ضامن على الله، فهو مدخل صدق ومخرج صدق، ولذلك فسر مدخل الصدق ومخرجه بخروجه ﷺ من مكة، ودخوله المدينة، ولا ريب أن هذا على سبيل التمثيل، فإن هذا المدخل والمخرج من أجل مداخله ومخارجه ﷺ وإلا فمدخله، ومخارجه كلها مداخل صدق، ومخارجه مخارج صدق، إذ هي لله وبالله وبأمره ولا ابتغاء مرضاته» (١).

٢- لأنه دعاء، والأوجه أن يكون عاماً في جميع ذلك، ولا يخص إلا بقرينة.

٣- لأن أدلة أصحاب الأقوال الأخرى ليست في قوة التخصيص، فتبقى على عمومها.



(١) انظر بدائع التفسير لابن القيم (٣/ ٩٨-٩٩) باختصار يسير.

[٣٧/٥٣] المسألة الثانية: المراد بالسلطان النصير.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالسلطان: الجحة البينة، ونصيراً مبالغة في الناصر؛ حيث قال ~ : «والسلطان هنا: قال الحسن: التسليط على الكافرين بالسيف، وعلى المنافقين بإقامة الحدود»^(١)، وقال قتادة: ملكاً عزيزاً تنصّرني به على كل من ناواني^(٢)، وقال مجاهد: حجة بينة^(٣) وقيل: كتاباً يحوي الحدود والأحكام، وقيل: فتح مكة، وقيل: في كل عصر سلطاناً ينصر دينك، ونصيراً مبالغة في ناصر، وقيل: فعيل بمعنى مفعول أي منصوراً، وهذه الأقوال كلها محتملة لقوله: ﴿سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا﴾^(٤)، واختار في النهر «أن معنى السلطان: أي: حجة بينة، ونصيراً مبالغة في الناصر»^(٥).

﴿الدراسة والموازنة﴾

اختلف المفسرون في المراد بالسلطان النصير في الآية على أقوال منها:

القول الأول:

أن المراد بالسلطان اجعل لي ملكاً عزيزاً تنصّرني على من ناوأني وعزاً أقيم به دينك وأدفع به عنه من أراد به سوء، وهو قول قتادة، وقد اختاره: (الطبري، وابن كثير، والشوكاني، والطاهر بن عاشور)^(٦).

(١) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٨٦)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٦٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٥٧)، زاد الميسر لابن الجوزي (٥/ ٥٧).

(٢) نَاوَأْتُ الرَّجُلَ: مُنَاوَأَةً وَنَوَاءً: فَاخَرْتُهُ وَعَادَيْتُهُ، انظر لسان العرب (٦/ ٤٥٦٨).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٧٣)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٦٧) زاد الميسر لابن الجوزي (٥/ ٥٧).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٧٣)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٨٦)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٦٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٥٧)، زاد الميسر لابن الجوزي (٥/ ٥٧).

(٥) انظر البحر المحيط (٦/ ٧٠).

(٦) انظر النهر الماد (٦/ ٦٩).

(٧) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٧٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٦٣)، فتح القدير للشوكاني

القول الثاني:

أي: اجعل نصرتي من عندك بتسليطي بالقدرة والحجة، وهو قول مجاهد، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ في النهر، وقد اختاره: (الزجاج، والواحدي، والفخر الرازي، النسفي، والقاسمي، والسعدي) ^(١).

القول الثالث:

أن المراد بالسلطان: التسليط على الكافرين بالسيف، وعلى المنافقين بإقامة الحدود، وهو قول الحسن.

القول الرابع:

أن المراد بالسلطان: كتاباً يحوي الحدود والأحكام.

القول الخامس:

أن المراد بالسلطان: فتح مكة.

القول السادس:

أن المراد بالسلطان: كل ما يفيد الغلبة على أعداء الله - تعالى -، وظهور دينه - جل شأنه -، وأن أقوال المفسرين محتملة لهذا العام، وهذا ما قاله أبو حيان ~ في البحر، واختار في النهر أنه: الحجة البينة، وقد اختاره: الألوسي ^(١).

= (٣/٣١٣)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/١٨٧).

(١) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/٢٥٧)، الوسيط للواحدي (٣/١٢٢)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/٢٨)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦٣٤)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/٦١٦)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/٩٩).

(٢) انظر روح المعاني للألوسي (٨/١٣٨).

﴿ الترجيح ﴾

الراجح - والله تعالى أعلم - أن المراد بالسلطان أي: ملكاً عزيزاً، أو سلطاناً نصيراً لكتاب الله ولحدود الله، ولفرائض الله، ولإقامة دين الله، فإن السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده، ولولا ذلك لأغار بعضهم على بعض فأكل شديدهم ضعيفهم، قال ابن كثير ~ : « واختار ابن جرير قول الحسن، وقتادة، وهو الأرجح، لأنه لا بد مع الحق من قهر لمن عاداه وناوأه ولهذا يقول - تعالى -: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ ^(١) الآية، وفي الحديث " إن الله لينع بالسلطان ما لم ينزع بالقرآن " ^(٢)، أي: ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام ما لا يمتنع كثير من الناس بالقرآن وما فيه من الوعيد الأكيد والتهديد الشديد وهذا هو الواقع » ^(٣) وقال الطاهر بن عاشور والنصير: « مبالغة في الناصر: أي سلطاناً ينصرني، وإذا قد كان العمل القائم به النبي هو الدعوة إلى الإسلام كان نصره تأييداً له فيما هو قائم به، فصار هذا الوصف تقييداً للسلطان بأنه لم يسأل سلطاناً للاستعلاء على الناس، وإنما سأل سلطاناً لنصره فيما يطلب النصرة وهو التبليغ وبث الإسلام في الناس » ^(٤).

(١) سورة الحديد: آية ٢٥.

(٢) تخريج الحديث: هذا الحديث لا يصح مرفوعاً، وإنما يصح موقوفاً عن عثمان رضي الله عنه، وهو في المدونة لابن القاسم عن مالك عن عثمان رضي الله عنه عن عمر رضي الله عنه في تاريخ الخطيب البغدادي مسنداً ولا يصح، انظر التمهيد لابن عبد البر (١/ ١١٨)، وانظر تاريخ بغداد (٤/ ١٠٧).

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٦٣).

(٤) انظر التحرير والتنوير (٦/ ١٨٧).

قال - تعالى - : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَنِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ جَانِبَهُ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ۖ ﴾ (١)، وفيها مسألة واحدة:

[٣٨/٥٤] المسألة الأولى: المراد بالإنسان.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالإنسان جنس الإنسان، وليس المراد به فرداً بعينه؛ حيث قال ~ : « والظاهر أن المراد بالإنسان هنا ليس واحداً بعينه بل المراد به الجنس، كقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ (٢) وقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۖ ﴾ (٣) الآية وهو راجع لمعنى الكافر » (٤).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بكلمة الإنسان الواردة في قوله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَنِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ جَانِبَهُ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴾ (٥) الآية، على أقوال:

القول الأول:

أن المراد به شخص بعينه وهو: الوليد بن المغيرة، وهذا قول ابن عباس (رضي الله عنه)، واستبعده الفخر الرازي (٦).

القول الثاني:

أن المراد به جنس الكافر لدلالة السياق بعده، فالكافر يعمل على شاكلته؛ أي أن

(١) سورة الإسراء: آية: ٨٣.

(٢) سورة العاديات: آية ٦.

(٣) سورة المعارج: آية ١٩.

(٤) البحر المحيط (٧٣/٦)، وانظر النهر الماد (٧٤/٦).

(٥) انظر الوسيط للواحدي (١٢٤/٣) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٩: ٢١)، زاد المسير لابن الجوزي

(٥٨/٥)، اللباب لابن عادل (٣٧٠/١٢)، روح المعاني للآلوسي (١٤٠/٨).

(٦) مفاتيح الغيب (٢٩/٢١).

الكفار بهذه الصفات والمؤمنين بخلافها وكل يعمل على ما يليق به، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (السمرقندي، وابن عطية، والقونوي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي)^(١).

القول الثالث:

أن المراد به نوع الإنسان من شأنه، أنه إذا فاز بمقصوده، ووصل إلى مطلوبه، اغتر وصار غافلاً عن عبودية الله - تعالى - متمرداً عن طاعة الله، كما ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴾^(٦) أن رآه أَسْتَعْتَبَ^(٧) ﴿ ﴾^(٨) وقد اختاره: (الرازي، وابن عادل، والشوكاني، والآلوسي)^(٩).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان وجمهور المفسرين من أن المراد بالإنسان في الآية هو الجنس وهو راجع لمعنى الكافر (جنس باعتبار بعض أفرادهم، وهم الكفار)، وليس المراد به فرداً بعينه لما يلي:

١. لدلالة السياق القرآني فقوله - تعالى -: ﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾^(١٠)، قال ابن عطية: « ثم قال ﷺ ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد: ﴿ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ أي: على طريقته، وبحسب نيته، ومذهبه الذي يشبهه، وهو شكله ومثل له، وهذه الآية تدل دلالة ما على أن (الإنسان) أولاً لم يرد به العموم، أي: أن الكفار بهذه الصفات والمؤمنون خلافها، وكل منهم يعمل على ما يليق به، والرب تعالى أعلم بالمهتدي »^(١١).

(١) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٣٢٦/٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤٨٠/٣)، حاشية القونوي (٥٧٦/١١)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٩١/٦) محاسن التأويل للقاسمي (٦١٩/٤).

(٢) سورة العلق: آية ٦.

(٣) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٩/٢١)، اللباب لابن عادل (٣٧٠/١٢)، فتح القدير (٣١٤/٣)، روح المعاني للآلوسي (١٤٠/٨).

(٤) سورة الإسراء: الآية ٨٤.

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٤٨١/٣).

قال القاسمي: (الآية وصف للجنس باعتبار بعض أفرادهم عمن هو على هذه الصفة)^(١).

٢. النظائر القرآنية لهذا المعنى قال - تعالى -: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠﴾^(٢) ..

وقوله - تعالى -: ﴿لَا يَسْعَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ۝٤٩ وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٠ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ۝٥١﴾^(٣).

إلى غير ذلك من الآيات.

(١) محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦٧٩).

(٢) سورة هود: آية ٩ - ١٠.

(٣) سورة فصلت: آية ٤٩ - ٥١.

قال - تعالى -: ﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴾ (٨٤) (١)،
وفيها مسألة واحدة:

[٣٩/٥٥] المسألة : معنى شاكِلَتِهِ .

رجح ابو حيان ~ معنى ﴿ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ أي : على مذهبه الذي يشاكل حاله في الهدى والضلالة؛ حيث قال ~ : « الشاكلة : الطريقة والمذهب الذي جبل عليه ، قال الفراء ، وهو مأخوذ من الشكل ، يقال : ليست على شكلي ولا شاكلي ، والشكل المثل والنظير والشكل بكسر الشين الهيئة ، يقال جارية حسنة الشكل » (١) ، وقال ~ : « والشاكلة قال ابن عباس : ناحيته (١) ، وقال مجاهد : طبيعته (١) ، وقال الضحاك : حدته (١) وقال قتادة والحسن : نيته (١) ، وقال ابن زيد : دينه (١) ، وقال مقاتل : خلقه (١) ، وهذه أقوال متقاربة » (١) .

(١) سورة الإسراء : آية ٨٤ .

(٢) البحر المحيط (٦/٦٧) .

(٣) جامع البيان للطبري (١٥/١٧٧) ، معالم التنزيل للبغوي (٣/١٥٨) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٨١) ، زاد المسير لابن الجوزي (٥/٥٩) ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/٢٠٨) ، الدر المنثور للسيوطي (٥/٢٨٩) .

(٤) جامع البيان للطبري (١٥/١٧٧) ، معاني القرآن للنحاس (٤/١٨٨) ، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٨١) ، الجامع للقرطبي (١٠/٢٠٨) .

(٥) انظر تفسير الضحاك (١/٥٣٦) ، معاني القرآن للنحاس (٤/١٨٨) .

(٦) جامع البيان للطبري (١٥/١٧٧) ، معاني القرآن للنحاس (٤/١٨٨) ، معالم التنزيل للبغوي (٣/١٥٨) ، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٨١) ، زاد المسير لابن الجوزي (٥/٥٩) ، الجامع للقرطبي (١٠/٢٠٨) ، الدر المنثور للسيوطي (٥/٢٨٩) .

(٧) جامع البيان للطبري (١٥/١٧٧) ، النكت والعيون للهاوردي (٣/٢٦٩) ، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٨١) ، زاد المسير لابن الجوزي (٥/٥٩) ، الجامع للقرطبي (١٠/٢٠٨) .

(٨) الصواب خليفته أنظر معالم التنزيل للبغوي (٣/١٥٨) ، الجامع للقرطبي (١٠/٢٠٨) .

(٩) البحر المحيط (٦/٧٣) .

وقال في النهر: « شاكلته أي: على مذهبه الذي يشاكل حاله في الهدى والضلالة، من قولهم: طريق ذو شواكل، وهي الطرق التي تشعبت منه »^(١).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرين في معنى كلمة شاكلته في قوله تعالى: ﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾^(١). على أقوال:

القول الأول:

أن معنى شاكلته: ناحيته، وهو قول ابن عباس^(١) واختاره: (الفراء وابن عطية)^(١).

القول الثاني:

أن معنى شاكلته: طبيعته، وهو قول مجاهد^(١).

القول الثالث:

أن معنى شاكلته: حدّته، وهو قول الضحاك^(١).

القول الرابع:

أن معنى شاكلته: نيته، وهو قول قتادة والحسن^(١).

القول الخامس:

أن معنى شاكلته: دينه، وهو قول ابن زيد^(١).

(١) انظر النهر الماد (٦/ ٧٤).

(٢) سورة الإسراء: آية ٨٤.

(٣) سبق توثيقه انظر ٣٥٩.

(٤) انظر معاني الفراء (٢/ ١٣٠)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٨١).

(٥) سبق توثيقه انظر ٣٥٩.

(٦) سبق توثيقه انظر ٣٥٩.

(٧) سبق توثيقه انظر ٣٥٩.

(٨) سبق توثيقه انظر ٣٥٩.

القول السادس:

أن معنى شاكلته: خلقه، وهو قول مقاتل^(١).

القول السابع:

أن معنى شاكلته: أي على طريقته ومذهبه، وطريق ذو شواكل إذا تشعبت منه الطرق وكل يعمل على ما يشبهه، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الزجاج، والنحاس، والواحدى، والبغوي، والزنجشري، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي، والسمين الحلبي، وابن القيم، وابن كثير، وابن عادل، وأبو السعود، والقونوي، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي)^(٢).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو قول أبي حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من المراد من (شاكلته) في قوله - تعالى -: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ أي: على مذهبه الذي يشاكل حاله في الهدى والضلالة، هو جميع الأقوال السابقة متقاربة وذلك لما يلي:

- لأن المشاكلة من باب المماثلة، ويدخل فيه معنى المذهب والطريقة والناحية والنية، قال ابن فارس: «الشين والكاف واللام معظم بابه المماثلة، نقول: هذا شكل هذا، أي: مثله، ومن ذلك يقال: أمر مشكل، كما يقال: أمر مشتبه، أي: هذا شابه هذا، وهذا دخل في

(١) سبق توثيقه انظر ٣٥٩.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج (٢٥٧/٣)، معاني القرآن للنحاس (١٨٨/٤)، الوسيط للواحدى (٣/١٢٤)، معالم التنزيل للبغوي (٣/١٥٨)، الكشاف للزنجشري (٣/٥٤٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/٥٩)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٣٠/٢١)، والجامع للقرطبي (٢٠٨/١٠)، مدارك التنزيل للنسفي ص ٦٣٤، الدر المصون للسمين الحلبي (٧/٤٠٥)، وبدائع التفسير لابن القيم (٣/١٠١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٦٤)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/٣٧٠)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/١٥٤)، حاشية القونوي (١١/٥٧٧)، وفتح القدير للشوكاني (٣/٣١٤)، روح المعاني للآلوسي (٨/١٤٣)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/١٩٤)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/٦١٩).

شكل هذا»^(١)، وقال الفيروز آبادي: «والشاكِلَةُ: الشَّكْلُ، والناحية والنية والطريقة والمذهب»^(٢).

قال السمين الحلبي: «وقوله - تعالى -: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ أي ناحيته، ووجهته، وطريقته، ومنه: طريق ذو شواكل: إذا كان تتشعب منه طرق كثيرة، وقيل على سجيته التي قيده، فهو من شكّلت الدابة، أي قيده بالشكال، ومنه استعير: شكّلت الكتاب أي قيده بالضبط، وذلك أن سلطان السجية قاهر للإنسان وهو في المعنى كقوله عَلَى الصَّلَاةِ السَّكَلِ: { كلٌ ميسر لما خلقه الله له من شقي أو سعيد }^(٣)...

وأصل المشكلة من الشكل، أي من تقييد الدابة - كما تقدم تحقيقه - وقال قتادة: «على شاكلته أي جانبه وعلى ما ينوي»^(٤)، وقال ابن عرفة^(٥): «على شاكلته: على خليقته ومذهبه ويقال: ليس هذا شكلي أي مذهبي، وكلها أقوال متقاربة»^(٦).

واختلاف أقوال السلف من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد.

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٢٠٤).

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص ٩١٧.

(٣) تخريج الحديث: صحيح البخاري كتاب التفسير، باب سور الليل (٤/ ١٨٩١)، في كتاب التوحيد باب قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ (٦/ ٢٧٤٤)، وصحيح مسلم كتاب القدر باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٤/ ٢٠٣٩).

(٤) سبق توثيقه انظر ص ٣٥٩.

(٥) ابن عرفة: الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي، مولاهم البغدادي المؤدب مسند وقته تفرد عنه جماعة من المشايخ وروى عنه الترمذي، وابن ماجه وروى عنه النسائي في غير السنن بواسطة توفي سنة ٢٥٧هـ انظر الوافي بالوفيات (١/ ١٦٦٠) تاريخ بغداد (٧/ ٣٩٤).

(٦) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٢/ ٢٨٦-٢٨٧) باختصار يسير.

قال - تعالى -: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٨٥) ^(١)، وفيها أربع مسائل:

[٤٠/٥٦] المسألة الأولى: المراد بالروح.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالروح هي جنس الروح التي تسري في جسد بني آدم؛ حيث قال ~ : « والروح على قول الجمهور هنا: الروح التي في الحيوان، وهو اسم جنس، وهو الظاهر، وقال قتادة: هو جبريل عليه السلام، قال: وكان ابن عباس يكتمه ^(٢)، وقيل: عيسى ابن مريم عليه السلام، وعن علي أنه: ملك، وذكر من صفاته ما الله أعلم به، ولا يصح عن علي ^(٣).

وقيل: الروح القرآن، ويدل عليه الآية قبله والآية بعده، قيل: خلق عظيم روحاني أعظم من الملك، وقيل: الروح جند من جنود الله لهم أيد وأرجل يأكلون الطعام، ذكره: العزيزي ^(٤).

وقال أبو صالح: خلق كخلق آدم، وليسو بني آدم لهم أيد وأرجل ولا ينزل ملك من السماء إلا ومعه واحد منهم ^(٥)، والصحيح من هذه الأقوال القول الأول ^(٦).

(١) سورة الإسراء: آية ٨٥.

(٢) انظر جامع البيان لابن جرير الطبري (١٨٠ / ١٥)، بحر العلوم للسمرقندي (٣٢٧ / ٢)، النكت والعيون للماوردي (٢٦٩ / ٣)، معالم التنزيل للبغوي (١٥٩ / ٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤٨١ / ٣).

(٣) رواه ابن جرير (١٨٠ / ١٥)، وزاد السيوطي في الدر (٢٩١ / ٥) نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأثير في كتاب الأضداد وأبي الشيخ في العظمة واسناده: ضعيف، وفي سنده مجهول، وقال ابن كثير: في تفسير القرآن العظيم (٦٥ / ٣): (وهذا أثر غريب عجيب)، وقال الألوسي في روح المعاني (١٤٥ / ٨): (ولا يصح عن علي كرم الله وجهه).

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١١ / ١٠).

(٥) انظر معاني القرآن للنحاس (١٩٠ / ٤).

(٦) البحر المحيط (٧٤ / ٦)، وانظر النهر الماد (٧٥ / ٦).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في الروح على أقوال منها:

القول الأول:

أن المراد بالروح: الروح التي تسري في الجسد، وهي من الأسرار الخفية التي لا يعلمها إلا رب البرية (واحتج أغلب المفسرين بما أخرج الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: أخبرنا ما الروح؟ وكيف تعذب الروح التي في الجسد؟ وإنما الروح من الله ﷻ فنزلت الآية..)^(١)، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الفراء، والطبري، والواحدي، والبغوي، والزخشي، وابن عطية، والفخر الرازي، والنسفي، وابن كثير، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي)^(٢).

القول الثاني:

أن المراد بالروح: ملك من الملائكة على خلقة هائلة وقد روي عن علي أنه ملك له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله - تعالى - بكلها، وقد روي عن علي عليه السلام ولا يصح عنه^(٣) ويضعفه أن هذا التفصيل لما عرفه علي فالنبي ﷺ أولى أن يكون قد عرفه فلم يخبرهم به.

(١) انظر فتح الباري (٨/ ٢٥٥-٢٥٦)، كتاب التفسير باب ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾، انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٧٩) ولكن هذا النقل عن ابن عباس مسلسل بالضعفاء كما حقق ذلك الشيخ أحمد شاكر رحمه الله، انظر جامع البيان (١/ ٢٦٣-٢٦٤).

(٢) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٣٠)، جامع البيان للطبري (١٥/ ١٧٩)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٢٥)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٠)، الكشف للزخشي (٣/ ٥٤٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٤٨١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٣١)، مدارك التنزيل للنسفي ص ٦٣٤، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٦٥)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣١٥)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٤٤)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ١٩٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦٢٠).

(٣) سبق توثيقه انظر ص ٣٦٣ هامش (٣).

القول الثالث:

أن المراد بالروح: خلق من خلق الله ﷻ صورهم على صور بني آدم وهو قول مجاهد^(١) قال الفخر الرازي: « ولم أجد في القرآن ولا في الأخبار الصحيحة شيئاً يمكن التمسك به في إثبات هذا القول، وأيضا فهذا شيء مجهول فيبعد صرف هذا السؤال إليه »^(٢).

القول الرابع:

أن المراد بالروح أنه جبريل ﷺ، قاله: ابن عباس^(٣).

القول الخامس:

أن المراد بالروح: القرآن، قاله: الحسن^(٤)، وذلك لأن الله سماه روحا كما قال - تعالى -: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾^(٥) فيكون معناه أن القرآن من أمر الله - تعالى - ووحيه الذي أنزل عليّ وليس هو مني، وكذلك للسياق القرآني فما قبل وما بعد في وصف القرآن فوجب أن يكون المراد بالروح القرآن حتى تكون آيات القرآن كلها متناسبة ومتناسقة^(٦) واختاره (القاسمي)^(٧).

القول السادس:

أن المراد بالروح: عيسى ابن مريم، هو من أمر الله - تعالى - وليس كما ادعته النصارى ابن الله.

(١) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٢٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٠).

(٢) مفاتيح الغيب (٣٣/ ٢١).

(٣) سبق توثيقه انظر ص ٣٦٣.

(٤) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٧٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٦٠).

(٥) سورة الشورى: آية ٥٢.

(٦) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٣٢/ ٢١).

(٧) محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦٢٨).

القول السابع:

أنه المراد بالروح المسئول عنها في الآية ما وقع في قوله - تعالى - ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾^(١).

وقد اختار هذا القول ابن القيم ~ وانتصر له انتصاراً شديداً؛ حيث قال: «وأكثر أهل السلف بل كلهم على أن الروح المسئول عنها الآية ليست أرواح بني آدم بل هو الروح الذي أخبر الله عنه في كتابه يوم القيامة مع الملائكة وهو ملك عظيم... قال: «وأما أرواح بني آدم فلم يقع تسميتها في القرآن إلا نفساً»^(٢).

القول الثامن:

انها من جنس ما استأثر الله - تعالى - بعلمه من الأسرار الخفية التي لا يكاد يحوم حولها قول البشر وقد اختاره: (القرطبي، وأبو السعود، والسعدي)^(٣).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - أن المراد بالروح هو القرآن و ذلك لما يلي :

١. لدلالة السياق القرآني فقبل هذه الآية قوله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^(٤) ، وبعدها قوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾^(٥) وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنها .

٢. موافقته للنظائر القرآنية ، من ذلك قوله تعالى ﴿فَنَعْلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا

(١) سورة النبأ: آية ٣٨.

(٢) انظر بدائع التفسير لابن القيم (٣/ ١٠٣)، انظر الروح لابن القيم ص ١٥٠ - ص ١٥٤ باختصار.

(٣) انظر الجامع لإحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٠)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٥٤)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٢/ ٣٢٧).

(٤) سورة الإسراء: آية ٨٢

(٥) سورة الإسراء: آية ٨٦

تَعَجَّلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ. وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ (١) ،
 وقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا
 الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ
 مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٥٢﴾ (٢) ، والقول الذي تشهد له النظائر القرآنية مقدم على غيره .

(١) سورة طه : آية ١١٤

(٢) سورة الشورى : آية ٥٢

[٥٧/٤١] المسألة الثانية: عن أي شيء كان السؤال؟

رجح أبو حيان ~ أن السؤال كان عن ماهية الروح وحقيقتها؛ حيث قال ~ :
 « والظاهر: أنهم سألوا عن ماهيتها وحقيقتها، وقيل: عن كيفية مداخلتها الجسد الحيواني وانبعاثها فيه وصورة ملابستها له، وكلاهما مشكل لا يعلمه إلا الله، وقد رأيت كتاباً يترجم بكتاب [النفخة والتسوية] لبعض الفقهاء المتصوفة يذكر فيها أن الجواب في قوله - تعالى -: ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ إنما هو للعوام، وأما الخواص فهم عنده يعرفون الروح، وأجمع علماء الإسلام على أن الروح مخلوقة، وذهب كفر الفلاسفة وكثير ممن ينتمي إلى الإسلام إلى أنها قديمة، واختلاف الناس في الروح بلغ إلى سبعين قولاً^(١).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في السؤال الوارد عن أي شيء كان السؤال؟، على عدة أقوال منها:

القول الأول:

أن السؤال عن حقيقة الروح وماهيتها، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ واختاره: (الزمخشري، وابن عطية، والقرطبي، وأبو السعود والشوكاني، والسعدي)^(١).

القول الثاني:

أن السؤال عن كيفية مداخلتها الجسد الحيواني وانبعاثها فيه وصورة ملابستها له، واختاره: (الفخر الرازي، وابن عادل، والآلوسي، والقاسمي، والمراغي)^(١).

(١) البحر المحيط (٦/ ٧٤)، وانظر النهر الماد (٦/ ٧٥).

(٢) الكشف للزمخشري (٣/ ٥٤٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٨١)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٢١١)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٥٤)، فتح القدير (٣/ ٣١٥)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥/ ٣٥٠).

(٣) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٣١)، الباب لابن عادل (١٢/ ٣٧٧)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٤٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ١٩٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦٢٤)، تفسير المراغي (٥/ ٣٥٠).

♦ الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ وذلك: لأن معرفة حقيقة الشيء أهم وأقدم من معرفة حال من أحواله^(١).

قال القرطبي: « وذهب أكثر أهل التأويل إلى أنهم سألوه عن الروح الذي يكون به حياة الجسد، وقال أهل النظر منهم: إنما سألوه كيفية الروح ومسلكه في بدن الإنسان، وكيف امتزاجه بالجسم واتصال الحياة به؟، وهذا شيء لا يعلمه إلا الله ﷻ »^(٢).



(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣١٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٠).

[٤٢/٥٨] المسألة الثالثة: معنى قوله - تعالى - : ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(١).

رجح أبو حيان ~ أن معنى ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي: من فعل ربي؛ حيث قال ~ :
 « ومعنى من أمر بي أي: فعل ربي كونها بأمره، وفي ذلك دلالة على حدوثها والأمر بمعنى
 الفعل وارد، قال - تعالى - : ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾^(٢) أي: فعله، ويحتمل أن يكون
 أمراً واحداً من الأمور، وهو اسم جنس لها: أي: من جملة أمور الله - تعالى - التي استأثر
 بعلمها، وقيل: من وحي ربي وكلامه ليس من كلام البشر ويتخرج على قول من قال: إن
 الروح هنا القرآن، وقيل: من علم ربي »^(٣).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في معنى قوله - تعالى - : ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ على أقوال:

القول الأول:

أي: من فعل ربي؛ حيث أن الأمر يكون مصدر من أمر يأمر أي: الروح ما أمره أمراً
 بالكون فكان، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقال: إن الأمر بمضي الفعل وارد؛ كقوله -
 تعالى - : ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ أي: فعله، واختاره: (الفخر الرازي، وابن عادل
 الحنبلي)^(٤).

القول الثاني:

أي: من وحي ربي، وكلامه ليس من كلام البشر؛ ويتخرج على هذا أن الروح هنا:
 القرآن واختاره: (يحيى بن سلام)^(٥).

(١) سورة الإسراء: آية ٨٥.

(٢) سورة هود: آية ٩٧.

(٣) البحر المحيط (٧٤ / ٦)، وانظر النهر الماد (٧٥ / ٦).

(٤) انظر مفاتيح الغيب للرازي (٣٢ / ٢١)، الباب لابن عادل (٣٧٥ / ١٢).

(٥) انظر تفسير يحيى بن سلام (١٦٠ / ١).

القول الثالث:

أي: من علم ربي، والأمر اسم جنس للأمور، أي للروح من جملة أمور الله التي استأثر بعلمها فهي إضافة خلق إلى خالق، واختاره: (الفراء، والطبري، والواحدي، والبغوي والزخشري، وابن الجوزي، والنسفي، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني) ^(١).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - أن معنى قوله -تعالى-: ﴿مَنْ أَمَرَ رَبِّي﴾ أي: من علم ربي، وذلك لأن:

١. الأمر اسم جنس للأمور، أي للروح من جملة أمور الله واستأثر بعلمها.
٢. لقوله -تعالى-: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، أي وما أطلعكم من علمه إلا على القليل فإنه لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء -تبارك وتعالى- والمعنى أن علمكم في علم الله قليل وهذا الذي سألوا عنه من أمر الروح مما استأثر الله -تعالى- به ولم يطلعكم عليه كما أنه لم يطلعكم إلا على القليل من علمه تعالى ^(٢).

(١) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٣٠)، جامع البيان للطبري (١٥/ ١٨٠)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٢٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٠)، الكشف للزخشري (٣/ ٥٤٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٦٠)، مدارك التنزيل ص ٦٣٤، تفسير القرآن العظيم (٣/ ٦٥)، إرشاد العقل السليم لابي السعود (٤/ ٥٤)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣١٥).

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٦٥).

[٤٣/٥٩] المسألة الرابعة: لمن الخطاب في قوله -تعالى-: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١).

رجح أبو حيان ~ أن الخطاب في قوله -تعالى-: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ﴾ موجه إلى اليهود حيث أنهم هم السائلون عن الروح؛ حيث قال ~: «والظاهر أن الخطاب في ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ﴾ هم: الذين سألوا عن الروح، وهم طائفة من اليهود، وقيل: اليهود بجملتهم، وقيل: الناس كلهم، قال: ابن عطية: وهذا هو الصحيح لأن قوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ﴾ إنما هو أمر بالقول لجميع العالم إذ جميع علومهم محصورة وعلمه تعالى لا يتناهى^(٢)»^(٣).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون فيمن خوطب بقوله -تعالى-: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ على أقوال:

القول الأول:

أنه موجه إلى اليهود، حيث هم السائلون، وكانوا يقولون أوتينا التوراة وفيها الكثير، قاله: قتادة^(٤) وعلى هذا قراءة ابن مسعود والأعمش^(٥) (وَمَا أُوتُوا)^(٦) واستدل أصحاب هذا القول بأن اليهود حين نزلت هذه الآية ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قالوا: «يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أفعنيتنا أم قومك؟ قال: كلا قد عَنَيْتُ قالوا: فإنك تتلو أنا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء، فقال الرسول ﷺ: { هي في علم الله قليل، وقد أتاكم ما إن عملتم به انتفعتم } فأنزل الله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ

(١) سورة الإسراء: آية ٨٥.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٤٨٢/٣).

(٣) البحر المحيط (٧٤/٦)، وانظر النهر الماد (٧٥/٦).

(٤) انظر النكت والعيون للهاوردي (٢٧١/٣)، الدر المنثور للسيوطي (٢٩٢/٥).

(٥) انظر الدر المصون للسمين الحلبي (٤٠٦/٧)، روح المعاني للآلوسي (١٤٦/٨)، فتح الباري لابن حجر (٢٥٦/٨).

مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمُ ﴿١﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٢﴾.

هذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختاره من المفسرين: (الواحدي، وابن الجوزي) (١).

القول الثاني:

أن الخطاب موجه إلى جميع العالم؛ لأن قوله - تعالى -: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ خطاب عام وهو أمر بالقول لجميع العالم، إذا جميع علومهم محصورة، وعلمه تعالى لا يتناهى، وعليه قراءة الجمهور، وقد اختاره: (الطبري، الماوردي، الزمخشري، وابن عطية، والقرطبي النسفي) (١).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - أن الخطاب موجه إلى الجميع وذلك لما يلي:

١. لأن قوله - تعالى -: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (١) خطاب عام وهو أمر بالقول لجميع العالم إذ جميع علومهم محصورة وعلمه - تعالى - لا يتناهى (٢).
٢. لأن هذا المعنى يتوافق مع قراءة الجمهور ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ﴾ ومعنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة (٣).

(١) أخرجه النسائي في كتاب التفسير، باب سورة الكهف (٦/٣٩٢)، جامع البيان للطبري (١٥/١٨١)،

قال الآلوسي: قال العراقي إنه غير صحيح، انظر روح المعاني (٨/١٤٦).

(٢) انظر الوسيط للواحدي (٣/١٢٦)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/٦٠).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/١٨١)، النكت والعيون للماوردي (٣/٢٧١)، الكشف للزمخشري

(٣/٤٥٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٨٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/٢١٠) مدارك

التنزيل للنسفي ص ٦٣٤.

(٤) سورة الإسراء: آية ٨٥.

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٨٢).

(٦) قواعد الترجيح لحسين الحربي (١/١٠٤).

٣. قال الطبري: « وأولى الأقوال بالصواب أن يقال: خرج الكلام خطاباً لمن خوطب به والمراد به جميع الخلق، لأن علم كل أحد سوى الله، - وإن كان كثيراً - في علم الله قليل، وإنما معنى الكلام، وما أوتيتم - أيها الناس - من العلم إلا قليلاً من كثير مما يعلمه الله^(١) .

فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.



(١) جامع البيان للطبري (١٥/١٨١).

قال - تعالى - : ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ ^(١) ، وفيها مسألة واحده :

[٤٤/٦٠] **المسألة الأولى: معنى قوله - تعالى - : ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ .**

رجح أبو حيان ~ : أن معنى قوله - تعالى - : ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ إنا كما نحن قادرون على إنزاله وقادرون على إذهابه؛ حيث قال ~ : « ولما ذكر تعالى ما أنعم به من تنزيل القرآن على رسوله ﷺ شفاء ورحمة وقدرته على ذلك، ذكر قدرته على أنه لو شاء لذهب بما أوحى، ولكنه - تعالى - لم يشأ ذلك، والمعنى: نحن قادرون على إنزاله، نحن قادرون على إذهابه، وقال أبو سهل: هذا تهديد لغير الرسول ﷺ بإذهاب ما أوتوا ليصدهم عن السؤال ما لم يؤتوا علم الروح وعلم الساعة، وروي: « لا تقوم الساعة حتى يرتفع القرآن » ^(٢) الحديث، وفي حديث عن ابن مسعود: « يسري به في ليلة فيذهب بما في المصاحف وبما في القلوب » ^(٣) ثم قرأ عبدالله: ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ ، وقال صاحب التحرير:

(١) سورة الإسراء: آية ٨٦.

(٢) تخريج الحديث: أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٢٢٥ / ٥) عن عبدالله بن عمرو بن عاص رضي الله عنه قال: « لا تقوم الساعة حتى يرتفع القرآن من حيث نزل له دوي حول العرش كدوي النحل يقول: أتلي ولا يعمل بي)، كتاب السنن الواردة لأبي عمرو الداني باب ما جاء في رفع القرآن.

(٣) تخريج الحديث: أخرجه الطبري في جامع البيان (١٨١ / ١٥)، وعبدالرزاق في المصنف (٣٦٣ / ٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٤٥ / ٦) في كتاب فضائل القرآن، وفي (٥٠٥ / ٧) كتاب الفتن، والطبراني في المعجم الكبير (١٥٣ / ٩)، والواحدي في الوسيط (١٢٦ / ٣)، والحاكم في المستدرک (٥٠٤ / ٤) في كتاب الفتن، كلهم من طريق عبدالعزيز بن رفيع عن شداد بن معقل قال سمعت ابن مسعود يقول: « إن أول ما تفقدون... » وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٣٢ / ٧): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير شداد بن معقل وهو ثقة، قال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف (٥٥٠ / ٣)، أخرجه عبدالرزاق من طريق الطبراني، وأخرجه ابن أبي شيبة وابن مردويه كلهم من طريق شداد بن معقل، عن عبدالله بن مسعود وزاد في آخره: ثم قرأ عبدالله: ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ .

« ويحتمل عندي في تأويل الآية وجه غير ما ذكر وهو أنه ﷺ لما أبطأ عليه الوحي [حين] ^(١) سئل عن الروح شق ذلك عليه وبلغ منه الغاية، فأنزل الله - تعالى - تهذيباً له هذه الآية ويكون التقدير أيعز عليك تأخر الوحي، فإننا لو شئنا ذهبنا بها أوحينا إليك جميعه، فسكت النبي ﷺ وطاب قلبه ولزم الأدب انتهى » ^(٢).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في معنى قوله - تعالى -: ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ ^(١) الآية على أقوال منها:

القول الأول:

أي إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثر وهذا امتنان من الله ببقاء القرآن محفوظاً، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ واختاره من المفسرين: (الطبري، الزجاج، والنحاس، والسمرقندي والواحدي، والبغوي، والزنجشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، وابن عادل، والشوكاني والآلوسي، والطاهر بن عاشور) ^(٢).

(١) وفي المطبوع (لما).

(٢) البحر المحيط (٧٤ / ٦)، وانظر النهر الماد (٧٥ / ٦)، وقد نقل أبو حيان رحمه الله تعالى هذه العبارة عن صاحب التحرير ولم يعقب وهذه العبارة لا تصح ولا تليق بمقام النبي ﷺ.

(٣) سورة الإسراء: آية ٨٦.

(٤) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: جامع البيان للطبري (١٨٢ / ١٥)، معاني القرآن للزجاج (٢٥٨ / ٣)، معاني القرآن للنحاس (١٩٢ / ٤)، بحر العلوم للسمرقندي (٣٢٧ / ٢)، الوسيط للواحدي (١٢٦ / ٣)، معالم التنزيل للبغوي (١٦٠ / ٣)، الكشف للزنجشري (٥٤٩ / ٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤٨٢ / ٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٦١ / ٥)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٤٥ / ٢١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١١ / ١٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦٦ / ٣)، اللباب غي علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (٣٨٠ / ١٢)، فتح القدير للشوكاني (٣١٨ / ٣) روح المعاني للآلوسي (١٥٦ / ٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٠١ / ٦).

القول الثاني:

لأذهبنا بقبضك إلينا حتى لا ينزل عليك، قاله الماوردي^(١).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما اختاره أبو حيان ~ وجمهور المفسرين من أن معنى قوله - تعالى -: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ هو إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف وذلك لما يلي:

١. إن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود وقد فسر شيخ الإسلام ابن تيمية ~ قول السلف واليه يعود برفع القرآن قبل يوم القيامة وقد وردت أحاديث^(٢) كثيرة مرفوعة وموقوفة في رفع القرآن من الصدور قبل قيام الساعة.

منها حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً: (يدرس الإسلام كما يدرس (وشي الثوب)^(٣) حتى لا يدري ما صيام، ولا صلاة، ولا نكح، ولا صدقة، وليُسري على كتاب الله تعالى في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، ويبقى الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا أباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله، فنحن نقولها)^(٤).

٢. هو اختيار جمهور المفسرين^(٥).

٣. قال أبو السعود: « والمراد من الذهاب به: المحو من المصحف والصدور، وهو ابلغ من الإذهاب »^(٦).

(١) النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٧١).

(٢) انظر الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٩٢-٢٩٤).

(٣) وشي الثوب: نقشه، و الشية هي العلامة. انظر شرح سنن ابن ماجه (٢/ ١٣٤٤).

(٤) تخريج الحديث: اخرج ابن ماجه في كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم (٢/ ١٣٤٤)، وصححه

البوصيري والحاكم (٤/ ٤٧٣-٤٥٤) على شرط مسلم، كما صححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم

(١/ ١٧١) رقم (٨٧)، وفي حكم تارك الصلاة ص (٥٢).

(٥) انظر ص ٣٧٦.

(٦) انظر إرشاد العقل السليم (٤/ ١٥٥).

قال - تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ (٨٩) ^(١)، وفيها مسألتان:

[٤٥/٦١] المسألة الأولى: معنى ﴿ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالمثل هو القول الغريب السائر في الآفاق حيث قال ~ : « والظاهر أن المراد بالمثل هو القول الغريب السائر في الآفاق، والقرآن ملآن من الأمثال التي ضربها الله - تعالى -، وقال الزمخشري: ﴿ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه ^(٢)، وقال أبو عبد الله الرازي: [﴿ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ إشارة إلى التحدي به بالجهات المختلفة كالتحدي بكل القرآن كالذي هنا وبسورة مثله وبكلام من سورة كقوله ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ﴾ ومع ظهور عجزهم أبو إلا كفوراً]. انتهى ملخصاً ^(٣).

وقيل: ﴿ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ من الترغيب والترهيب وأنباء الأولين والآخرين وذكر الجنة والنار ^(٤).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بالمثل في قوله: ﴿ وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ على أقوال منها:

القول الأول:

أي: بينا للناس منه من كل لون: من الحلال والحرام، والأحكام والحدود والوعد والوعيد، الترغيب والترهيب، وأقاصيص الأولين، واختاره: (السمرقندي، والبغوي،

(١) سورة الإسراء: آية ٨٩.

(٢) الكشف (٣/ ٥٥١).

(٣) مفاتيح الغيب (٢١/ ٤٦).

(٤) البحر المحيط (٦/ ٧٧)، وانظر النهر الماد (٦/ ٧٧).

والقرطبي، وابن عادل، والشوكاني (١).

القول الثاني:

أي: كل معنى، هو كالمثل في غرابته وحسنه، وهذا مارجحه أبو حيان ~ ، فقد راعى معنى المثل في الغربة والعجاجة، واختاره: (الزمخشري، والنسفي، وأبو السعود والآلوسي، والقاسمي) (٢).

القول الثالث:

أي بينا لهم الحجج والبراهين القاطعة ووضحنا لهم الحق وشرحناه وبسطناه، واختاره: (ابن كثير) (٣).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن معنى ﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه، وذلك لأن معنى المثل يستعمل في الشيء الغريب العجيب من الصفة والحال والقصة وقد شاع استعماله بهذا المعنى في أمثال القرآن والسنة (٤)، وفي اللغة: أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا أي نظيره، والمثل والمثال في معنى واحد (٥)، ويطلعه المثل في لغة العرب على النظر والانتصاب واللطوء بالأرض، والزوال عن الموضع والتسوية والتصوير (٦)، ويستعمل في المثل السائر والشيء العجيب من الصفة والحال، قال الخطيب القزويني:

- (١) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٣٢٨/٢)، معالم التنزيل للبغوي (١٦١/٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١٢/١٠) الباب في علوم الكتاب (٣٨٤/١٢)، فتح القدير للشوكاني (٣١٩/٣).
- (٢) انظر الكشف للزمخشري (٥٥١/٣)، مدارك التنزيل للنسفي ص ٦٣٥، ارشاد العقل السليم لأبي السعود (١٥٧/٤)، روح المعاني للآلوسي (١٥٩/٨)، محاسن التأويل للقاسمي (٦٢٩/٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦٦/٣).

(٤) الامثال في القرآن لمنصور العبدلي ص (٢٦).

(٥) مقاييس اللغة (٢٩٦/٥).

(٦) مفردات الفاظ القرآن للراغب ص (٧٥٩).

«وأعلم أن المثل السائر لما فيه غرابة، استعير لفظه المثل للحال أو الصفة أو القصة، إذا كان لها شأن وفيها غرابة، وهو في القرآن كثير»^(١).

قال الشهاب الخفاجي: «قال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ أصل التصريف التحويل والتغيير فالمراد به هنا تغيير الأساليب والعبارات في بعض المعاني ليزداد تقريره ورسوخه في النفوس وما ذاك إلا ليزدادوا تدبراً وإذعاناً فكان حالهم على العكس.. (من كل مثل) أي: من كل معنى هو كالمثل في غرابته وقوعه موقعها في الأنفس^(٢)، أي: ليس المراد بالمثل هنا معناه المتعارف بل ما هو مشابه له في الغرابة فمثل: «استعارة مصرحة»^(٣).

(وقد استعملت في القرآن الكريم الحجج والبراهين القاطعة في قوتها وحسنها وغرابتها من الأمثال والمعاني الغريبة العجيبة فيتنفق قول ابن كثير مع قول أبي حيان والجمهور)^(٤).

(١) الايضاح في علوم البلاغة ص ٢٨٨.

(٢) انظر حاشية الشهاب (١٠٤/٦).

(٣) انظر حاشية القونوي (٥٨٥/١١).

(٤) إضافة من د/ عبدالعزيز عزت.

[٤٦/٦٢] المسألة الثانية: المراد بقوله - تعالى - : ﴿أَكْثَرُ النَّاسِ﴾^(١).

رجح أبو حيان ~ أن المراد ﴿أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ هم أهل مكة لدلالة السياق، حيث قال ~ : «﴿أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ قيل: من كان في عهد الرسول ﷺ من المشركين وأهل الكتاب، وقيل: أهل مكة وهو الظاهر، بدليل ما أتى بعده من قوله - تعالى - : ﴿وَقَالُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ﴾^(٢)»^(٣).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بأكثر الناس في قوله - تعالى - : ﴿فَبِئْسَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا﴾^(٤) على أقوال منها:

القول الأول:

أن المراد بأكثر الناس هم أكثر أهل مكة، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الواحدي، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والقرطبي، وابن عادل، والشوكاني، والآلوسي)^(٥).

القول الثاني:

أن المراد بأكثر الناس هم: المشركون، وأهل الكتاب، وجميع من كان مشركاً.

(١) سورة الإسراء: آية ٨٩.

(٢) سورة الإسراء: آية ٩٠.

(٣) البحر المحيط (٧٧/٦)، وانظر النهر الماد (٧٧/٦).

(٤) سورة الإسراء: آية ٨٩.

(٥) انظر الوسيط للواحدي (١٢٧/٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٦٢/٥)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي

(٤٧/٢١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١٢/١٠)، اللباب لابن عادل الحنبلي (٣٨٤/١٢)، فتح

القدير للشوكاني (٣١٩/٣)، روح المعاني للآلوسي (١٥٩/٨).

﴿الترجيح:﴾

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ من أن المراد بأكثر الناس في قوله - تعالى -: ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ هم أهل مكة وذلك لما يلي:

لدلالة السياق القرآني على هذا القول، حيث الضمائر في الآيات التالية لأهل مكة قال - تعالى -: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تُفْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ (١٠) **أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا** (١١) **أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا** (١٢) **أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْفَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفِيِّكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيْ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا** (١٣) (١).

قال الألوسي: وستظهر أبو حيان أنهم أهل مكة بدليل الضمائر الآتية لهم (١)، والقول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه (٢).

(١) سورة الإسراء: آية ٩٠-٩٣.

(٢) روح المعاني (١٥٩/٨).

(٣) قواعد الترجيح (٢٩٩/١).

قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ۚ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكَآ ۖ وَصُمَّا ۖ مَا وَلَّهُمْ جَهَنَّمَ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ۖ﴾^(١)، وفيها ثلاث مسائل:

[٤٧/٦٣] المسألة الأولى: معنى قوله - تعالى -: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى قوله - تعالى -: ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ هو حقيقة وليس من باب المجاز كما فسره بعض المفسرين؛ حيث قال ~ : «والظاهر أن قوله: ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ حقيقة كما قال - تعالى -: ﴿يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾^(٢)، وقوله - تعالى -: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾^(٣)، وفي هذا حديث قيل: يا رسول الله، كيف يمشي الكافر على وجهه؟، قال: أليس الذي أمشاه في الدنيا على رجلين قادراً على أن يمشيه في الآخرة على وجهه، قال قتادة: بلى وعزة ربنا^(٤).

وقيل: ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ مجاز يقال للمنصرف عن أمر خائباً مهموماً انصرف على وجهه ويقال للبصير كأنما يمشي على وجهه، وقيل هو مجاز عن سحبهم على وجوههم على سرعة من قول العرب قدم القول على وجوههم إذا أسرعوا^(٥).

(١) سورة الإسراء: آية ٩٧.

(٢) سورة القمر: آية ٤٨.

(٣) سورة الفرقان: آية ٣٤.

(٤) تخريج الحديث: أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب تفسير سورة الفرقان (١٣٧/٦)، ومسلم في صفة القيامة (٨/١٣٥)، وأحمد في المسند (١٦٧/٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) البحر المحيط (٦/٨٠)، وانظر النهر الماد (٦/٨٠).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في كيفية الحشر في قوله - تعالى -: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن الحشر على وجوههم حقيقة بأن يمشيهم الله على وجوههم، وهذا هو الظاهر من نصوص الكتاب والسنة، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختاره: (النحاس، والسمرقندي، والواحدي، والزمخشري، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي) ^(١).

القول الثاني:

أن المعنى: ونحشرهم مسحوبين على وجوههم، قاله: ابن عباس { ^(٢) }، ورجحه القاسمي ^(٣)، وقال: «أي ناكسي الرؤوس لانجذابهم إلى الجهة السفلية، إذ الوجه يعبر به عن الذات الموجودة مع جميع عوارضها ولوازمها» و القول الثاني قد يدخل في القول الأول.

القول الثالث:

أن المعنى: نحشرهم مسرعين مبادرين، فعبر بقوله: ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ عن الإسراع؛ كما تقول العرب: قد مر القوم على وجوههم: إذا أسرعوا، قاله: ابن الأنباري ^(٤).

(١) انظر ذلك على الترتيب التالي: معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٩٧)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣٠)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٢٩)، الكشف للزمخشري (٣/ ٥٥٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٦)، مدارك التنزيل للنسفي ص (٦٣٦)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٦٩)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٦٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٣)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٦٦).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٦٦).

(٣) انظر محاسن التأويل (٤/ ٦٣٢).

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٦٦).

﴿ الترجيح ﴾

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من أن معنى قوله - تعالى -: ﴿ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ على الحقيقة وليس من باب المجاز وذلك لما يلي:

١. لقوله - تعالى -: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾^(١)، والقرآن يفسر بعضه بعض فهذه الآية تحكي حالهم بعد دخولهم النار والآية التي نحن بصددتها تحكي حالهم في الحشر.

٢. لحديث الشيخين، عن أنس بن مالك: أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: « أليس الذي أمشاه على رجله في الدنيا، قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة »^(٢)، فإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه^(٣)، وقال الألوسي: « وزعم بعضهم أن الكلام على المجاز، وذلك كما يقال للمنصرف خائباً عن أمر مهموماً: انصرف على وجهه، فإياك أن تلتفت إلى تأويل نطقت السنة بخلافه »^(٤).

قال الطاهر بن عاشور: « ولما كان ذلك يستدعي مشيهم عَدِّي الحشر بحرف (على) لتضمينه معنى يمشون، والمقصود من ذلك الجمع بين التشويه والتعذيب لأن الوجه أرق تحملاً لصلاية الأرض من الرجل وهو جزاء مناسب للجرم، لأنهم روجوا الضلالة في صورة الحق، ووسموا الحق بسمات الضلال، فكان جزاؤهم أن حولت وجوههم أعضاء مشي عوضاً عن الأرجل »^(٥).

(١) سورة القمر: آية ٤٨.

(٢) سبق تخريجه انظر ص ٣٨٣.

(٣) قواعد الترجيح لحسين الحربي (١/ ١٩١-٢٠٦).

(٤) انظر روح المعاني للألوسي (٨/ ١٦٦).

(٥) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢١٧).

[٤٨/٦٤] المسألة الثانية: معنى قوله - تعالى - : ﴿عُمِيََا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى قوله - تعالى - : ﴿عُمِيََا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ في قوله - تعالى - : ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيََا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَا وَلَّهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾^(١)، هو حقيقة، وذلك عند قيامهم من قبورهم، وليست من باب الاستعارة والتشبيه؛ حيث قال ~ : «والظاهر أن قوله ﴿عُمِيََا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ هو حقيقة؛ وذلك عند قيامهم من قبورهم، ثم يرد الله إليهم أبصارهم وسمعهم ونطقهم فيرون النار، ويسمعون زفيرها وينطقون بما حكى الله عنهم، وقيل: هي استعارات إما لأنهم من الخيرة والذهول يشبهون أصحاب هذه الصفات، وإما من حيث لا يرون ما يسرهم ولا يسمعون ولا ينطقون بحجة وقال الزمخشري: كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون من سماعه فهم في الآخرة كذلك، لا يبصرون ما يقر أعينهم، ولا يسمعون ما يلد أسماعهم، ولا ينطقون بما يقبل منهم ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾^(٢) انتهى^(٣). وهذا قول: ابن عباس، والحسن قالوا: المعنى عمياً عما يسرهم، بكماً عن التكلم بحجة، صماً عما ينفعهم، وقيل: عمياً عن النظر إلى ما جعل الله لأوليائه بكماً عن مخاطبة الله صماً عما مدح الله به أوليائه^(٤)، وانتصب ﴿عُمِيََا﴾ وما بعده على الحال، والعامل فيها (نحشروهم)، وقيل: يحصل لهم ذلك حقيقة عند قوله: ﴿قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾^(٥) فعلى هذا تكون حالاً مقدراً، لأن ذلك لم يكن مقارناً لهم وقت الحشر^(٦).

(١) سورة الإسراء: آية ٩٧.

(٢) سورة الإسراء: آية ٧٢.

(٣) انظر الكشاف الزمخشري (٣/ ٥٥٤).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٩٣)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣٠)، الوسيط للواحدي

(٣/ ١٢٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٤)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٠٠).

(٥) سورة المؤمنون: آية ١٠٨.

(٦) البحر المحيط (٦/ ٨٠).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في قوله -تعالى-: ﴿عُمِيََا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ على أقوال منها:

القول الأول:

أنهم عمياً لا يرون شيئاً يسرهم، وبكماً لا ينطقون بحجة، وصماً لا يسمعون شيئاً يسرهم، قاله ابن عباس، وقال في رواية: عمياً عن النظر إلى ما جعل لأوليائه، وبكماً عن مخاطبة الله، وصماً عما مدح به أوليائه، وهو قول ابن عباس والحسن^(١)، وقد اختاره: السمرقندي، والواحدي، وأبو السعود، والقاسمي^(٢).

القول الثاني:

أنهم حشروا في النار عمي الأبصار بكم الألسن صم الأسماع ليكون ذلك زيادة في عذابهم وهذا الأمر على حقيقته ثم أبصروا؛ لقوله -تعالى-: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾^(٣)، وتكلموا لقوله -تعالى-: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾^(٤)، وسمعوا بقوله -تعالى-: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾^(٥).

قال مقاتل بن سليمان: بل إذا قال لهم: ﴿قَالَ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾^(٦) صاروا عمياً لا يبصرون صماً لا يسمعون، بكماً لا يفقهون، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (القرطبي، والشوكاني، والآلوسي)^(٧).

(١) سبق توثيقه انظر ص ٣٨٦.

(٢) بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣٠)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٢٩)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٦٠)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦٣٢).

(٣) سورة الكهف: آية ٥٣.

(٤) سورة الفرقان: آية ١٣.

(٥) سورة الفرقان: آية ١٢.

(٦) سورة المؤمنون: آية ١٨.

(٧) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٣)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٦٦).

القول الثالث:

كما أنهم في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه، فهم في الآخرة كذلك: لا يبصرون ما يقر أعينهم، ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم، ولا ينطقون بما يقبل منهم كما قال - تعالى - : ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾^(١)، إما لأنهم من الحيرة والذهول يشبهون أصحاب هذه الصفات، أو كما كانت هذه صفاتهم في الدنيا فهكذا في الآخرة صفاتهم، وهو قول: (الزمخشري، والنسفي، والطاهر بن عاشور)^(٢).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ بأن معنى قوله - تعالى - : ﴿عُمِيََا وَبُكِمَا وَصُمًّا﴾ على حقيقته، ويكون ذلك في مبدأ الأمر ثم يرد الله إليهم أبصارهم ونطقهم وسمعهم فيرون النار ويسمعون زفيرها كما حكى الله - تعالى - عنهم في غير موضع، ولا يعكر عليه أن بعض الآيات تدل على سلب بعض القوى عنهم لإختلاف الأحوال والأوقات^(٣).

قال الشوكاني: «والأبكم الذي لا ينطق، والأصم الذي لا يسمع، وهذه هيئة يبعثون عليها في أقبح صورة وأشنع منظر، قد جمع الله لهم بين عمى البصر وعدم النطق وعدم السمع مع كونهم مسحوبين على وجوههم»^(٤).

(١) سورة الإسراء: آية ٧٢.

(٢) انظر الكشف للزمخشري (٣/ ٥٥٤)، مدارك التنزيل للنسفي ص ٦٣٧، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢١٧).

(٣) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٦٦).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٣).

[٤٩/٦٥] المسألة الثالثة: معنى قوله: ﴿كَلَّمَا خَبَتْ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى (خبت) هو سكون اللهب، خلافاً لما في القاموس بأن تفسير ﴿خَبَتْ﴾: سكنت، وطفئت، وتفسير طفئت: بذهب لهبها^(١)، وخلافاً لمن فسر خبت: بحميت؛ حيث قال أبو حيان ~ : « خبت النار تحبوا: إذا سكن لهبها، وخمدت إذا سكن جمرها، وضعف، وهمدت إذا طفئت جملة، قال الشاعر:

أَمِنْ زَيْنَبَ ذِي النَّارِ قَبِيلَ الصَّبْحِ مَا تَحْبُو

إِذَا مَا خَمَدَتْ يُلْقَى عَلَيْهَا الْمَنْدَلُ الرُّطْبُ^(٢)

وقال آخر:

وَسَطُهُ كَالْيَرَّاعِ أَوْ سُرْجِ الْمَجْدَلِ طَوْرًا يَحْبُو وَطَوْرًا يُنْرُ^(٣) »^(٤).

وقال أبو حيان ~ : قال ابن عباس: كلما فرغت من إحراقهم فيسكن اللهب القائم عليهم قدر ما يعادون، ثم يثور فتلك زيادة السعير^(٥)، فالزيادة في حيزهم، وأما جهنم فعلى حالها من الشدة لا يصيبها فتور فعلى هذا يكون ﴿خَبَتْ﴾ مجازاً عن سكون لهبها مقدار ما تكون إعادتهم، كأنهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم تأكلها وتفتنيها، ثم يعيدها لا يزالون على الإفناء والإعادة ليزيد ذلك في تحسيرهم على تكذيبهم، لأنه أدخل في الانتقام من الجاحد، وقد دل على ذلك بقوله: ﴿ذَلِكَ

(١) القاموس ص (١١٥١)، وانظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٦٧).

(٢) البيتان من الهزج لعمر بن أبي ربيعة، رواية الديون:

لمن نار قبيل الصبح عند البيت ماتخبو

إذا ما أوقدت يلهي عليها المندل الرطب.

(٣) البيت من الخفيف لعدي بن زيد انظر: ديوانه (٨٥)، الدرر (١/ ٦٩)، اللسان (٦/ ٤٨٣٢) واستشهد به على أن (تحبو) بمعنى تضعف.

(٤) البحر المحيط (٦/ ٦٧).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٩٤)، الدرر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٠٠).

جَزَاؤُهُمْ ﴿١﴾ وَالْإِشَارَةُ بِذَلِكَ إِلَى مَا تَقْدَمُ مِنْ حَشَرِهِمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ وَصِيرُورَتِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ وَالْعَذَابِ فِيهَا» (١).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في معنى ﴿خَبَتْ﴾ في قوله - تعالى -: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ (١) على أقوال منها:

القول الأول:

أَنَّ خَبَتْ النَّارُ مِنْ تَخَبُّوا خَبُوءًا (على وزن فعل)، وَخَبُوءًا (على وزن فعول) أي سكن لهيئتها (١) وقوله - تعالى -: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾، أي سكن لهيئتها، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختاره: (الطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزخشري، وابن عطية، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور والقاسمي) (١).

القول الثاني:

كلما طفئت أوقدت قاله مجاهد (١)، واختاره: (النسفي) (١).

(١) البحر المحيط (٨٠ / ٦) باختصار، وانظر النهر الماد (٨١ / ٦).

(٢) سورة الإسراء: آية ٩٧.

(٣) انظر اللسان (٢٢٣ / ١٤)، مادة (خبا).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٩٣ / ١٥)، معاني القرآن للزجاج (٢٦١ / ٣)، معاني القرآن للنحاس (١٩٧ / ٤)، بحر العلوم للسمرقندي (٣٣٠ / ٢)، الوسيط للواحدي (١٢٩ / ٣)، معالم التنزيل للبغوي (١٦٤ / ٣)، الكشاف للزخشري (٥٥٥ / ٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٤٨٧ / ٣)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٦٠ / ٤)، فتح القدير للشوكاني (٣٢٣ / ٣)، روح المعاني للآلوسي (١٦٧ / ٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢١٧ / ٦)، محاسن التأويل للقاسمي (٦٣٣ / ٤).

(٥) انظر النكت والعيون للماوردي (٢٧٥ / ٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١٦ / ١٠).

(٦) انظر مدارك التنزيل للنسفي ص ٦٣٧.

القول الثالث:

أن معنى كلما خبت أي: أرادت أن تخبو^(١).

القول الرابع:

أن معنى خبت: حميت، قال الألوسي: «ومن الغريب ما أخرجه ابن الأنباري عن أبي صالح من تفسير (خبت) في الآية بحميت وهو خلاف المشهور والمأثور»^(٢).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ من أن معنى خبت سكن لحييها لا انطفأت أو حميت، وقال الراغب: خبت النار تخبو سكن لحييها، وصار عليها خباء من الرماد أي غشاء، وأصل الخباء: الغطاء الذي يتغطى به، وقيل لغشاء السنبلة خباء^(٣).

قال الألوسي: «وربما يتوهم أن بين هذه الآية وقوله - تعالى -: ﴿لَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾^(٤) تعارضاً لأن الخبو يستلزم التخفيف وهو مدفوع بأن الخبو سكون اللهب واستلزمه تخفيف عذاب النار ممنوع»^(٥).

(١) انظر معالم التنزيل للبيغوي (٣/ ١٦٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٦).

(٢) روح المعاني (٨/ ١٦٧).

(٣) انظر مفردات الفاظ القرآن ص ٢٧٤.

(٤) سورة البقرة: آية ٦٢.

(٥) روح المعاني (٨/ ١٦٧).

قال - تعالى -: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَنُ قَتُورًا﴾ (١٠٠)، وفيها مسألة واحدة:

[٥٠/٦٦] المسألة: المراد بالإنسان في الآية .

رجح أبو حيان ~ أن هذه الآية عامة، والمراد بالإنسان في قوله - تعالى -: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَنُ قَتُورًا﴾ هو جنس الإنسان؛ حيث قال ~ : «والإنسان هنا للجنس» (١).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بالإنسان في قوله - تعالى -: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَنُ قَتُورًا﴾ على قولين:

القول الأول:

أن المراد بالإنسان جنس الإنسان، وأن هذه الآية عامة وليست خاصة، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد حكاه الماوردي (٢)، على أنه قول الجمهور وقد اختار هذا القول: (الزمخشري، وابن عطية، وابن كثير، والآلوسي، والقاسمي) (٣).

القول الثاني:

أن المراد بالإنسان الكافر المعهود السابق في قوله - تعالى -: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ (١٠٠)، أي أهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والأنهار وغيرها واستشهد أصحاب هذا الرأي بقول الحسن: أنها نزلت في

(١) سورة الإسراء: آية ١٠٠.

(٢) البحر المحيط (٨٢/٦).

(٣) انظر النكت والعيون للماوردي (٢٧٦/٣).

(٤) انظر الكشف للزمخشري (٥٥٤/٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤٨٨/٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٠/٣)، وحاشية الشهاب (١١٢/٦)، محاسن التأويل للقاسمي (٦٣٤/٤).

(٥) سورة الإسراء: آية ٩٠.

المشركين^(١)، واختاره: (الزجاج وابن الجوزي، والرازي، وابن عادل الحنبلي)^(٢).

♦ الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من أن المراد بالإنسان في الآية هو جنس الإنسان وذلك لما يلي:

١- لأن الحمل على العموم أولى، وذلك لأن جنس الإنسان مجبول على البخل، لأن مبني أمره الحاجة، ومن قال بالقول الثاني فيكفي على العموم اندراج أهل مكة فيه^(٣)، يقول ابن كثير ~ : « والله - تعالى - يصف الإنسان من حيث هو إلا من وفقه الله وهداه، فإن البخل والجزع والهلع صفة له كما قال - تعالى -: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝ ﴾^(٤) ولهذا نظائر كثيرة في القرآن العزيز، ويدل هذا على كرمه وجوده وإحسانه - سبحانه - وقد جاء في الصحيحين « يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغيض ما في يمينه »^(٥)،^(٦).



-
- (١) النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٧٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٤).
 - (٢) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٦١)، زاد المسير لأبن الجوزي (٥/ ٦٧)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٥٣)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٣٩٩).
 - (٣) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٧١).
 - (٤) سورة المعارج: آية ١٩-٢٢.
 - (٥) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى (لما خلقت بيدي) (٦/ ٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب الزكاة باب الحث على النفقة و تبشير المنفق بالخلف (٢/ ٦٨٩).
 - (٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٧٠).

قال - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَسَّ عَلَىٰ يَدَيْهِ إِسْرَءِيلُ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ۝١٠١ ﴾^(١)، وفيها مسألتان:

[٥١/٦٧] المسألة الأولى : المراد بالخطاب في الآية .

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالخطاب هو النبي ﷺ؛ حيث قال ~ : « والظاهر أنه خطاب للرسول محمد ﷺ ، أمره أن يسألهم عما أعلمه به من غيب القصة ثم قال: ﴿ إِذْ جَاءَهُمْ ﴾ يريد آباءهم وأدخلهم في الضمير إذ هم منهم، وقال الزمخشري: (سلهم عن إيمانهم، وعن حال دينهم أو سلهم أن يعاضدوك، وتكون قلوبهم وايديهم معك، ويدل عليهم قراءة رسول الله ﷺ) (فَمَسَّ عَلَىٰ يَدَيْهِ إِسْرَءِيلُ)^(١)، على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش، وقيل: فسل - يا رسول الله - المؤمنين من بني إسرائيل: وهم عبد الله بن سلام، وأصحابه عن الآيات، لتزداد يقيناً وطمأنينة قلب، لان الدلالة إذا تظاهرت كان ذلك أقوى وأثبت كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَلَكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾^(٢) » انتهى^(٣).

وهذا القول هو القول الأول وهو ما أعلمه به من غيب القصة، ولما كان متعلق السؤال محذوفاً احتمل هذه التقديرات^(٤).

(١) سورة الإسراء: آية ١٠١ .

(٢) انظر شواذ القرآن لابن خالويه ص ٨١، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٠٢).

(٣) سورة البقرة: آية ٢٦٠ .

(٤) الكشف للزمخشري (٣/ ٥٥٨).

(٥) البحر المحيط (٦/ ٨٢-٨٣)، وانظر النهر الماد (٦/ ٨٣).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في هذا الخطاب الموجه في الآية على أقوال:

القول الأول:

أن الخطاب موجه للنبي ﷺ أي: سلهم - يا محمد - إذ جاءهم موسى بهذه الآيات، وقوله - تعالى - (فاسأل) على معنى الأمر لرسول الله ﷺ وبهذا قرأ الجمهور^(١)، وإنما أمر أن يسأل من آمن منهم عما أخبر عنهم، ليكون حجة على من لم يؤمن منهم، وهذا ما رجحه أبو حيان، واختاره: (الواحددي، والبغوي، وابن عطية، والقرطبي وابن عادل والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والمراغي)^(٢).

القول الثاني:

أن الخطاب موجه لموسى عليه السلام، وقرأ ابن عباس^(٣) (فسأل بني اسرائيل) على معنى الخبر عن موسى أنه سأل فرعون أن يرسل معه بني اسرائيل، ولا يجوز أن يكون خطاباً للنبي ﷺ لئلا تختلف القراءات ولأنفكاك النظم، واختاره: (السمرقندي، والزمخشري، والنسفي، وأبو السعود)^(٤).

(١) انظر النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٩)، وانظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٠٠).

(٢) انظر ذلك على الترتيب التالي: الوسيط للواحدي (٣/ ١٣١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٨٨)، الباب لأبن عادل (١٢/ ٤٠١)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٧٣)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٢٦)، تفسير المراغي (٥/ ٣٦٣).

(٣) سبق توثيقه انظر ص ٣٩٤.

(٤) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣١)، الكشف للزمخشري (٣/ ٥٥٨)، مدارك التنزيل للنسفي ص ٦٣٨، ارشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٦١).

﴿الترجيح﴾

الراجح - والله تعالى أعلم - ما رجحه أبو حيان ومن وافقه من أن الخطاب في قوله -تعالى-: ﴿فَسَلِّ بِنِي إِسْرَءِيلَ﴾ موجه للنبي ﷺ وذلك لأن من قال إنه موجه لموسى ﷺ فإنه إنما حمّله على هذا الوجه حتى تتوافق القراءتان ولا داعي لهذا الحمل، لأن قراءة ابن عباس شاذة كما سبق^(١)، ومعنى القراءة المتواترة أولى وهو الصواب، قال الطبري: (والقراءة التي لا استجيز أن يقرأ بغيرها، هي القراءة التي عليها قراءة الأمصار، لإجماع الحجة من القراء على تصويبها ورغبتهم عما خالفهم)^(٢).

قال الآلوسي: « والمعنى فاسأل - يا محمد - مؤمني أهل الكتاب عن ذلك إما لأن تظاهر الأدلة أقوى، وإما من باب التهيج والإلهاب، وإما للدلالة على أنه أمر محقق عندهم ثابت في كتابهم »^(٣).

(١) سبق توثيقه انظر ص ٣٩٤.

(٢) جامع البيان للطبري (١٥/٢٠٠).

(٣) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/١٧٣).

[٥٢/٦٨] المسألة الثانية : معنى ﴿مَسْحُورًا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى مسحورا اسم مفعول أي سحرت بكلامك هذا؛ حيث قال ~ : « والظاهر أن قوله مسحورا اسم مفعول، أي: قد سُحِرَتْ فكلامك هذا مختل، وما يأتي به غير مستقيم، وهذا خطاب بنقيض، وقال: الفراء^(١) والطبري^(٢) مفعول بمعنى فاعل أي ساحر، فهذه العجائب التي يأتي بها من أمر السحر، وقالوا مفعول بمعنى: فاعل مشؤوم، وميمون وإنما هو شائم ويامن^(٣) ».

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بكلمة ﴿مَسْحُورًا﴾ على أقوال منها:

القول الأول:

أن معنى مسحورا أي: مخدوعاً، قاله: ابن عباس^(٤).

القول الثاني:

أن معنى مسحور أي: مغلوباً، قاله: مقاتل^(٥) واختاره (السمرقندي)^(٦).

القول الثالث:

أن معنى مسحورا أي: سُحِرَتْ، قاله: ابن السائب^(٧) أي مفعول على بابه، أي: أنك سحرت فكلامك مختل وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختاره: (البغوي، والزنجشري، وابن عطية، والنسفي، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي،

(١) لم أجده في معاني القرآن للفراء، انظر توثيقه في معالم التنزيل للبغوي (٣/١٦٦)، زاد المسير لابن الجوزي (٦٨/٥).

(٢) جامع البيان للطبري (١٥/١٩٩).

(٣) البحر المحيط (٦/٨٣)، وانظر النهر الماد (٦/٨٣).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/١٩٩)، معاني القرآن للنحاس (٤/٢٠٠).

(٥) انظر النكت والعيون للهاوردي (٣/٢٧٦).

(٦) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/٣٣١).

(٧) زاد المسير لابن الجوزي (٦٨/٥).

والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والمراغي) (١).

القول الرابع:

أن معنى مسحوراً أي: ساحراً، فوضع مفعولاً في موضع فاعل، وهذا مروى عن الفراء وأبي عبيد (١)، وقال ابن جرير: أعطيت علم السحر، واختاره: (الطبري، والنحاس، والواحدي، والقرطبي، وابن كثير) (١).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين أن ﴿مَسْحُورًا﴾ على بابه أي: إنك قد سحرت فكلامك مختل، وما يأتي به من غير مستقيم، وذلك لأن حمل المعنى على ظاهر اللفظ أولى.

قال ابن عطية بعد ما ذكر قول الفراء والطبري: « وهذا لا يخرج إلا على النسب، أي: ذا سحر ملكته وعلمته، فأنت تأتي بهذه الغرائب لذلك وهذه مخاطبة تنقص، فيستقيم أن ﴿مَسْحُورًا﴾ مفعولاً على ظاهره، وعلى أن يكون بمعنى ساحر يعارضه ما حكى عنهم أنهم قالوا له على جهة المدح: ﴿يَتَأْتِيهِ السَّاحِرُ أَدْعَاؤُنَا رَبِّكَ﴾ (١)، فإما أن يكون القائلون هنالك ليس فيهم فرعون، وإما أن يكون فيهم لكنه تنقل من تنقصه إلى تعظيمه، وفي هذا نظر (١).

(١) انظر ذلك على الترتيب التالي: معالم التنزيل للبغوي (٣/١٦٦)، الكشف للزخشري (٣/٥٥٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٨٩)، مدارك التنزيل للنسفي ص ٦٣٨، اللباب لابن عادل (١٢/٤٠١)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/١٦١)، فتح القدير للشوكاني (٣/٣٢٦)، روح المعاني للآلوسي (٨/١٧٤)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/٢٢٦)، ومحاسن التأويل للقاسمي (٤/٦٣٥)، تفسير المراغي (٥/٣٦٣).

(٢) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/١٦٦)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/٦٨).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/٢٠٠)، معاني القرآن للنحاس (٤/٢٠١)، الوسيط للواحدي (٣/١٣١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/٢١٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٧٠).

(٤) سورة الزخرف: آية ٤٩.

(٥) انظر المحرر الوجيز (٣/٤٨٩).

قال - تعالى -: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعَوْتُ مَثْبُورًا ﴾ (١٠٢)، وفيها مسألة واحدة:

[٥٣/٦٩] المسألة : معنى ﴿مَثْبُورًا﴾.

رجح أبو حيان ~ تعالى أن معنى الثبور: الهلاك، حيث قال: « الثبور: الهلاك يقال ثبر الله العدو ثبوراً أهلكه، وقال ابن الزبيري (١):

إِذَا أُجَارِيَ الشَّيْطَانُ فِي سِنَنِ الْغَيِّ وَمَنْ مَالٍ مِثْلُهُ مَثْبُورٌ (١) »

ولذلك آل أمر فرعون إلى الهلاك، كان أولاً (١) وقال أبو حيان: « موسى عليه السلام يتوقع من فرعون أذى، كما قال: ﴿ إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾ (١)، فأمر أن يقول له: قولاً ليناً، فلما قال له الله: ﴿ لَا تَخَفْ ﴾: وثق بحماية الله فصالح على فرعون صولة المحمي، وقابله من الكلام بما لم يكن ليقابله به قبل ذلك، ومثبور: مهلك في قول: الحسن ومجاهد (١)، وملعون، في قول: ابن عباس (١) وناقص العقل فيما روى

(١) سورة الإسراء: آية ١٠٢.

(٢) عبدالله بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي، ابن الزبيري بكسر الزاي والموحدة وسكون المهملة بعدها راء مقصورة، كان من أشعر قريش وكان شديداً على المسلمين، أسلم في عام الفتح، انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/ ٨٧).

(٣) البيت من الخفيف انظر سيرة ابن هشام ص ٤١٩، الجمهرة (٢/ ٢٧٧)، تفسير الطبري (١٥/ ٢٠١)، القرطبي (١٠/ ٣٣٨) وهذا البيت لعبد الله بن الزبيري من مقطوعة أربعة أبيات، قالها حين جاء إلى النبي ﷺ مسلماً معتذراً عما فرط منه من هجائه بتحريض قريش على ذلك وأباري: أجازي وأعارض، والسنن بالتحريك: وسط الطرق، ومثبور هالك، وهذا محل الشاهد عند المؤلف رحمه الله.

(٤) البحر المحيط (٦/ ٦٧).

(٥) سورة طه: آية ٤٥.

(٦) انظر جامع البيان (١٥/ ٢٠٢)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٠٣)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٣١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٤٨٩)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٢١٨).

(٧) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٠٢)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٠٣)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٣١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٤٨٩)، الدر المنثور

ميمون بن مهران^(١)، ومسحور في قول الضحاك^(٢)، قال: رد عليه مثل ما قال له فرعون مع اختلاف اللفظ، وعن الفراء^(٣) مثبور: مصروف عن الخير مطبوع على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا أي ما منعك وصر فك^(٤).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في معنى كلمة مثبوراً على أقوال منها:

القول الأول:

إن المثبور هو: الملعون، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(٥)، وبه قال الضحاك^(٦)، ورده الآلوسي وقال: «والأنبياء عليهم السلام مبرؤون من أن يلعنوا أو يسبوا، وأكرم من أن يلعنوا أو يسبوا»^(٧).

= للسيوطي (٣٠٢/٥).

(١) ميمون بن مهران الجزري، أبو أيوب، أصله كوفي، ولي الجزيرة لعمر بن عبدالعزيز، روى له البخاري في الأدب المفرد، ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة، ثقة كبير القدر، توفي ١١٧ هـ، انظر تقريب التهذيب (٥٥٦/١).

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٦٩/٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١٨/١٠)، الدر المنثور للسيوطي (٣٠٢/٥).

(٣) انظر تفسير الضحاك (٥٣٨/١)، زاد المسير لابن الجوزي (٦٩/٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠٨/١٠).

(٤) معاني القرآن للفراء (١٣٢/٢)، وانظر النكت والعيون للهاوردي (٢٧٨/٣)، الوسيط للواحدي (١٣١/٣)، معالم التنزيل للبغوي (١٦٦/٣).

(٥) البحر المحيط (٨٤/٦)، وانظر النهر الماد (٨٣/٦).

(٦) سبق توثيقه انظر ص ٣٩٩.

(٧) انظر تفسير الضحاك (٥٣٨/١)، معاني القرآن للنحاس (٢٠٣/٤)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤٨٩/٥).

(٨) روح المعاني للآلوسي (١٥٧/٨).

القول الثاني:

أن المَثْبُور هو: المغلوب، رواه العوفي عن ابن عباس^(١)، وبه قال الضحاك^(٢)، واختاره: (الكلبي^(٣))، ومقاتل^(٤).

القول الثالث:

أن المَثْبُور هو: الناقص العقل، رواه ميمون بن مهران^(٥) عن ابن عباس وقال ابن زيد هو: المخبول^(٦).

القول الرابع:

أن المَثْبُور هو: المُهْلَك، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس^(٧)، وهو: قول الحسن^(٨)، ومجاهد، وبه قال أبو عبيده^(٩)، وابن قتيبة^(١٠).

قال الزجاج^(١١): يُقال: ثُبِر الرجل فهو مَثْبُور: إذا أُهْلِكَ، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ واختاره: (السمرقندي، الزمخشري، وابن عطية، والفخر الرازي، والقرطبي والنسفي وابن القيم، وابن كثير، والسمين الحلبي، وابن عادل الحنبلي، والشوكاني، والآلوسي والطاهر بن عاشور، والقاسمي)^(١٢).

(١) انظر تفسير الضحاك (٥٣٧/١)، جامع البيان للطبري (٢٠٢/١٥).

(٢) انظر النكت والعيون للماوردي (٢٧٨/٣).

(٣) انظر ص ٤٠٠ هامش (٢).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٤٨٩/٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١٨/١٠).

(٥) زاد المسير لابن الجوزي (٦٩/٥).

(٦) سبق توثيقه انظر ص ٣٩٩.

(٧) الوسيط للواحد (١٣١/٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٦٩/٥).

(٨) زاد المسير لابن الجوزي (٦٩/٥).

(٩) معاني القرآن للزجاج (٢٦٣/٢).

(١٠) انظر ذلك على الترتيب: بحر العلوم للسمرقندي (٣٣/٢)، الكشاف للزمخشري (٥٥٨/٣)، المحرر

الوجيز لابن عطية (٤٨٨/٥)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٥٦/٢١)، الجامع لأحكام القرآن

للقرطبي (٢١٨/١٠)، مدارك التنزي للنسفي ص ٦٣٨، بدائع التفسير لابن القيم (١١٠/٣)، تفسير

القول الخامس:

أن المثبور هو: الممنوع من الخير، تقول العرب: ما شرك عن هذا، أي: ما منعك، قاله
الفرآء^(١)، واختاره: (الطبري، والنحاس، وأبو السعود، والمراغي)^(٢).

القول السادس:

إن المثبور هو: المسحور، وهو قول الضحاك، قال: رد عليه مثل ما قال له فرعون مع
اختلاف اللفظ.

❖ الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو قول أبي حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من أن
معنى كلمة مثبور أي مهلك وذلك لما يلي، أصل الثبور الهلاك، قال ابن فارس: «والثاء
والباء والراء أصول ثلاث: الأول: السهولة، والثاني: الهلاك، والثالث: المواظبة على الشيء
فالأرض السهلة هي الثَّبرَة، وأما الهلاك فالثبور، ورجل مثبور هالك...»

وفي كتاب الله - تعالى -: ﴿لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾^(٣)،
وأما الثالث فيقال: ثابرت على الشيء، أي: واظبت^(٤).
قال الراغب: «الثبور: الهلاك والفساد»^(٥).

= القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٧١)، الدر المصون للمسمين الحلبي (٧/ ٤٢٣)، الباب لابن عادل الحنبلي
(١٢/ ٤١٢)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٦)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٧٥)، التحرير والتنوير
للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٢٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦٣٥).

(١) سبق توثيقه انظر ص ٤٠٠ هامش (٤).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٠١)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٠٣)، إرشاد العقل السليم لأبي
السعود (٤/ ١٦١) تفسير المراغي (٥/ ٣٦٤).

(٣) سورة الفرقان / آية ١٤.

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٤٠١).

(٥) مفردات الفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص (١٧١)، انظر القاموس المحيط للفيروز آبادي
ص (٣٢٣).

قال الفخر الرازي: « وقال الزجاج: يقال: ثبر الرجل فهو مثبور إذا هلك، والثبور الهلاك، ومن معروف الكلام فلان يدعو بالويل والثبور عن مصيبة تناله، وقال -تعالى-: ﴿لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ ^(١)، واعلم أن فرعون لما وصف موسى بكونه مسحور أجابه موسى بأنك مثبور، يعني هذه الآيات ظاهرة وهذه المعجزات ظاهرة ولا يرتاب العاقل في أنها من عند الله وفي أنه -تعالى- إنما أظهرها لأجل تصديقي وأنت تنكرها فلا يحملك على هذا الإنكار إلا الحسد والعناد والغبي والجهل وحب الدنيا ومن كان كذلك كانت عاقبته الدمار والثبور » ^(٢).



(١) سورة الفرقان: آية ١٤.

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٥٦/٢١).

قال - تعالى -: ﴿ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ۝١٠٣ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اأَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ۝١٠٤ ﴾^(١)، وفيها مسألتان:

[٥٤/٧٠] المسألة الأولى : الأرض المأمور بسكنها .

رجح أبو حيان ~ أن الأرض المأمور بسكنها في قوله - تعالى -: ﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اأَسْكُنُوا الْأَرْضَ ﴾، هي: أرض الشام؛ حيث قال ~ : « والضمير في من بعده عائد على فرعون أي من بعد إغراقه، والأرض المأمور بسكنها أرض الشام »^(١).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في الأرض المأمور بسكنها في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اأَسْكُنُوا الْأَرْضَ ﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن الأرض المأمور بسكنها هي أرض الشام، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره: (الطبري، والسمرقندي، والبعوي، وابن الجوزي، وابن عطية، والقرطبي، وابن عادل الحنبلي، والطاهر بن عاشور، والمراغي)^(١).

القول الثاني:

أنها هي الأرض التي أراد أن يستفزكم منها فرعون، وهي: أرض مصر، وقد

(١) سورة الإسراء: آية ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) البحر المحيط (٦/ ٨٤)، وانظر النهر الماد (٦/ ٨٣).

(٣) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٠٣)، بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٣٣٢)، معالم التنزيل للبعوي (٣/ ١٦٦)، زاد المسير لأبن الجوزي (٥/ ٧٠)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٠)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٩)، الباب لابن عادل الحنبلي (١٢٠/ ٤٠٣)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٨٨)، تفسير المراغي (٥/ ٣٦٤).

اختاره: (الزخشري وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي) (١).

القول الثالث:

إنها أرض ما وراء الصين، قاله مقاتل (٢)، وهذا بعيد جداً.

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ومن وافقه من المفسرين بأن الأرض المأمور بسكنائها هي أرض الشام وذلك لأنها هي الأرض المقدسة التي أمر بسكنائها، قال الطاهر بن عاشور: «والأرض الأولى هي المعهودة وهي أرض مصر، والأرض التي الثانية هي أرض الشام وهي المعهود لبني إسرائيل بوعده الله إبراهيم إياها» (٣).

قال ابن عطية: «ومتى ذكرت الأرض عموماً فإنما يراد بها ما يناسب القصة المتكلم فيها وقد يحسن عمومها في بعض القصص، وقوله - تعالى -: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَنْفِرَهُمْ﴾ أي يستخفهم ويقلعهم، إما بقتل أو بإجلاء والأرض أرض مصر، فأغرق الله فرعون وجنوده وهذا كان نهاية الأمر، ثم ذكر الله - تعالى - أمر بني إسرائيل بعد إغراق فرعون بسكن أرض الشام» (٤).

(١) انظر الكشف للزخشري (٣/٥٥٨)، والإرشاد لأبي السعود (٤/١٦٢)، فتح القدير للشوكاني

(٣/٣٢٦)، وروح المعاني للآلوسي (٨/١٧٦).

(٢) انظر زاد المسير لأبن الجوزي (٥/٧٠).

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/٢٢٨).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٩٠) باختصار وتصرف يسير.

[٥٥/٧١] المسألة الثانية : المراد بوعد الآخرة .

رجح أبو حيان ~ بأن المراد بوعد الآخرة هو: قيام الساعة؛ حيث قال ~ :
«والظاهر أن يكون الأمر بذلك حقيقة على لسان موسى عليه السلام، ووعد الآخرة: قيام الساعة»^(١).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بوعد الآخرة على أقوال منها:

القول الأول:

أن المراد بوعد الآخر: قيام الساعة، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختاره من المفسرين: (الطبري، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية وابن الجوزي، والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي، وابن عادل الحنبلي، وأبو السعود، والشوكاني والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والمراغي)^(١).

القول الثاني:

أن المراد بوعد الآخرة: وعد الكرة، ووعد الإقامة، قاله: مقاتل^(٢).

(١) البحر المحيط (٦/ ٨٤)، وانظر النهر الماد (٦/ ٨٣).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٠٣)، وبحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣٢)، والوسيط للواحدي (٣/ ١٣١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥٨)، والمحزر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٠)، وزاد الميسر لابن الجوزي (٥/ ٧٠)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٥٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٩)، ومدارك التنزيل للنسفي ص ٦٣٨، واللباب في علوم الكتاب لأبن عادل الحنبلي (١٢/ ٤٠٣)، وارشاد العقل السليم لابي السعود (٤/ ١٦٢)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٦)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٧٦)، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٢٨)، ومحاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦٣٦)، تفسير المراغي (٥/ ٣٦٤).

(٣) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٧٨).

القول الثالث:

أن المراد بوعد الآخرة هو: نزول عيسى - عليه السلام - من السماء، قاله: قتادة^(١)، وهو قول: الكلبي^(٢).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ وجهه المفسرين من أن المراد بوعد الآخرة هو قيام الساعة وذلك لما يلي:

١. لأنه قول الجمهور كما سبق^(٣)، قال الطاهر بن عاشور: « وعد الآخرة ما وعد الله به الخلائق على السنة الرسل من البعث والحشر، ومعنى الآية حكمنا بينهم في الدنيا بفرق الكفرة وتمليك المؤمنين وسنحكم بينهم يوم القيامة »^(٤).

وقال القونوي^(٥) - بعد أن ذكر قول البيضاوي من أن المراد بوعد الآخرة الكره أو الساعة أو الدار الآخرة -: أشار إلى أن الموصوف مقدر بوجوه شتى وظاهرة الدار الآخرة لأنه مذكور في موضع آخر وكذا الحياة والساعة، وأما الكرة فليست في هذه المرتبة في الظهور^(٦) مع أنه قدمها^(٧).

(١) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/٢٧٨).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/٢١٩).

(٣) انظر دراسة المسألة ص ٤٠٦.

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/٢٢٨-٢٢٩) باختصار يسير.

(٥) القونوي هو عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي أبو الفداء القونوي، المتوفي سنة ١١٩٥ هـ، كان عارفاً بالمنطق والتفسير والأصول وغير ذلك، عمل حاشية على تفسير الإمام البيضاوي المتوفي سنة ٦٨٥ هـ. انظر هدية العارفين (١/٢٢٢)، الأعلام (١/٣٢٥)، معجم المؤلفين (٢/٢٩٤).

(٦) أشار به إلى أن فيه نوع مقصود في الترتيب إلا أن يقال إنه أراد ذكر ما هو المرجوح أولاً ثم الراجح المختار ثانياً.

(٧) يقصد الإمام البيضاوي، انظر حاشية القونوي (١١/٦٠٦).

قال - تعالى -: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (١٠٥) ^(١)، وفيها مسألة واحدة:

[٥٦/٧٢] المسألة : مرجع الضمير في قوله - تعالى - : ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ .

رجح أبو حيان ~ أن مرجع الضمير في ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ عائد على القرآن الكريم؛ حيث قال ~ : ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ هو مردود على قوله: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ ^(١) الآية وهكذا طريقة كلام العرب وأسلوبها، تأخذ في شيء وتستطرد منه إلى شيء آخر، ثم إلى الآخر ثم تعود إلى ما ذكرته أولاً، وأبعد من ذهب إلى أن الضمير في أنزلناه عائد على موسى عليه السلام وجعل منزلاً كما قال - تعالى -: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ ^(٢)، أو عائد على الآيات التسع وذكر على المعنى أو عائد على الوعد المذكور قبله ^(٣).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في هاء الكناية يعود على ماذا؟ فذهبوا في ذلك إلى أقوال، منها:

القول الأول:

إنها عائدة على القرآن الكريم لأنه سبق ذكره في وسط السورة في أكثر من موضع، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره من المفسرين: (الطبري والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، ابن عادل الحنبلي، وأبو السعود والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور) ^(٤).

(١) سورة الإسراء: آية ١٠٥.

(٢) سورة الإسراء: آية ٨٨.

(٣) سورة الحديد: آية ٢٥، أي جعل منزلاً كما هو شأن الحديد أنظر الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٤٢٤).

(٤) البحر المحيط (٦/ ٨٤)، وانظر النهر الماد (٦/ ٨٦).

(٥) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٠٤)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣٢)،

القول الثاني:

أن الضمير يعود على موسى عليه السلام ^(١).

القول الثالث:

أن الضمير يعود على الآيات التسع ^(٢).

القول الرابع:

أن الضمير يعود على الوعد المذكور ^(٣).

﴿ الترجيح: ﴾

الراجح - والله تعالى أعلم - ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من أن الضمير (هاء الكناية) تعود على القرآن الكريم وذلك لما يلي:

١ - لأن هذا قول جمهور المفسرين ^(٤).

٢ - تقديم قاعدة: إعادة الضمير إلى المحدث عنه على غيرها من قواعد الضمائر، وجرت عادة العرب في كلامهم بالاستطراد في أمر ثم العود إلى ما ذكرته أولاً، وقد تقدم ذكر القرآن في سورة الإسراء في أكثر من موضع قال ابن عطية ~ : « وأشار بالقرآن على

= الوسيط للواحد (٣/ ١٣٢)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٦)، الكشف للزخشري (٣/ ٥٥٨)، والمحرم الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٠)، وزاد الميسر لابن الجوزي (٥/ ٧٠)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٥٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٩)، ومدارك التنزيل للنسفي ص ٦٣٨، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٧٢)، واللباب في علوم الكتاب لأبن عادل الحنبلي (١٢/ ٤٠٤)، وارشاد العقل السليم لابي السعود (٤/ ١٦٢)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٦) روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٧٦)، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٢٨).

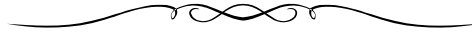
(١) انظر الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٤٢٤)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٤٠٤).

(٢) انظر الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٤٢٤)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٤٠٤).

(٣) انظر الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٤٢٤)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٤٠٤).

(٤) سبق توثيقه انظر ص ٤٠٨.

ذكر متقدم لشهرته كما قال - تعالى -: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ ^(١) وهذا كثير ^(٢)، قال السمين الحلبي: « والضمير في ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ الظاهر عوده للقرآن: إما الملفوظ به في قوله - تعالى - قبل ذلك: ﴿عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ ^(٣)، ويكون ذلك جرياً على قاعدة أساليب كلامهم، وهو أن يستطرد المتكلم في ذكر شيء لم يسبق له كلامه أولاً ثم يعود إلى كلامه الأول، وإما للقرآن غير الملفوظ أولاً، لدلالة الحال عليه كقوله - تعالى -: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ^(٤) ^(٥) .



(١) سورة ص: آية ٣٢.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٠).

(٣) سورة الإسراء: آية ٨٨.

(٤) سورة القدر: آية ١.

(٥) الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٤٢٤).

قال - تعالى - : ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ (١٠٧) ﴿١﴾، وفيها ثلاث مسائل:

[٥٧/٧٣] المسألة الأولى : مرجع الضمير في قوله : ﴿ءَامِنُوا بِهِٓ﴾ وفي قوله : ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ .

رجح أبو حيان ~ أن الضمير في قوله - تعالى - : ﴿ءَامِنُوا بِهِٓ﴾ والضمير في قوله : ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ في الآية يعودان على القرآن حيث قال : « والظاهر أن الضمير في قوله - تعالى - : ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِٓ﴾ عائد على القرآن ... والظاهر أن الضمير في قوله : ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ عائد على القرآن كما عاد عليه في قوله ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ ، ويدل عليه ما قبله وما بعده ، وقيل : الضميران في : ﴿ءَامِنُوا بِهِٓ﴾ وفي ﴿قَبْلِهِ﴾ عائدان على الرسول ﷺ » (١) .

♦ الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله : ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِٓ﴾ وفي قوله : ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ على أقوال :

القول الأول :

أن مرجع الضمير في الموضعين يعود على القرآن، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختاره : (الطبري، والسمرقندي، والماوردي، والواحدي، والزنجشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي، القرطبي وابن عادل الحنبلي، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور) (١) .

(١) سورة الإسراء: آية ١٠٧ .

(٢) البحر المحيط (٦ / ٨٥) باختصار يسير، وانظر النهر الماد (٦ / ٨٦) .

(٣) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٥ / ٢٠٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٢ / ٣٣٢)، النكت والعيون للماوردي (٣ / ٢٨٠)، الوسيط للواحدي (٣ / ١٣٢)،، الكشف للزنجشري (٣ / ٥٥٩)،، والمحرم الوجيز لابن عطية (٣ / ٤٩١)، وزاد الميسر لابن الجوزي (٥ / ٧١)، مفاتيح

القول الثاني:

أن مرجع الضمير في الموضعين يعود على النبي ﷺ، وهو قول: ابن زيد^(١)، وقول ابن زيد هذا لا يتم إلا مع تقدير محذوف، والأصل إجراء الكلام على ظاهره، ولهذا عقب الألوسي على قول ابن زيد قائلاً: «ويأباه السياق والحقاق»^(٢).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من أن مرجع الضمير في قوله: ﴿ءَامِنُوا بِهِ﴾^(٣) وقوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾^(٤) يعود على القرآن الكريم لذلك لدلالة السياق القرآني.

قال الطبري: «وجعلت الهاء التي في قوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾^(٥) من ذكر القرآن، لأن الكلام بذكره جرى قبله، وذلك قوله: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ﴾^(٦) وما بعده في سياق الخبر عنه فلذلك وجبت مصلحة ما قلنا إذا لم يأت بخلاف ما قلنا فيه حجة يجب التسليم لها»^(٧).

قال الشوكاني: «وقيل الضمير في قوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ راجع إلى النبي ﷺ، والأولى ما ذكرناه من رجوعه إلى القرآن لدلالة السياق على ذلك، وفي هذا تسليية لرسول الله ﷺ

= الغيب للفخر الرازي (٥٨/٢١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٠/١٠) واللباب في علوم الكتاب لأبن عادل الحنبلي (٤٠٧/١٢)، فتح القدير للشوكاني (٣٢٦/٣)، روح المعاني للألوسي (١٧٨/٨)، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٣٣/٦).

(١) انظر جامع البيان للطبري (٢٠٨/١٥)، والمحزر الوجيز لابن عطية (٤٩١/٣)، وزاد الميسر لابن الجوزي (٧١/٥) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٠/١٠)، الدر المنثور للسيوطي (٣٠٤/٥).

(٢) انظر روح المعاني للألوسي (١٧٩/٨).

(٣) سورة الإسراء: آية ١٠٧.

(٤) سورة الإسراء: من آية ١٠٧.

(٥) سورة الإسراء: من آية ١٠٦.

(٦) سورة الإسراء: آية ١٠٧.

(٧) جامع البيان للطبري (٢٠٩/١٥)، وانظر روح المعاني للألوسي (١٧٩/٨).

وحاصلها أنه إن لم يؤمن به هؤلاء الجهال الذين لا علم عندهم ولا معرفة بكتب الله ولا
بأنبيائه، فلا تبال بذلك، فقد آمن به أهل العلم وخشعوا له وخضعوا عند تلاوته عليهم
خضوعاً ظهر أثره البالغ بكونهم يخرون على أذقانهم سجداً لله «^(١).



(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٨).

[٥٨/٧٤] المسألة الثانية : المراد بالذين أوتوا العلم .

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالذين أوتوا العلم هم مؤمنو أهل الكتاب؛ حيث قال ~ : « والذين أوتوا العلم، هم: مؤمنو أهل الكتاب، وقيل: ورقة بن نوفل ^(١)، وزيد بن عمرو بن نفيل ^(٢)، ومن جرى مجراهما، فإنها كانا ممن أوتي العلم . واطلعا على التوراة والإنجيل، ووجد فيهما صفته ﷺ، وقيل: هم جماعة من أهل الكتاب جلسوا وهم على دينهم فتذكروا أمر النبي ﷺ وما أنزل عليه، وقرئ عليهم منه شيء فخشعوا وسجدوا لله وقالوا: هذا وقت نبوة المذكور في التوراة، وهذه صفته، ووعد الله به واقع لا محالة وجنحوا إلى الإسلام هذا الجنوح فنزلت هذه الآية فيهم، وقيل: المراد بالذين أوتوا العلم من قبله هو محمد ﷺ » ^(٣).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ ^(٤) على أقوال منها:

القول الأول:

أنهم مؤمنو أهل الكتاب، قاله: مجاهد ^(٥)، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد

(١) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي ابن عم خديجة زوج النبي ﷺ، ذكره الطبري، والبغوي، وابن السكن في الصحابة، قال الحافظ ابن حجر ولكن الحديث الذي ثبت في الصحيح فيه أن ورقة أقر بنبوة النبي ﷺ ولكن مات قبل الدعوة، وفي إثبات الصحبة له نظر، انظر الإصابة في تمييز الصحابة (٦/٦٠٧)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٣/٦٣).

(٢) زيد بن عمرو بن نفيل العدوي والد سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة، ابن عم عمر ابن الخطاب، ذكره البغوي وابن منده وغيرها في الصحابة، وفيه نظر لأنه مات قبل البعثة بخمس سنين، انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٣/٦١٣)، تهذيب التهذيب (٢/٣٦٣).

(٣) البحر المحيط (٦/٨٥)، وانظر النهر الماد (٦/٨٦).

(٤) سورة الإسراء آية: ١٠٧.

(٥) النكت والعيون للهاوردي (٣/٢٨٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/٧١)، الدر المنثور للسيوطي (٥/٣٠٤).

اختاره: (الطبري، والسمرقندي، والزخشي، وابن عطية، والقرطبي، وابن كثير، وأبو السعود، والآلوسي)^(١).

القول الثاني:

أنهم الأنبياء عليهم السلام، قاله ابن زيد^(٢).

القول الثالث:

أنهم: طلاب الدين؛ كورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل، ومن جرى مجراهما، قال القرطبي: «وعلى هذا ليس يريد أوتوا الكتاب، بل يريد أوتوا علم الدين»^(٣)، واختاره: (الواحدي، والبغوي، والفخر الرازي، وابن عادل، والشوكاني، والطاهر بن عاشور)^(٤).

القول الرابع:

أنهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، قاله: الحسن^(٥).

(١) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (٢٠٨/١٥)، بحر العلوم للسمرقندي (٣٣٢/٢)، للزخشي (٥٥٩/٣)، والمحزر الوجيز لابن عطية (٤٩١/٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٠/١٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٢/٣)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٦٢/٤)، روح المعاني للآلوسي (١٧٨/٨).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٧/٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٢٠/١٠).

(٤) انظر الوسيط للواحدى (١٣٢/٣)، معالم التنزيل للبغوي (١٦٧/٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٥٨/٢١)، الباب في علوم الكتاب لأبن عادل الحنبلي (٤٠٧/١٢)، فتح القدير للشوكاني (٣٢٧/٣)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٣٣/٦).

(٥) انظر النكت والعيون للماوردي (٢٨٠/٣).

﴿الترجيح﴾:

الراجح - والله تعالى أعلم - أن المراد بـ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ هم أهل العلم من أهل الكتاب، كما في قوله - تعالى -: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (٦) وكقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (١٩٧) (١)، قال أبو السعود: «﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل ورأوا فيها نعتك ونعت ما أنزل إليك» (٢).

(١) سورة سبأ: آية ٦.

(٢) سورة الشعراء: آية ١٩٧.

(٣) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/١٦٢).

[٥٩/٧٥] المسألة الثالثة : مرجع الضمير في قوله - تعالى - : ﴿إِذَا يُتْلَىٰ﴾^(١).

رجح أبو حيان ~ أن مرجع الضمير في قوله - تعالى - : ﴿إِذَا يُتْلَىٰ﴾ يعود على القرآن؛ حيث قال ~ : « والظاهر في قوله: ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أن الضمير في ﴿يُتْلَىٰ﴾ عائد على القرآن، وقيل: هو عائد على التوراة، وما فيها من تصديق للقرآن ومعرفة النبي ﷺ »^(٢).

◈ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في مرجع الضمير يتلى في قوله - تعالى - : ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن مرجع الضمير يعود على القرآن، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختاره: (الطبري، والسمرقندي، والبغوي والزخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور)^(٣).

(١) سورة الإسراء: آية ١٠٧.

(٢) البحر المحيط (٦/ ٨٥)، وانظر النهر الماد (٦/ ٨٦).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٠٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣٢)، الوسيط للواحدى (٣/ ١٣٢)، ومعلم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٧)، الكشف للزخشري (٣/ ٥٥٩)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩١)، زاد المسير لأبن الجوزي (٥/ ٧١)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٥٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٢٠)، مدارك التنزيل للنسفي ص ٦٣٩، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٧٢)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٤٠٧)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٦٢)، فتح القدير للشوكاني (٦/ ٢٣٣)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٧٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٣٣).

القول الثاني:

أنه يعود على التوراة وما فيها من تصديق القرآن ومعرفة النبي ﷺ، وهو قول: (ابن زيد، وابن جريج) ^(١).

الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من أن مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿يُتْلَى﴾ يعود على القرآن وذلك لما يلي:

١ - لدلالة السياق القرآني، قال الطبري: «وإنما قلنا: عني بقوله: ﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ ^(١) القرآن؛ لأنه في سياق ذكر القرآن لم يجر ذكرٌ لغيره من الكتب، فيصرف الكلام إليه» ^(٢) ودلالة السياق من أقوى أدلة الترجيح.

٢ - لأنه قول الجمهور، وتفسير جمهور السلف مقدم على غيره ^(٣).

-
- (١) جامع البيان للطبري (٢٠٨-٢٠٩)، زاد المسير لابن الجوزي (٧١/٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٠/١٠)، الدر المنثور للسيوطي (٣٠٤/٥).
- (٢) سورة الإسراء: آية ١٠٧.
- (٣) جامع البيان للطبري (٢٠٩/١٥).
- (٤) قواعد الترجيح لحسين الحربي (٢٨٨/١).

قال - تعالى -: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافَتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١١٠)، وفيها مسألة واحدة:

[٦٠/٧٦] المسألة : المراد بالصلاة في الآية .

رجح أبو حيان ~ أن كلمة الصلاة تحتمل معنيين، فهي تحتمل معنى الدعاء، كما قال: ابن عباس، وعائشة - رضي الله عنهما - ، وتحتمل: أيضاً: قراءة القرآن في الصلاة؛ كما ورد عن ابن عباس } ، حيث قال ~ : « والصلاة هنا الدعاء، قاله: ابن عباس ^(١) وعائشة ^(٢) وجماعة، وعن ابن عباس ^(٣) أيضاً: هي قراءة القرآن في الصلاة، فهو حذف مضاف أي بقراءة الصلاة، ولا يلبس تقدير هذا المضاف لأنه معلوم أن الجهر والمخافته معتقبان على الصوت لا غير، والصلاة أفعال وأذكار وكان ~~عَلَى الصَّلَاةِ~~ يرفع صوته بقراءته فيسبب المشركون ويلغون، فأمر بأن يخفض من صوته حتى لا يسمع المشركين، وأن لا يخفت حتى يسمعه من وراءه من المؤمنين، وقال ابن عباس والحسن: لا تحسن علانيتها وتسيء

(١) سورة الإسراء: آية ١١٠.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (٢١١ / ١٥)، المحرر الوجيز لأبن عطية (٤٩٢ / ٣)، تفسير القرآن العظيم لأبن كثير (٧٣ / ٣)، الدر المنثور (٣٠٨ / ٥).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (٢١١ / ١٥)، وأخرجه البخاري كتاب التفسير باب ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافَتْ بِهَا﴾ (٤٠٥ / ٨)، وكتاب الدعوات باب الدعاء في الصلاة (١٣١ / ١١)، وكتاب التوحيد باب قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ (٥٠١ / ١٣)، ومسلم في كتاب الصلاة باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية (٣٢٩ / ١)، والموطأ باب العمل في الدعاء ص ١٥٢ وفي الدر المنثور (٣٠٨ / ٥)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (٤٩٩ / ٢)، وابن أبي شيبة (٤٤٠ / ٢).

(٤) انظر صحيح البخاري كتاب التفسير باب ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافَتْ بِهَا﴾ (٤٠٤ - ٤٠٥)، والتوحيد بقوله تعالى: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ﴾ (٤٦٣ / ١٣)، وباب قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ (٥٠٠ / ١٣)، ومسلم في الصلاة باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية (٣٢٩ / ١) والترمذي في التفسير باب ومن سورة بني اسرائيل (٣٠٦ - ٣٠٧)، والنسائي (١٧٧ / ٢) وابن جرير في جامع البيان (٢١٢ / ١٥)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣٠٦ / ٥) وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه والطبراني والبيهقي في سننه (٢٠٦ / ٤).

سريتها^(١) وعن عائشة: الصلاة يراد بها هنا التشهد^(٢)، وقال ابن سيرين: كان الأعراب يجهرون بتشهدهم^(٣)، فنزلت الآية في ذلك، وكان أبو بكر يسر قراءته وعمر يجهر بها، فقليل لهما في ذلك، فقال أبو بكر: إنما أنا جاري ربي وهو يعلم حاجتي، وقال عمر: أنا أطرده الشيطان وأوقظ الوسنان^(٤)، فلما نزلت قيل لأبي بكر: أرفع أنت قليلاً، وقيل لعمر: اخفض أنت قليلاً^(٥)، وعن ابن عباس أيضاً: المعنى ولا تجهر بصلاة النهار ولا تخافت بصلاة الليل^(٦)، وقال ابن زيد: معنى الآية: النهي عن ما يفعله أهل الإنجيل والتوراة من رفع الصوت أحياناً فيرفع الناس معه ويخفض أحياناً فيسكت الناس خلفه^(٧) انتهى^(٨).

♦ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بالصلاة في قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾ على ثلاث أقوال:

القول الأول:

أنه عني بالصلاة هنا الدعاء، ومعنى ذلك ولا تجهر بدعائك ولا تخافت به، وكما في

- (١) انظر جامع البيان للطبري (١٥ / ٢١٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (١٣ / ٤٩٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٥ / ٧٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣ / ٧٣)، الدر المنثور للسيوطي (٥ / ٣٠٩).
- (٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥ / ٢١٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (١٣ / ٤٩٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٥ / ٧٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣ / ٧٣)، الدر المنثور للسيوطي (٥ / ٣٠٩).
- (٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٣ / ٤٩٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٥ / ٧٣).
- (٤) الوَسْن والوسْنة والسَّنة: شدة النوم أو أوله، أو النعاس، انظر لسان العرب (٦ / ٤٨٣٩)، ترتيب القاموس (٤ / ٦١٢).
- (٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥ / ٢١٤)، وزاد في الدر المنثور (٥ / ٣٠٧) نسبته لسعيد بن منصور والبيهقي في شعب الإيمان وابن المنذر وفيه قال ابن سيرين نبئت أن أبا بكر رضي الله عنه كان إذا قرأ... الحديث وهو منقطع كما ترى بين ابن سيرين وأبي بكر.
- (٦) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣ / ٤٩٢)، زاد المسير لأبن الجوزي (٥ / ٧٣).
- (٧) انظر جامع البيان للطبري (١٥ / ٢١٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣ / ٤٩٢).
- (٨) البحر المحيط (٦ / ٨٧)، وانظر النهر (٦ / ٨٩).

صحيح البخاري عن عائشة > قالت: (أنزل ذلك في الدعاء) ^(١)، قال النحاس في ناسخه: (وهذا أحسن ما قيل في هذه الآية لأن فيه هذا التوقيف عن عائشة) ^(٢) والمعروف من كلام العرب أن الصلاة: الدعاء، ولا يقال للقراءة صلاة إلا على المجاز، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه ^(٣) وأبي هريرة ^(٤) ومجاهد ^(٥).

القول الثاني:

أنه عني بذلك الصلاة المشروعة، واختلف قائلوا ذلك فيما نهى عنه من الجهر بها والمخافتة فيها على خمسة أوجه:

الوجه الأول:

أنه نهى عن الجهر بالقراءة فيها لأن رسول الله ﷺ بمكة كان يجهر بالقراءة جهراً شديداً، فكان إذا سمعه المشركون سبّوه، فنهاه الله - تعالى - عن شدة الجهر، وأن لا يخافت بها حتى لا يسمعه أصحابه، ويتغنى ذلك سبيلاً، قاله ابن عباس ^(١)، واختاره: (الطبري، الزجاج، والسمرقندي والواحدي، والبغوي، والزخشي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي، والسعدي، والمراغي) ^(٢).

(١) سبق توثيقه انظر ص ٤١٩ .

(٢) انظر الناسخ والمنسوخ (٢/٤٩٩).

(٣) سبق توثيقه انظر ص ٤١٩ .

(٤) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/٧٣).

(٥) سبق توثيقه انظر ص ٤٢٠ .

(٦) انظر ذلك في كله على الترتيب التالي، انظر جامع البيان للطبري (١٥/٢١٦)، معاني القرآن للنحاس (٣/٢٦٤)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/٣٣٢)، الوسيط للواحدي (٣/١٣٣)، معالم التنزيل للبغوي (٣/١٦٩)، الكشف للزخشي (٣/٥٦١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/٢٢٣)، ومدارك التنزيل للنسفي ص (٦٤٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٧٢)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/١٦٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/٣٢٩)، روح المعاني للآلوسي (٨/١٨٣)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/٦٣٨)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/١٠٨)، تفسير المراغي (٥/٣٦٧).

الوجه الثاني:

أنه نهى عن الجهر بالقراءة في جميعها، وعن الإسرار بها في جميعها، وأن يجهر في صلاة الليل ويسر في صلاة النهار.

الوجه الثالث:

أنه نهى عن الجهر بالتشهد في الصلاة، قاله ابن سيرين^(١).

الوجه الرابع:

أنه نهى عن الجهر بفعل الصلاة لأنه كان يجهر بصلاته بمكة، فتؤذيه قريش، فخافت بها واستسر فأمره الله ألا يجهر بها كما كان، ولا يخافت بها كما صار، ويبتغي بين ذلك سبيلاً، قاله عكرمة^(٢).

الوجه الخامس:

يعني لا تجهر بصلاتك تحسنها مرئياً بها في العلانية، ولا تخافت بها تسيئها في السرية، قال الحسن: تحسن علانيتها وتسيء سريرتها^(٣).

القول الثالث:

أن المراد بالصلاة في الآية المعنيين: الدعاء، والقراءة فيكون معنى الآية: أي لا ترفع صوتك بقراءتك أو بدعائك ولا تخافت بها، وابتغ بين ذلك الجهر والخفاء سبيلاً^(٤)، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ؛ حيث قال في النهر: « والصلاة هنا: الدعاء قاله: ابن عباس، ومعلوم أن الجهر والمخافتة معتقان على الصوت لا غير، والصلاة أفعال وأركان وكان ﷺ يرفع صوته بقراءته، فيسب المشركون ويلغون، فأمر بأن يخفض من صوته حتى لا يُسمع المشركون، وأن لا يخافت حتى يسمعه من وراءه من المؤمنين »^(٥)، وقد اختاره: (البغوي، وابن عطية، والفخر الرازي، وابن عادل الحنبلي، والطاهر بن عاشور)^(٦).

(١) سبق توثيقه انظر ص ٤٢٠ .

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٩) .

(٣) انظر النهر الماد (٦/ ٨٩) .

(٤) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٢)، مفاتيح الغيب للفخر

الرازي (٢١/ ٥٩) الباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٤١١)، التحرير والتنوير للطاهر

⇐ =

﴿ الترجيح ﴾

الراجح - والله تعالى أعلم - هو مارجحه أبو حيان ومن وافقه من المفسرين بأن المراد المعنيين أي لا ترفع صوتك بقراءتك أو بدعائك ولا تخافت بها، وابتغ بين الجهر والخفاء سبيلاً، وذلك لما يلي:

١ - جائز أن تطلق الصلاة على القراءة لأنها من أعمالها، وأن يراد بها الدعاء لأنه معروف من اللغة قال الراغب: « قال كثير من أهل اللغة: هي الدعاء، والتبريك، والتمجيد ويقال صليت عليه أي: دعوت له وزكيت... والصلاة التي هي العبادة المخصوصة أصلها الدعاء، وسميت هذه العبادة بها كتسمية الشيء باسم بعض ما يتضمنه »^(١).

٢ - ويمكن الجمع بين القولين بأنها نزلت في الدعاء داخل الصلاة، فنهى النبي ﷺ عن الجهر بقراءته ودعائه جهراً قوياً يكون سبباً في نيل المشركين وشبهه وعن المخافته بهما حتى لا يسمعه من يريد سماعه، فإذا قالوا منه بسبب القراءة سينالون منه بسبب الدعاء أيضاً فالجمع ممكن، ويشهد له حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: { إذا صلى عند البيت ورفع صوته بالدعاء... فنزلت }^(٢).

٣ - قال الطاهر بن عاشور: « والصلاة تحتل الدعاء، وتحتل العبادة المعروفة، وقد فسرها السلف هنا بالمعنيين، ومعلوم أن من فسر الصلاة بالعبادة المعروفة فإنها أراد قراءتها خاصة لأنها التي توصف بالجهر والمخافته، وعلى كلا الاحتمالين فقد جهر النبي ﷺ بذكر الرحمن فقال فريق من المشركين: ما الرحمان؟ وقالوا: إن محمداً يدعو إلهين، وقام فريق منهم يسب القرآن ومن جاء به أو يسب الرحمان ظناً أنه رب آخر غير الله تعالى وغير آلهتهم فأمر الله رسوله أن لا يجهر بدعائه أو لا يجهر بقراءة صلاته في الصلاة الجهرية »^(٣).

= ابن عاشور (٢٣٧٨/٦).

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص ٤٩١.

(٢) انظر فتح الباري (٢٥٨/٨)، الدر المنثور للسيوطي (٣٠٢/٥)، وانظر أحكام القرآن للجصاص (٢٢٢/٤)، والفتاوى لابن تيمية (٣٣/١٥).

(٣) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٣٧/٦).